أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

# الغربة والحنين في شعر أحمد شوقي (دِرَاسَـةٌ وَصْفِيّــةٌ وَصْفِيّــةٌ)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

#### **DECLARATION**

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:

Signature:

Date:

اسم الطالب: نضال عليان عويض العماوي

التوقيع:

التاريخ: 28 / 11 / 2015



الجَامِعَ ــ أُ الإســـ الممِيّةُ - غَـــزّة شـوون البحث العلمي والدرّاسَات العليا كُلِّيّ ـــة الآدَابِ كُلِّيّ ـــة الآدَابِ قِـــ سنمُ اللَّغ ـــة العَربِيّ ــة

# الغربة والحنين في شعر أحمد شوقي (دراسَــة وصفيـّــة تَحْلِيلية)

Foreignness and Nostalgia at the Poetry of Ahmed Shawki
(A Descriptive and Analytic Study)

إعْدَادُ الطَالِب نضال عليان عويض العماوي

إشْرَافُ الدكتورِ
د. ماجد محمد النعامي
أستاذ الأدب والنقد المشارك في الجامعة الإسلامية – غزة

قُدِّمَتْ هذه الرِّسَالةُ استِكمَالاً لِمُتَطَلِّبَاتِ الحُصولِ عَلَى دَرَجَةِ المَاجِستير فِي الأَدَبِ والنَّقْدِ مِن كُلْيّةِ الآدَابِ فِي الجَامِعَةِ الإسلامِيّة بِغَزَّةَ كُلْيّةِ الآدَابِ فِيْ الجَامِعَةِ الإسلامِيّة بِغَزَّةَ





## الجامعة الإسلامية - غزة The Islamic University - Gaza

هاتف داخلی 1150

# مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

الرقم ....ج بن غ/ 3.5/ Ref

التاريخ . 11/01 /2015 Date

# نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ نضال عليان عويض العماوي لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، وموضوعها:

# الغربة والحنين في شعر أحمد شوقي

وبعد المناقشة العانية التي تمت اليوم الأحد 19 محرم 1437هـ، الموافق 2015/11/01م الساعة الواحدة والنصف ظهراً بمبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

مشرفاً و رئيساً

د. ماجد محمد النعامي

مناقشاً داخلياً

د. وليد محمود أبو ندى

مناقشاً خارجياً

د. رياض عبدالله أبو راس

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في كلية الآداب /قسم اللغة العربية.

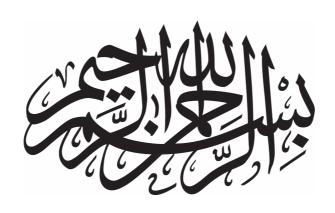
واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

earch & Gradua

إِنْ البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف على المناعمة



﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۗ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۗ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ﴿ وَالْبَقَرَةُ ٢٢ ﴾ (البقرة ٢٧)

# الإهداء

إلى روح والدي الطاهرة ، التي تسقيني الحب والحنين .
إلى نبع الحنان ، ومصدر الأمسان ، أمي الحبيبة .
إلى زوجتسي الغالية التي أخذت بيدي حتى نهاية هسسندا العمل .
إلى توءم الروح أخي العزيز أبي عبد الله .
إلى أخواتي الكريمات .
إلى مهجة الفؤاد بناتى: سلمى ، مروة ، ريتاج .

## شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْنَرِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتُكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (النمل ٢٧/٢٧)

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، أحمدك ربى حمد الشاكرين وأثنى عليك الخير كله ، فأهل أنت أن تعبد وأهل أنت أن تحمد ، وما عبدناك حق عبادتك ، فمقامك عظيم وسلطانك قديم وعزتك فوق كل عظيم ، وأصلي على سيدنا وشفيعنا محمد (صلى الله عليه وسلم) أما بعد ،،،

الحمد لله أنَّ منَّ عليَّ بإنهاء دراستي هذه ، ووفقني في إتمامها ، فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان من مشرفي الفاضل الدكتور ماجد محمد النعامي الذي ما فتئ يقدم لي نصائحه الثمينة وتوجيهاته السديدة منذ أن كان هذا العمل فكرة إلى أن صار ثمرة واستوى على سوقه ، فله مني الشكر ألفاً ، والله العلي العظيم أسأل أن يجزيه عني خير الجزاء ، ويجعل هذا العمل في ميزان حسناته .

وأعطِفُ شُكري وامتناني إلى مناقشي الكريمين: الدكتور وليد محمود أبو ندى أستاذ الأدب والنقد ، والدكتور رياض عبد الله أبو راس أستاذ الأدب والنقد ، اللذين تفضلا بالموافقة على مناقشة رسالتي، وتجشما قراءة هذه الرسالة العلمية؛ لتقديم التوجيه والنصح اللازمين ، وإثراء الرسالة من غزير علمهما، فلكما مني خالص الشكر والتقدير .

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير من كل من علمني حرفاً طوال مسيرتي في العلم والتعليم ، وأخص بالذكر أساتذة قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية ، والشكر موصول لأصدقاء الدراسة الذين رافقوني على مدار سنوات دراستي في الجامعة ، وقدموا لي يد العون ، وأخص بالذكر صديقي العزيز الأستاذ محمد الدراوشة .

والشكر موصول للهيئة التدريسية بمدرسة ذكور المغازي الإعدادية (أ) وأخص بالذكر الإعدادية (أ) وأخص بالذكر الإدارة لما قدمته لي من تسهيلات أثناء دراستي . وشكر خاص للأستاذ خضر سعيفان الذي قام بمراجعة البحث وتدقيقه.

ولا أنسى كل من سأل عني وعن مدى تقدمي في دراستي هذه ، فلكم مني جزيل الشكر والتقدير .

#### ملخص البحث

يتناول هذا البحث بالدرس والتحليل شعر الغربة والحنين عند أحمد شوقي ، والتعرف إلى تجليات تلك الظاهرة وأبعادها في شعره ، والكشف عن أسباب الغربة والاغتراب في حياته وتأثيرها على شعره ، فقد أسهمت مجموعة من العوامل في تكون تلك الظاهرة منها عوامل سياسية وعوامل نفسية وعوامل اجتماعية وأخرى ثقافية ، والغربة عند شوقي ارتبطت بالحنين ارتباطاً وثيقاً ، إما في المجال السياسي ، أو المجال المعيشي في حياته ، فظهر الحنين في مجالات عدة متمثلاً في : الحنين إلى الوطن ، والحنين إلى الأهل والأصدقاء ، والحنين إلى الذكريات الجميلة ، والحنين إلى المكان ، والحنين الديني ، والحنين إلى المحبوب . أما أكثر أنواع الحنين ظهوراً في شعره وأقواها تأثيراً فكان حنينه إلى الوطن ، وذلك بسبب نفيه عن وطنه، ومعاناته في بلاد الغربة من ضيق العيش ، ومعاناة نفسية بسبب الغربة عن الوطن .

لقد جاء البحث متناولاً في التمهيد حياة شوقي منذ ولادته حتى وفاته ، للتعرف إلى مسببات تلك الظاهرة في شعره ، وجاء الفصل الأول متحدثاً عن الغربة في شعره وبواعث الغربة بشكل عام ، وتقسيم الغربة عنده إلى داخلية وخارجية ، أما الفصل الثاني فقسم على ستة مباحث تناول مجالات الحنين في شعره ، وجاء الفصل الثالث دراسة فنية لموضوع الغربة والحنين من حيث الأسلوب ، والصورة الشعرية ، والموسيقا سواء أكانت خارجية أم داخلية ، ثم الخاتمة مشتملة على أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

#### **Abstract**

This research studies and analyses the poetry of alienation and nostalgia at Ahmed Shawqi's poetry . It identifies the aspects of this phenomenon and its dimensions in Shawqi's poems . This research reveals the reasons of alienation at Shawqi's life and its impact on his poetry .

There was a combination of factors that have contributed to form this phenomenon – some of these factors were political, psychological, social and cultural.

The alienation at Ahawqi's poetry is closely associated with homesickness either with political or living sphere. Therefore, the nostalgia appears at many areas. It is represented at homesickness, nostalgia for the family, the friends, the sweet memories, the place, the religion and longing for the beloved.

The strongest type of nostalgia at Shawqi's poems is homesickness and it influenced his poems clearly .This is because of the exile away from his homeland . Moreover , Shawqi's suffering by the bad circumstances during the exile affected his poetry .

The introduction at this research tackles Shawqi's life from birth to death to understand the causes of this phenomenon in his poems .The first chapter tackles the alienation and its motives at Shawqi's poetry . The alienation generally is divided into internal and external .However , the second chapter is divided into six sections that tackles the areas of nostalgia in Shawqi's poetry . The third chapter covers the technical study of the alienation and nostaligia in terms of style , poetic image and the music – whether internal or external . Finally , the conclusion includes the most important findings that the researcher reached .

#### القدمسة

الحمد لله رب العالمين ، باعث النبيين مبشرين ومنذرين ، وأصلي على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد ،،،

ظاهرة الغربة والحنين قديمة قدم الإنسانية ، والشعر العربي مليء بتلك الشواهد منذ بداياته ، فلقد كان الشعراء الأوائل يقفون على الأطلال وما وقوفهم هذا إلا شعور بالغربة عن الديار والأحباب ، وحنين لمن أحبوهم وأخلصوا لهم ، وسار على هذا النمط كل من عانى تجربة الغربة والحنين من الشعراء العرب على مر العصور الأدبية منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث؛ لكن بواعث الغربة تتوعت بينهم ، فكانت بواعث الغربة إما سياسية أو اجتماعية أو نفسية أو ثقافية ، وقد تشترك بعض البواعث عند أحد الشعراء ، والحنين ناتج عن إحدى هذه البواعث .

أما عند شوقي فقد اشتركت مجموعة من العوامل في إبراز ظاهرة الغربة والحنين في شعره ، منها: العامل السياسي ، والاجتماعي ، والنفسي ، والثقافي .

إنَّ الواقع الذي عاشه شوقي كان له الدور الأبرز في تكوين تلك الظواهر في شعره ، فالفترة الزمنية من حياة شوقي مرت فيها تغيرات جذرية على المستوى العالمي عامة ، وفي الوطن العربي خاصة ، لاسيما مصر قلب الأمة النابض ، ومن تلك الأهوال : نفي شوقي عن وطنه ، واندلاع الحرب العالمية الأولى، وسقوط الخلافة الإسلامية على يد مصطفي أتاتورك ، وتعرض الوطن العربي للاحتلال الغربي، والواقع الاجتماعي في مصر ، ناهيك عن أحاسيسه الشخصية والنفسية وفاعليته في بث الحياة الأدبية من جديد من خلال دوره البارز في مدرسة الإحياء والبعث .

ومن خلال اطلاع الباحث ودراسته لديوان شوقي ، وجد بروز ظاهرة الغربة والحنين لدى الشاعر ، مما دفع الباحث وحفزه إلى دراسة هذه الظاهرة عنده ، خاصة وأنها لم تدرس من قبل، وقد بدأت البحث بمقدمة وتمهيد ، وأشرت في المقدمة إلى أهمية البحث ، وسبب اختيار موضوع البحث ، ثم ذكرت الصعوبات التي واجهتني أثناء كتابتي هذا البحث ، ثم ذكرت الدراسات السابقة ومنهج البحث ، وفي التمهيد تناولت حياة شوقي منذ ولادته حتى وفاته ، ثم قسمت البحث إلى ثلاثة فصول : فتحدثت في الفصل الأول عن الغربة في شعر أحمد شوقي ، وفي الفصل الثاني تحدثت عن الحنين في شعر أحمد شوقي ، أما الفصل الثالث فتناولت الدراسة الفنية لغرض الغربة والحنين في شعر شوقي ثم الخاتمة مشتملة على أهم نتائج البحث ، وذكرت مصادر البحث ومراجعه ، واختتمت الدراسة بمجموعة من الفهارس .

وقد اعتمدت في دراستي هذه على ديوان أحمد شوقي (الشوقيات) تدقيق: محمد فوزي حمزة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م، وذلك لأنها شملت جميع أشعار شوقي، مضافة إليها الأشعار المجهولة التي أثبتها محمد صبري في كتابه (الشوقيات المجهولة).

فأرجو أن يجدَ هذا البحثُ عِنْدَ اللّجنةِ الموقرةِ صدراً رحباً، يقيم عِوَجه، ويَرْأَبُ صدعه، وأحسَبُ أَنَّ ذَوي العِلْمِ والقَدَمِ الرَّاسِخَة في هذا المَجَالِ سَيَلتَمِسونَ لِيَ الأعذَارَ مَا يُتَجاوزُ بِهِ عَن الهَتَّاتِ التي وَقَعَتْ دونَ قصدٍ مِنِّي في هذا العَملِ، وسأكونُ سَعيداً بالغ السَّعادة بِمَا سَيُبدونَه مِن مُلاحَظاتٍ واستِدرَاكاتٍ ، سَتكونُ مَحَلَّ تقديري واعتزازي أولاً ، ثمَّ عِنايَتي واهتِمامي ثانِياً ، لِيَخرجَ هذا البَحثُ في حُلَّتهِ القشيبة بإذنِ اللهِ تَعالى .

وعند الانتهاء من كتابة هذا العمل تختلط عند الإنسان مجموعة من الأفكار ، تراوده باستمرار حول المراجعة والتدقيق الجيد ، ولعل القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني يجمل ذلك التفكير في قوله : "إنِّي رأيْتُ أنَّه لا يَكتُبُ إنسانٌ كِتاباً في يَومِه إلا قالَ في غَدِه ، لو غُيِّر هذا لَكانَ أحسَنُ ، ولو زِيدَ كَذا لَكانَ يُسْتَحْسَنَ ، ولو قُدِّمَ هذا لَكانَ أفضلَ، ولو تُرِكَ هذا لَكانَ أجمَلَ، وهذا مِن أعظَمِ العِبَر ، وهو دَليلٌ عَلَى استيلاءِ النَّقْصِ عَلَى جُملَةِ البَشَر " (۱).

فأسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه ، وأن يعيننا على خِدْمَةِ لغة قرآنه ، وأن يهيئ لنا من أمرنا رَشداً ، فمنه أستمدُ الصوابَ ، والتوفيق إلى ما يُحْظِينِي لديه بجزيل الثواب ، وإياهُ أسألُ أن يعصِمَ القلمَ مِنَ الخطأِ والخطّلِ ، وأن يقيَ الفهمَ من الزيغِ والزللِ ، إنه أكرمُ مسؤول، وأعظمُ مأمول .

#### سبب اختيار البحث:

لقد دفع الباحث إلى اختيار موضوع بحثه بروز هذه الظاهرة عند الشاعر أحمد شوقي بشكل لافت للنظر ، ومعالجة الشاعر لها معالجة موضوعية تستوجب الدراسة والتحليل .

#### أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الغوص داخل شعر أحد عمالقة الشعر العربي الحديث ، فهو يبرز عاطفة إنسانية متجذرة في النفس البشرية منذ نشأة الإنسان ، وتقوم هذه الدراسة على إظهار ظاهرتي الغربة والحنين عند الشاعر أحمد شوقي ، وتجليات تلك الظاهرة في شعره من حيث الأسلوب واللغة والصورة الشعرية والموسيقا .

<sup>(</sup>۱) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين : محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، ط۱ ، ۱۹۱۶هـ، ۱۹۹۶م ، ص۳ .

#### الدراسات السابقة:

قسمت الدراسات السابقة إلى قسمين: قسم متعلق بالشاعر أحمد شوقي وشعره، وقسم متعلق بغرض الغربة والحنين.

#### أولاً: الدراسات التي تناولت أحمد شوقى ومنها:

- شوقى شاعر العصر الحديث: شوقى ضيف.
  - شعر شوقى الغنائي والمسرحي : طه وادي .
- أحمد شوقى حياته وشعره: المكتبة الحديثة ، بيروت ، ١٩٨٧م .
  - البديع في شعر شوقي : منير سلطان .
  - ذكرى الشاعرين (شاعر النيل وأمير الشعراء): أحمد عبيد.
- إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية : سعاد عبد الوهاب عبد الكريم .
  - خصائص الأسلوب في الشوقيات: محمد الهادي الطرابلسي.
    - وطنية شوقي: أحمد الحوفي.
    - شوقي وشعره الإسلامي : ماهر حسن فهمي .
      - حافظ وشوقى : طه حسين .
      - المتتبى وشوقى: عباس حسن
      - الشوقيات المجهولة: محمد صبري.
  - أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ: فوزي العطوي.

#### ثانياً: الدراسات التي تناولت الحنين فأذكر بعضها:

- رسالة للجاحظ بعنوان الحنين إلى الأوطان .
- الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث للدكتور ماهر فهمي .
  - الحنين والغربة في الشعر العربي للدكتور يحيى الجبوري .
- الغربة والحنين في الشعر الأندلسي للدكتورة فاطمة صحصح.
- الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة للدكتور أمين العمصي .
- تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة : رسالة ماجستير للباحثة فتيحة دخموش .
- الحنين والغربة في الشعر الأندلسي (عصر سيادة غرناطة) . رسالة ماجستير من إعداد الباحثة مها روحي الخليلي .
  - الحنين في الشعر الزنكي والأيوبي رسالة ماجستير من إعداد الباحثة مي إبراهيم عمرو .

#### منهج دراسة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحثِ ، أن أسلُكَ فيه سبيلَ المنهجِ الوصفيّ التحليليِ الإحصائي في دراسةِ الموضوعاتِ المُشكِلَةِ لموضوعهِ ، وذلك لمناسبةِ هذا المنهجِ لِمثلِ هِذه البحوثِ ، فالوصف والتحليلُ منهجُ علماءِ العربيةِ الأوائلِ في تناول مسائلِ اللغةِ ، وإنّنا نعلمُ أن التحليلَ يُعمِّقُ فهمنا لهذه اللغةِ ، وذلك من خللِ الدراسةِ المتفحصةِ لِمسائلِ اللغةِ وَربْطِ جزئياتِها بعضِها ببعضٍ، للوصولِ إلى النتائج المقنعةِ ، وأرجو من اللهِ أن أكونَ قدَ وُفِقْتُ في ذلك .

#### الصعوبات التي واجهت الباحث:

لقد واجَهْتُ بَعْضَ الصنعوباتِ في البَحثِ ، أَذكُرُ منها:

- ١. تداخل أبيات الغربة والحنين عند أمير الشعراء أحمد شوقي .
- ٢. صعوبة الحصول على بعض المصادر الحديثة الخاصة بالدراسة ، بسبب الحصار الغاشم على قطاعنا الحبيب .
  - ٣. تفاقمُ انقطاع التيارِ الكهربائي ، جراء الحصار الجائر على قطاعنا الحبيب .

#### خطة البحث

المقدمة: وتشمل سبب اختيار البحث وأهميته والدراسات السابقة.

التمهيد: إضاءات في حياة الشاعر أحمد شوقي وسيرته.

أولاً: المولد والنشأة.

ثانياً: حياته التعليمية.

ثالثاً: حياته السياسية.

رابعاً: مكانته الأدبية.

خامساً: شوقي في ميزان النقد.

سادساً : وفاته .

الفصل الأول: الغربة في شعر أحمد شوقي

المبحث الأول: الغربة لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: بواعث الغربة.

المبحث الثالث: أنواع الغربة:

أ- داخلية (الاغتراب)

ب-خارجية

### الفصل الثاني: الحنين في شعر أحمد شوقي

المبحث الأول: الحنين لغة واصطلاحاً:

المبحث الثاني: الحنين في شعره:

- الحنين إلى الوطن.
- الحنين إلى الأهل والأصدقاء .
- الحنين إلى الذكريات الماضية .
  - الحنين الديني .
  - الحنين إلى المكان.
  - الحنين إلى المحبوب.

الفصل الثالث: الدراسة الفنية

المبحث الأول: الأسلوب:

المبحث الثاني: الصورة الشعرية:

المبحث الثالث: الموسيقا:

- المطلب الأول: الموسيقا الخارجية.
- المطلب الثاني: الموسيقا الداخلية.

خاتمة وأهم النتائج .

قائمة المصادر والمراجع .

فهارس الدراسة .



#### التمهيد

#### أولاً: المولد والنشأة:

هو أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، أشهر شعراء العصر الأخير ، يلقب بأمير الشعراء (۱) ولد في القاهرة بحي الحنفي ، وقد اختلف المؤرخون في سنة ميلاده اختلافاً كبيراً ، فمنهم من ذكر عام ١٨٦٩م (۲) ، واعتبر بعضهم عام ١٨٧٠م هو العام الصواب معتمدين على ما وثق في شهادات شوقي العلمية ، ولا سيما ما جاء في شهادة الليسانس التي نالها في باريس في الحقوق (٦) ، وذهب آخرون إلى اعتبار عام ١٨٦٨م تاريخاً لعام ميلاد شوقي (٤) ؛ لكنا نجد أن جميعهم متفقون على يوم ميلاده وهو السادس عشر من أكتوبر ، ويرى الباحث أن سبب الاختلاف هذا يتعلق في سفر شوقي إلى فرنسا ، حيث حدد سن الثامنة عشرة للالتحاق بالبعثة إلى فرنسا ، وسافر شوقي إلى فرنسا عام ١٨٦٨م ؛ فأوعز الخديوي توفيق لتغيير سنة ميلاده ليتسنى له الالتحاق بالبعثة ، ويذكر الدكتور محمد صبري أن عام ١٨٦٨ م هو التاريخ الصحيح لميلاد شوقي مستنداً في ذلك إلى مذكرة عن سكرتير شوقي الخاص أحمد عبد الوهاب (٥). وعليه يكون شوقي قد ولد في السادس عشر من أكتوبر لعام ١٨٦٨م (١).

ينحدر أحمد شوقي من أسرة تآزرت فيها مجموعة من الأصول ، " فقد جاءت به من عنصر تركي وآخر شركسي ، وعنصر يوناني وآخر عربي كردي "(١) ، ويذكر لنا شوقي في مقدمة ديوانه أصوله فيقول : " سمعت أبي ( رحمه الله ) يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب ، ويقول إن والده قدم هذه الديار يافعاً يحمل وصاة من أحمد باشا الجزار إلى والي مصر محمد علي باشا"(^) ، ويذكر شوقي في المقدمة تاريخاً مختصراً لجده حيث تقلد عدة مناصب ، فيقول : "وكان جدي وأنا حامل اسمه ولقبه يحسن كتابة العربية والتركية خطاً وإنشاء ، فأدخله الوالي في معيته ، ثم تداولت الأيام وتعاقب الولاة الفخام وهو يتقلد المراتب العالية ويتقلب في المناصب

<sup>(</sup>۱) الأعلام: خير الدين بن محمود بن فارس الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٥ ، ٢٠٠٢م ، ج١ ، ص١٣٦ .

<sup>(</sup>٢) شوقي شاعر العصر الحديث: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ص٩.

<sup>(</sup>٣) شعر شوقي الغنائي والمسرحي : طه وادي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٥م ، ص٧ .

<sup>(</sup>٤) الأعلام: خير الدين الزركلي ، ج١ ، ص١٣٦ .

<sup>(</sup>٥) الشوقيات المجهولة: محمد صبري ، دار المسيرة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩م ، ج١ ، ص ٥ .

<sup>(</sup>٦) يقول شوقي في مقدمة الديوان ص ١٢: "أما ولادتي فكانت بمصر القاهرة ، وأنا اليوم أحبو الثلاثين " وكان مولده سنة ١٨٦٨م وكانت الطبعة الأولى من الديوان سنة ١٨٩٨م .

<sup>(</sup>٧) شوقي شاعر العصر الحديث: شوقي ضيف، ص٩.

<sup>(</sup>٨) مقدمة الشوقيات ، ديوان أحمد شوقي : تدقيق محمد فوزي حمزة ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ٢٠١٢م ، ص ١١ .

السامية إلى أن أقامه سعيد باشا أميناً للجمارك المصرية "(۱) ، أما جده لوالدته فأصوله تركية واسمه أحمد بك حليم ويعرف بالنجدهلي ، أما جدته لوالدته فكانت من أصل يوناني أتي بها كأسيرة حرب ، وها هو شوقي بين ذلك فيقول : "أما جدي لوالدتي فاسمه أحمد بك حليم ، ويعرف بالنجدهلي نسبة إلى ( نجدة ) إحدى قرى الأناضول ، وفد على هذه البلاد فتياً كذلك ، فاستخدمه والي مصر إبراهيم باشا من أول يوم ، ثم زوجه من معتوقته جدتي التي أرثيها في هذا المجموعة وأصلها من مورة ، جلبت منها أسيرة حرب لا شراء" (۲).

يفتخر شوقي بأصوله في قوله: "أنا إذن عربي تركي يوناني جركسي بجدتي لأبي ، أصول أربعة في فرع مجتمعة ، تكفله لها مصر ، كما كفلت أبويه من قبل ("" ولا ينسى شوقي الحب الكبير الذي يكنه لمصر ، هذا البلد التي تكلم عنه شوقي كثيراً في أشعاره ، فيمتدح هذا الوطن الغالي على قلبه فيقول: "وما زال لمصر الكنف المأمول ، والنائل الجزل ، على أنها بلادي ، وهي منشئي ومهادي ، ومقبرة أجدادي ، ولد لي بها أبوان ، ولي في ثراها أب وجدان ، وببعض هذا تحبب إلى الرجال الأوطان (أ)".

دافع شوقي عن أجداده وأصوله وأنهم كانوا يعيشون عيشة كريمة في ظل الخديوي إسماعيل حيث يقول: " فما زالا مغمورين بنعمة هذا البيت الكريم حتى توفي جدي وهو وكيل لخاصة الخديوي إسماعيل باشا ، فأمر بنقل مرتبه إلى أرملته وأن يحسب ذلك معاشاً لا إحساناً ، وكان الخديوي المشار إليه يقول عنهما : لم أر أعف منه ولا أقنع من زوجته ، ولو لم يسمه أبي حليماً لحلمه لسميته عفيفاً لعفته "(°).

نشأ شوقي منذ نعومة أظافره في كنف القصر ، كانت جدته لوالدته تحبه حباً جمّاً ، وتحنو عليه وتهتم به ، وصلتها بالقصر الحاكم قديمة منذ أيام إبراهيم باشا ، فتكفلت بتربيته في قصر الخديوي إسماعيل ، ويذكر لنا شوقي قصته وهو ابن ثلاث سنوات مع الخديوي إسماعيل عندما يتحدث عن جدته لأمه ، فيقول : "حدثتني أنها دخلت بي على الخديوي إسماعيل وأنا في الثالثة من عمري ، وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه ، فطلب الخديوي بدرة من الذهب ، ثم نثرها على البساط عند قدميه ، فوقعت على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به ، فقال لجدتي : اصنعي معه مثل هذا فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض ، قالت : هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي ، قال : جيئي به إليً متى شئت ؛ إني آخر من ينثر الذهب

<sup>(</sup>١) مقدمة الشوقيات ، ديوان أحمد شوقي : تدقيق محمد فوزي حمزة ، ص ١١ .

<sup>(</sup>٢) السابق ، ص ١١ .

<sup>(</sup>٣) السابق ، ص ١٢

<sup>(</sup>٤) السابق، ص ١٢.

<sup>(</sup>٥) السابق ، ص ١١ .

في مصر "(١). هذه النشأة هيأت لشوقي أموراً لم تتوفر لغيره ، حتى أنه اعتاد على حياة القصر وهذا ما نلاحظه في كثرة مديحه لأصحاب السلطان في مصر آنذاك ، حيث إنه أكثر من مدحهم في غير موضع .

<sup>(</sup>١) مقدمة الشوقيات ، ديوان أحمد شوقي : تدقيق محمد فوزي حمزة ، ص ١١ .

#### ثانياً: حياته التعليمية:

تلقى تعليمه منذ نعومة أظافره وهو في الرابعة من عمره ، حيث دخل مدرسة الشيخ صالح ثم انتقل إلى المبتديان فالتجهيزية (الخديوية اليوم) ، فكان التلميذ الثاني في هذه المدرسة ؛ فمنح المجانية مكافأة له ، وتخرج فيها وعمره خمس عشرة سنة (١) .

عرف عن شوقي تقوقه ونبوغه منذ أن كان في المراحل التعليمية الأولى ، فظهرت موهبته الشعرية أيام صباه ، وقال قصيدة ارتجلها ارتجالاً في المدرسة صاغ فيها بعض المعارف الجولوجية والجغرافية منها: (الرجز)

إفريقيا قِسْمٌ مِن الوُجُودِ في شَكْلِهِ أَشْبَهُ بِالعُنْقُودِ (٢)

تعتبر هذه القصيدة من بواكير شوقي الشعرية التي قالها في سن مبكرة أظهر من خلالها نواة لشاعر كبير يلوح في الأفق ، اتجه شوقي بعد ذلك إلى دراسة القوانين والشرائع بناء على رغبة والده في مدرسة الحقوق ، فدرس فيها سنتين ثم التحق بقسم الترجمة الذي أنشئ أثناء دراسته ، ومكث فيها سنتين إلى أن أكمل تعليمه وحصل على الشهادة النهائية . يصفه أحمد زكي باشا (٦) حين دخل هذه المدرسة ، فقال : "كان في جملة الوافدين سنة ١٨٨٥م فتى نحيف، هزيل ، ضئيل ، قصير القامة ، وسيم الطلعة ( تقريباً )، فتى بعيون متألقة ( تحقيقاً )؛ ولكنها متنقلة ( كثيراً ) فإذا نظر إلى الأرض دقيقة واحدة فللسماء منه دقائق متمادية ، وإذا تلفت صوب اليمين فما ذاك إلا لكي يرمي ببصره نحو الشمال ، وهو مع هذه الحركات المتتابعة المتنافرة هادئ ، ساكن ، وادع ، كأنما يتحدث بنفسه عن نفسه ، أو يتلاغى مع عالم من الأرواح . ما كان يلاسنا فيما نأخذ فيه من اللهو والمزاح ، ولا يتهافت معنا على تلقف الكرة بعد الفراغ من تناول الغذاء ، أو حينما نتنفس الصعداء لانتهاء مواقيت الدراسة (٤)" .

هذا الوصف الذي ذكره أحمد زكي يعبر تعبيراً دقيقاً عن تحركات شاعر تحركه ربة الشعر لكي تملأ هذا الشعور ليخرج أجمل الأشعار وأرقها ، فشوقي قد شغله الشعر وتفكيره فيه

<sup>(</sup>۱) الشوقيات : ص۱۳ / شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص۱۱ / أحمد شوقي حياته وشعره : كمال أبو مصلح ، المكتبة الحديثة ، بيروت ، ط۱ ، ۱۹۸۷م ، ص۱۲ .

<sup>(</sup>٢) الشوقيات: ص٢٥٩ / شوقي شاعر العصر الحديث: شوقي ضيف، ص١١.

<sup>(</sup>٣) هو أحمد زكي بن إبراهيم بن عبد الله، شيخ العروبة: أديب بحاثة مصري، من كبار الكتاب.

ولد بالإسكندرية عام ١٨٦٧ م وتخرج بمدرسة الإدارة والحقوق بالقاهرة، وأتقن الفرنسية، وكان يفهم الإنكليزية والإيطالية وله بعض المعرفة باللاتينية. عين مترجما لمجلس النظار، فسكرتيرا ثانيا، فسكرتيرا أول. ومنح لقب (باشا) واتصل بعلماء المشرقيات، ومثل مصر في مؤتمراتهم. وقام بفكرة إحياء الكتب العربية . توفي عام ١٩٣٤م. انظر الأعلام: ١٢٦/١.

<sup>(</sup>٤) ذكرى الشاعرين (شاعر النيل وأمير الشعراء): أحمد عبيد ، المكتبة العربية ، دمشق، ط١ ،ص٣٢٦ .

عن زملائه في المدرسة ؛ فانعزل عن أقرانه وانهمك في خياله الشعري حتى لفت انتباه أستاذه في اللغة العربية الشيخ محمد البسيوني البيباني<sup>(۱)</sup> وكان شاعراً فصيحاً ، والذي راح ينمي فيه موهبته الشعرية ، حيث كان يجلس منه مجلس التلميذ من أستاذه ؛ فكان يعرض على شوقي القصائد التي ينظمها في مدح الخديوي توفيق كلما حل موسم أو أهل عيد قبل إرسالها إلى قصر الخديوي.

لقد أسهمت مجموعة من الظروف في رسم شخصية شوقي التي ارتبطت بالقصر ، سواء عائلته ذات العلاقة الوطيدة مع قصر الخديوي ، وأستاذه الشيخ محمد البسيوني البيباني الذي غرس فيه التعلق بالقصر من خلال مدح عناصره التي أثرت على شعره فيما بعد ، حيث سار شوقي على خطى أستاذه البسيوني في نظم القصائد في مدح الخديوي توفيق ومن جاء بعده لاسيما الخديوي عباس حلمي .

ختم شوقي حياته التعليمية في مصر ، وكانت حياة أوروبية في جملتها ؛ لأن تعليمه ارتبط بالعلوم الغربية وبالأخص الفرنسية مما أدى إلى تأثره بالنماذج الغربية في شعره ، أتاحت البيئة التي عايشها شوقي توسيع ثقافته من خلال دراسته للعربية والفرنسية وبيئة بيته المنحدرة من الأصل التركى ، وجعلته يحذق هذة اللغات الثلات .

"بعدما تخرج شوقي عين في القصر موظفاً كبيراً في رئاسة القلم الإفرنجي ، وشاعراً للخديوي توفيق ، ولم يكن عضواً هامشياً فضولياً في موكب الحاشية ، فما هي إلا سنة على توليه الوظيفة في القصر ، حتى وجد الخديوي توفيق أن الفتى ، ابن العشرين ، لا يجوز له أن يلتحق بقصره قبل أن يستكمل أسباب الثقافة القانونية ، بالإضافة إلى شهادة الترجمة التي يحملها ؛ وهكذا بعث به إلى فرنسا للالتحاق بكلية الحقوق ، والاطلاع على ألوان الثقافة الأوروبية (٢) " .

سافر شوقي على نفقة الخديوي ، وكتب إلى مدير البعثة المصرية في فرنسا ليهتم به ، لما وصل إلى مرسيليا رآه في استقباله ، وأخبره أن الخديوي كتب إليه أن يقضي في مونبلييه عامين ، وفي باريس عامين آخرين ، والتحق شوقي بمدرسة الحقوق في مونبلييه. بعد قضاء

<sup>(</sup>۱) محمد علي البسيوني البيباني: من فضلاء المالكية بمصر. تعلم بالأزهر، ودرّس فيه ثم بمدرسة الإدارة (الحقوق) بالقاهرة. وعين مفتيا للمعية السنية أيام الخديوي توفيق، وله نظم في مدحه. من تلاميذه أحمد شوقي الشاعر وأحمد زكي (باشا) من كتبه (حسن الصنيع في علوم المعاني والبيان والبديع) و (خاتمة حسنة على شرح كفاية الطالب الرباني على رسالة أبي زيد القيرواني) نسبته إلى (بسيون) قرية كبيرة من غربية مصر. توفي عام ١٨٩٢م. انظر الأعلام: ٣٠٠/٦.

<sup>(</sup>٢) بتصرف : انظر : أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : فوزي العطوي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩ م ، ص١٥-١٦ .

شوقي السنة الأولى في مونبليبه اشتاق إلى وطنه وأهله ؛ لكن الخديوي رفض عودته حتى لا تؤثر عليه العودة إلى مصر بالسلب ، فتنقل في أرجاء فرنسا مستكشفاً هذا العالم الغربي ، انتقل في عدة أماكن وقضى السنة الثانية على هذا الحال ، وما أن أتت العطلة استغل فرصة أتاحت له السفر إلى لندن ، فمكث فيها شهراً زار خلالها أغلب معالم لندن ، فخرج إلى بعض المدائن على بحر الشمال حيث راحة الخاطر وقرة الناظر ، ثم عاد إلى باريس ليكمل دراسته فيها إلا أن المرض داهمه فيها ؛ فأصيب بمرض شديد كان فيه بين الحياة والموت ، وعندما مَنَ الله عليه بالشفاء أشار عليه الأطباء أن يقضي أياماً في سماء أفريقيا ، فاختار الجزائر ومكث فيها أربعين يوماً ثم عاد إلى باريس مستكملاً دراسته فأنهى دراسته مع تمام السنة الثالثة ، وحصل على الشهادة النهائية في الحقوق ، ومكث في باريس ستة أشهر يتعرف على آدابها وعلومها ، عاد بعدها إلى وطنه يشده الشوق والحنين إلى مسقط رأسه بعد طول غياب (۱).

أتاحت له الأيام التي عاشها متنقلاً بين أكثر من بلد كثيراً من المعارف والعلوم المختلفة ؛ فاتسعت مداركه وأصبح على دراية واطلاع ، ساهمت في صقل شخصيته والتي أثرت بعد ذلك على شعره ، هذه الأيام حررت شوقي من حياة القصر ، الذي ما لبث أن عاد إليه من جديد؛ ليعيش كما يعيش الموظفون ، حياة فيها من الرتابة أكثر مما فيها من التجديد ، خصوصاً وأن وظيفته كانت تحتم عليه – عن قناعة أو عن مجاملة – أن يرفع المدائح في المناسبات الدينية والوطنية إلى الخديوي ، وأن ينظم القصائد في تأييد العرش ، والإشادة بآل إسماعيل . ذلك كان دأبه ، وقد بقي كذلك ردحاً من الزمن (٢)، ولسان حاله يقول : ( الكامل )

لا زالَ بيتكمُ يُظِّلُ لُ النيلا

المُلْكُ فيكمْ آلَ إسماعيلا

جاء الصميم من الصميم بديلا(٣)

هذِي أصوالكم وناك فروعُكم

<sup>(</sup>١) بتصرف : انظر : شوقى شاعر العصر الحديث : شوقى ضيف ، ص١٤ .

<sup>(</sup>٢) بتصرف : انظر : أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : فوزي العطوي ، ص١٧ .

<sup>(</sup>٣) الشوقيات: ص٤٩٣.

#### ثالثاً: حياته السياسية:

بعد عودة شوقي من رحلته التعليمة وحصوله على شهادة الحقوق من باريس ، أخذ شوقي يتقرب من سدة الحكم لا سيما بعد موت الخديوي توفيق وتولية الخديوي عباس الثاني ؛ فانشأ قصيدة يرثي فيها الخديوي توفيق ، ويهنّئ الخديوي الجديد عباس الثاني بتولية الحكم ؛ فيقول : (الخفيف)

بَـينَ ماضِـي الأسَـى وآتـي الهتاءِ قـامَ عُـذُرُ النُّعـاةِ والبُـشَراءِ نبـاً مُعْـذِرٌ نفـى بَعْـضُه بعــ خـنُه الأنباءِ(١)

ويقول في تهنئته للخديوي عباس الثاني في القصيدة ذاتها: (الخفيف) واحْمِلِ السيفَ والْبِسِ التاجَ وارْقَ الصعرةُ العلياءِ وزِذِ الملكَ مَن شَابِكِ حُسسناً وأنِسرْ عصرةُ بِذَكَ الدَكَاءِ (٢)

لم تكن علاقة شوقي مع الخديوي عباس طيبة في بادئ الأمر ، فنجده قد جفاه ولم يهتم به ؛ لأنه يبحث عن رجل سياسي يسانده في معارضته للإنجليز ، فالخديوي يرى في شوقي شاعراً لا غير ، وسبب ذلك هي وشاية البعض ضد شوقي ؛ لكن تدخل بعضهم من أمثال بطرس غالي وبشارة تقلا (٦) ومصطفى كامل غيَّر نظرة الخديوي في شوقي ، فقربه الخديوي وأعلى منزله ، وجعله شاعر القصر ، وولاه رئاسة القسم الإفرنجي ، وما فتئ شوقي يتسلم المناصب العالية حتى أصبح من العناصر المعدودة التي يعتمد عليها الخديوي . ففي عام ١٨٩٦ م (٤) انتدبته الحكومة المصرية للمشاركة في مؤتمر المشتشرقين الذي عقد في مدينة جنيف بسويسرا ، وهناك ألقى قصيدته الرائعة التي تحدث فيها عن تاريخ مصر منذ القدم ، تناول فيها وصفاً لرحلته إلى جنيف عبر البحر ، وبدأ بذكر أمجاد الفراعنة مروراً بالفتوحات الإسلامية

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٨٥ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٨٧.

<sup>(</sup>٣) بطرس (باشا) بن غالي نيروز: ولد في مصر عام ١٨٤٦ وتوفي عام ١٩١٠ م، وقد شغل منصب وزير . الأعلام ٥٩/٢ . بشارة بن خليل تقلا: ولد في لبنان عام ١٨٥٢ م وتوفي عام ١٩٠١ م، أحد مؤسسي جريدة الأهرام . الأعلام ٥٢/٢.

<sup>(</sup>٤) انظر: شوقي شاعر العصر الحديث، ص٢٦. أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ، ص١٧٠. أحمد شوقي حياته وشعره، ٣٠٠. مقدمة الشوقيات ص١٦. الأعلام ١٣٦/١. تروي بعض الكتب أن زيارته لجنيف كانت عام ١٨٩٤م، وذلك بخلاف ما هو موجود في مقدمة الشاعر لديوانه وكتاب الأعلام للزركلي.

والاستعمار المتلاحق لمصر وصولاً إلى محمد علي الكبير ، اعتبرها البعض ملحمة تاريخية لما تضمنته بداخلها من أحداث ، حيث قاربت على مئتين وتسعين بيتاً ، ومطلعها : (الخفيف) هَمَّ تِ الفُلَ كُ وَاحتَواها الماء وَ حَداها بِمَ نُقِلُ الرَجاء فَ وَحَداها بِمَاء قَد أَكبَرَتها السماء (۱) فَصَرَبَ البَحرُ ذو العُبَابِ حَوالَيا

لازم شوقي الخديوي منذ سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩١٤ م، عاش خلالها في كنف الخديوي عباس حبيس المدائح يتغنى به وبأعماله ومناسباته ، " هذه الحقبة من حياته كان يعيش بعيداً عن الشعب ، فهو في القصر أو في برجه العاجي ، لا يفكر إلا فيما يفكر عباس فيه ، وكان في عباس طموح واندفاع ، فصارع الإنجليز وغاضبهم ، ووقف شوقي في صفه يغضب عليهم مع غضبه ، ويرضى مع رضاه (٢) " اعتبر بعض النقاد أن هذه الفترة كانت مقبرة لربة الشعر لدى شوقي ، واعتبروا مدائحه للخديوي عباس وما يتعلق به من مناسبات وأعمال ، ضربة لفنون الشعر عند شوقي .

اقتراب شوقي من سلطة الحكم جعله يتبنى أفكار الحاكم ، ويسير وفق سياسة القصر ، حيث عرف عن الخديوي عباس الثاني ارتباطه بالدولة العثمانية وولاؤه لها ، وكرهه الشديد للإنجليز ، ورفضه لأشكال الذل والهوان الذي مارسه الإنجليز على المصريين ، فأصول شوقي التركية واتجاهات الخديوي وتطلعات الشعب للتحرر من الهيمنة الإنجليزية نمَّت بواكير الشعر الوطني عند شوقي ، فنظم عدداً كبيراً من القصائد التي تؤكد هذه الفكرة .

عانى المصريون من سيطرة الإنجليز على مناحي الحياة في شتى شؤون حياتهم ، فغضبوا وثاروا ثورات عديدة ؛ ولكن دون جدوى ، حتى وصل الأمر إلى سيطرة الإنجليز على بعض فرق الجيش المصري في السودان ، مما أدى إلى غضب الخديوي وامتعاضه من هذا الأمر وكان ذلك في زيارة له إلى شمال السودان (وادي حلفا) ، عندما وجد قائداً إنجليزياً لإحدى فرق الجيش ، فانتقد ذلك صراحة ورفضه بالمطلق ما أثار حفيظة (اللورد كرومر) المعتمد البريطاني في مصر ، فطالب الخديوي بالاعتذار عما بدر منه ؛ لكن الخديوي لم يأبه لهذا الأمر ولم يقدم أي اعتذار ، في هذا الوقت قام رئيس الوزارة آنذاك رياض باشا بطلب الاعتذار من (اللورد كرومر) وأرسل برقية إلى القائد الإنجليزي للجيش يحمد له نظام الجيش ، فانكر شوقي على رياض باشا تعلقه بالإنجليز وركونه لهم ، فهجاه في قصيدة يعتبرها البعض فأنكر شوقي على رياض باشا تعلقه عن الخديوي ، حيث يقول فيها : (الوافر )

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٥٧ .

<sup>(</sup>٢) شوقي شاعر العصر الحديث: شوقي ضيف، ص١٧٠.

إذا ما لَم تَكُن لِلقَولِ أَهلاً خَطَب مَكُن لِلقَولِ أَهلاً خَطَب مَكُن تَ خَطباً لا خَطيباً لهجت بالإحتلالِ وَما أَتاهُ

فَما لَكَ في المَواقِفِ وَالكَلامِ أُضيفَ إلى مَصائبِنا العِظامِ وَجُرحُكَ مِنهُ لَو أَحسَستَ دامي(١)

لم يقف شوقي عند هذا الحد في تحديه لبعض الشخصيات التي ساندت الإنجليز ولو بالكلمة ، فها هو شوقي يطلق لقلمه العنان في قصيدة وداع (اللورد كرومر) سنة ١٩٠٧ م المعتمد البريطاني في مصر ، ينتقده فيها ويذكر مساوئه ، فيقول : (الكامل)

فَكَأَنَّكَ الداءُ العَياءُ رَحيلا فَما لَكَ في المَواقِفِ وَالكَلامِ أَدَبٌ لَعَمرُكَ لا يُصيبُ مَثيلاً(٢) لَمّا رَحَلتَ عَنِ البِلادِ تَشَهَّدَت إذا ما لَم تَكُن لِلقَولِ أَهلاً أُوسَعتَنا يَومَ الوَداعِ إِهانَةً

ولم يقف شوقي عند هذا الحد في تحديه لرموز الاحتلال ، بل وصف بعض من حضروا هذا الاحتفال بالجبن ؛ لأنهم لم يدافعوا عن مصر وحكامها عندما أساء كرومر في حقهما ، وفي البيتين الآتين يستنكر شوقي على السلطان حسين كامل وهو من الأسرة العلوية ، صمته ودفاعه عن بلده وأجداده ، فيقول : (الكامل)

مسولِهِ وَيُصدَدَّرُ الأَعمى بِهِ تَطفيلا درَيهِما وَالمَرءُ إِن يَجبُن يَعِش مَرذُولا (٣)

شَهِدَ الدُسينُ عَلَيهِ لَعنَ أُصولِهِ جُبنٌ أَقَلَ وَحَطَّ مِن قَدريهِما

مرت أحداث جسام على مصر إبان سيطرة الإنجليز عليها ، ولا ينسى التاريخ حادثة دنشواي (٤) الأليمة ، التي ظهر فيها بشاعة المحتل وبطشه ، فقام بصلب عدد من أهل القرية وسجن آخرين وتعذيبهم ، كتب شوقي في ذكرى الحادثة أبياتاً من الشعر يقول فيها : (الكامل) يا دنشواي عَلى رُباكِ سَلامُ ذَهبَ ت بِأُنسِ رُبوعِ كِ الأَيّامُ شُهاءُ حُكم كِ في البلادِ تَقرَقوا هيهات لِلشَملِ السَّتيتِ نِظامُ مُ

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٦٠٣ .

<sup>(</sup>٢) السابق : ص٤٩٥ .

<sup>(</sup>٣) السابق : ص٤٩٥ . قصد السلطان حسين كامل ، والأعمى : الشيخ عبد الكريم سلمان .

<sup>(</sup>٤) دنشواي إحدى قرى مركز الشهداء التابع لمحافظة المنوفية في جمهورية مصر العربية، ويحدها قرى أبو كلس وإبشادي ودناصور وكفر دنشواي، وهي القرية التي كانت مسرحًا لأحداث حادثة دنشواي.

هذه القصيدة كتبها شوقي بعد عام من حادثة دنشواي ، مما أثار حفيظة بعض النقاد على شوقي ؛ لأنه لم يكتب القصيدة إبان الثورة التي ملأت مصر بعد هذه الحادثة ، يقول شوقي ضيف : " ومع ذلك لم يستجب الشاعر لكل هذه الثورة وما انطوى فيها من غضب وحقد وغيظ إلا بعد مرور عام على الحادث ، وليس من ريب في أن حادث دنشواي أفظع وأبشع من خطاب (كرومر) وتعرضه لإسماعيل وأسرته ، ولكن عند من ؟ عند الشعب ، ولم يكن شوقي من الشعب، فقد نشأ بباب القصر "(٢) . نرى شوقي ضيف في كتابه يلوم على أحمد شوقي أنه التجأ إلى القصر ونسي هموم شعبه ، وأصبح متحدثاً بلسان القصر يفعل ما يريده الخديوي دون تأثر يذكر بما يعانيه الشعب المصري وقتذاك .

في عام ١٩١٤ م اندلعت الحرب العالمية الأولى وظهررت ويلاتها ، الأمر الذي أثر على العالم بأسره ، ومنها مصر بلد شوقي ، فتمكنت إنجلترا من بسط سيطرتها الكاملة على مصر ، وكان الخديوي عباس – المعروف بعدائه للإنجليز – غائباً عن مصر بتركيا ، فرفض الإنجليز عودته إلى مصر ، وقضوا بعزله من منصبه ، وتعيين حسين كامل – الذي عرف بولائه لهم – بدلاً منه على عرش مصر . أخذ المحتلون بتغييرات كبيرة في القصر الحاكم بمصر ، ومن هؤلاء شوقي لمكانته الفكرية والسياسية ، وحبه الشديد للعهد القديم وللخديوي عباس الثاني ، ولم ينس السلطان حسين ما كتبه عنه شوقي في وداع اللورد كرومر ، فعمل على نفيه من البلاد وذلك بالتنسيق مع الإنجليز.

اختار شوقي الأندلس منفىً له ولعائلته ، ركب البحر مغادراً وطنه الذي أحبه وكان ذلك في الخامس من أغسطس عام ١٩١٥ م (٦)، غادر وقلبه يعتصر ألماً ، نرى هذا الألم واضحاً عليه عندما يخاطب السفينة التي تحمله للمنفى ؛ فيقول : " فقلت : سيري عوذتك بوديعة التابوت، وبصاحب الحوت ، وبالحي الذي لا يموت ؛ وأسري يا بنة اليم ، زمامك الروح ، وربانك نوح ، فكم عليك من منكوب ومجروح ، إن النفي لروعة ، وإن النأي الوعة ، وقد جرت أحكام القضاء ، بأن نعبر هذا الماء ؛ حين الشر مضطرم ، واليأس محتدم ، والعدو منتقم ، والخصم محتكم ، وحين الشامت جذلان مبتسم ، يهزأ بالدمع وإن لم ينسجم ، نفانا حكام عجم ، أعوان العدوان والظلم ، خلفناهم يفرحون بذهب اللجم ، ويمرحون في أرسان يسمونها الحكم . ضربونا بسيف لم يطبعوه ، ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه، سامحهم في حقوق الأفراد، وسامحوه ضربونا بسيف لم يطبعوه ، ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه، سامحهم في حقوق الأفراد، وسامحوه

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٥٧٩ .

<sup>(</sup>٢) شوقي شاعر العصر الحديث: شوقي ضيف، ص٢٠٠.

<sup>(</sup>٣) عشرون من شعراء المنافي والسجون : أحمد سويلم ، دار الطلائع ، القاهرة ٢٠١١م ، ط١ ، ص٤٣ .

في حقوق البلاد، وما ذنب السيف إذا لم يستح الجلاد "(1). يرى المتأمل للنص السابق اللوعة العظيمة ومرارة الفراق التي سيطرت على شوقي وقت خروجه من شواطئ بورسعيد عند بداية قناة السويس، نلاحظ انكساره، وصدق مشاعره، وحق له ذلك، فهل يستطيع الإنسان تحمل الهجرة القصرية التي يفرضها عليه المحتل الغاصب ؟ بتلك الكلمات عبر شوقي عما يجول في وجدانه، ودونه في كتابه أسواق الذهب تحت عنوان (قناة السويس).

ألقت به السفينة على شواطئ مدينة (برشلونة) في أسبانيا ، هذه المدينة التي اختارها لارتباطها بتاريخ أمتنا الإسلامية والعربية ، " أقام في ضاحية من ضواحي (برشلونة) ، تدعى (فلفديرا) وترتفع كثيراً عن سطح البحر، فيما تحيط بها غابات الصنوبر ومشاهد الطبيعة الأخّاذة (٢) ". أعجب شوقي بهذا الجمال ؛ لكن الغربة كانت تعكر عليه الإحساس بجمال الطبيعة، نرى ذلك في شعره عندما يسمع صوت البواخر تمر بجانب الضاحية التي كان يقطن فيها ؛ فتحرك بداخله الحنين إلى الوطن والشعور بالغربة ، فيخاطب السفينة بأن ترأف بحاله وتحمله معها إلى وطنه ، فهو على استعداد أن يجعل من نفسه وقوداً لها ، حيث يوضح ذلك في قوله : ( الخفيف )

مُ ستَطارٌ إِذَا البَ وَاخِرُ رَنَّ ت راهِ بُ فَ السَّفْنِ فَطْنُ راهِ بُ فَ السَّفْنِ فَطْنُ السَّفْنِ فَطْنُ يَا بِنَ لَهُ السَّفْنِ فَطْنُ أَدِ البَّهُ السَّفْنِ فَطْنُ الْحَلَمُ مَا أَبُ وَكِ بَخيلٌ أَحَدِ السَّفَ السَّفِ السَّفَ السَّفِ السَّفَ الْمَ عَلَى بَلابِلِ فَ السَّفِ السَّفِ السَّفَ الْمَ عَلَى بَلابِلِ فَ اللَّهُ السَّفِ اللَّهُ السَّفِ اللَّهُ السَّفِ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلِلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ الْمُلْمُ اللَّهُ الْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ الْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ اللْمُلْمُ الْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ الْ

أُوَّلَ اللَيلِ أَو عَوت بَعد جَرسِ كُلَّما ثُرَن شَاعَهُنَّ بِنَقسِ كُلَّما ثُرن شَاعَهُنَّ بِنَقسِ مَا لَحُ مولَعا بِمَنعٍ وَحَبسِ مَا لَحُ مولَعا بِمَنعٍ وَحَبسِ خُ حَللٌ لِلطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ خُ حَللٌ لِلطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ فَي خَبيثٍ مِن المَذاهِبِ رِجسِ في خَبيثٍ مِن المَذاهِبِ رِجسِ بِهِما في الدُموعِ سيري وأرسي يهما في الدُموعِ سيري وأرسي

ولعل أصدق الأبيات التي أنشأها شوقي في حبه للوطن ما نظمه في قصيدته التي عارض فيها البحتري ، حيث نراه يفضل الوطن عن جنة الخلد وذلك على سبيل المجاز ؛ ليبين مدى تعلقه بوطنه ، وفي ذلك يقول : (الخفيف)

<sup>(</sup>١) أسواق الذهب: أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، مطبعة الهلال ، مصر ١٩٣٢م ، ص ٢٨ .

<sup>(</sup>٢) أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ: فوزي عطوي ، ص٢٣ .

<sup>(</sup>٣) الشوقيات: ص٣٨٤.

وَطَنَى لَو شُغِلتُ بِالْخُلدِ عَنهُ نازَعَتني إلَيهِ في الْخُلدِ نَفسي(١)

تفرغ شوقي في منفاه إلى نفسه ، تجرد من قيود ارتباطه بالقصر ، فأخذ يقرأ الأدب العربي ، ويطلع على آثار شعرائه من أمثال : البحتري ، وابن زيدون ، وغيرهم الكثير ، فنجد هذا التأثر واضحاً في معارضاته لهم ، حيث عارض البحتري في سينيته بسينية أخرى تحمل أروع آيات الحب والحنين إلى الوطن ، والتي مطلعها : (الخفيف)

إختِلافُ النّهارِ وَاللّيلِ يُنسي أُذكُ را لِيَ الصِبا وَأَيّامَ أُنسي (٢)

وعارض ابن زيدون في نونيته بنونية عبر فيها عن شوقه الشديد لوطنه ، وشعوره بالأسى لما يجري على ثرى وطنه ، حيث يقول في مطلعها : ( البسيط ) يا نائِحَ الطَلحِ أَشباهٌ عَوادينا (٣)

مكث شوقي في منفاه بالأندلس (أسبانيا) خمس سنوات أخذ يتنقل خلالها في هذا البلد الذي يحمل رائحة من ذكرى قاسية على كل مسلم وعربي ، كيف لا وهي الجنة التي فرط فيها المسلمون ؟ هذه الأرض التي تركت أثراً عميقاً في نفوسنا إلى يومنا الحاضر ، غيرت هذه الفترة من حياته كثيراً ، ففيها عرف الألم والحسرة على فقدان وطنه ؛ فتجمعت مجموعة من الآلام في قلب الشاعر ، ألم ترك الوطن وفراقه وحنينه له ، وشوقه إلى مجالسة الأصدقاء ، وألم الحاجة إلى المال الذي تعود عليه شوقي ، هذه العوامل فجرت ربة الشعر عنده ؛ فأخرجت لنا شعراً لا يضاهى ، حيث اعتبر بعض النقاد أن هذه الفترة قلبت نظرة شوقي رأساً على عقب ، فأصبح شاعر الوطنية الأول ، والمدافع عن الأمة الإسلامية والعربية ، ولنا في ديوانه الكثير من الدلائل على هذا .

كانت بعض الجهود تبذل من أجل عودة شوقي من المنفى ، فكان لأحمد زكي دور في عودة صديقه (شوقي) وذلك في معرض حضوره لمأدبة غداء في قصر عابدين أقامها السلطان حسين كامل ، عندما سأل السلطان عن شاعر باستطاعته مجاراة شعراء الإفرنج ، فقال أحمد زكي: "إن شوقي ممن تزدان بهم الدول ولو كان في زمن الخلفاء لتخاطفته دمشق وبغداد وقرطبة، لقد أفاض على العروبة من نفثاته ومنح الشعر والأدب من نفحاته حسنات باقية وآثارا خالدة . أيصح بعد هذا أن تبقى مصر محرومة من بلبلها الغريد، وأن يرفرف هذا الطائر

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٣٨٤.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٢٨٤ .

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٦٨٠ .

بجناحيه على قرطبة وطليطلة واشبيلية وغرناطة، بعد أن خرجت منها العروبة خروج الأرواح من الأبدان"، وبعدها طلب السلطان من رئيس وزرائه أن يعمل على عودة شوقى من المنفى (١).

عاد شوقى إلى مصر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بعد سماح الإنجليز له بالعودة ، فأبحر من أسبانيا إلى إيطاليا ومنها إلى مصر ، " وما إن بلغ القاهرة حتى خرج الشعب المصرى عن بكرة أبيه ، يستقبله ويحتفى به ، ويروى أن الجموع حملته على الأعناق ، والدموع تتهمر من عينيه ؛ فقد اعتبره شعبه بطلاً من أبطاله ، لا يهادن الاستعمار ، ولا يتواطأ مع الأعداء على حكام وطنه ، ولا على أبناء شعبه <sup>(٢)</sup>". يعبر شوقى عن لحظة وصوله لمصر مخاطباً هذا الوطن الغالي: (الوافر)

وَيا وَطَني لَقَيْتُ الى بَعد يَاس وَلَو أَنِّي دُعيتُ لَكُنتَ ديني أُديرُ إِلَيكَ قَبلَ البَيتِ وَجهي

كَاَّنِّي قَد لَقيتُ بِكَ الشَّبابا عَلَيهِ أُقابِ لُ الدِّ تمَ المُجابِ إذا فُهِ تُ الشَّهادَةَ وَالمَتابِ السُّ

كان استقبال الشعب لشوقى دلالة على حب الجميع له ، فكان استقبال الجماهير له على محطة القطار وفي مقدمتهم حافظ إبراهيم ، ويحييه حافظ قائلاً : ( الكامل ) فَالحَمِدُ لِلَّهِ الَّذِي قَد رَدَّهُ من بعد غُريَتِ إلى أُوطانِ إ

قَد قامَ بُل بُلُكُم عَلى أَغ صانِهِ (٤) فَتَنَظَّ روا آياتِ بِهِ وَتَ سَمَّعوا

بعد عودته إلى مصر تغيرت حياته عما كانت عليه قبل نفيه إلى إسبانيا ، ابتعد عن حياة القصر وعكف على أدبه وشعره ، فتأثر بمن حوله ، فنجده لا ينسى هموم شعبه ، يعيش معه في كل صغيرة وكبيرة ، يدون بقلبه وبلسانه هذه الهموم ، يخاطب ويعاتب وينصح ، فها هو يناشد زعماء الأحزاب في مصر بالوحدة وترك الخلافات جانباً ، ومواجهة المحتل بكل الوسائل ، فمصر ما زالت محتلة والسودان حالها يرثى له ؛ فيقول : ( الوافر )

وَهَذِي الصنجّةُ الكُبري عَلاما إلامَ الخُلِفُ بَيِنَكُمُ إلاما وَف يمَ يَكِي دُ بَع ضُكُمُ لِ بَعضِ وَتُبُدونَ العَداوَةَ وَالخِصاما عَلَى حَالَ وَلا السودانُ داما (٥) وَأَيِنَ الْفَوْزُ لا مِصرُ إِستَقَرَّتِ

<sup>(</sup>١) بتصرف : انظر : عشرون من شعراء المنافي والسجون ، ص٤٩-٥٠.

<sup>(</sup>٢) أحمد شوقى شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ: ص٢٤.

<sup>(</sup>٣) الشوقيات : ص ١٠٦-١٠٥ .

<sup>(</sup>٤) عشرون من شعراء المنافى والسجون: ص٥١٥.

<sup>(</sup>٥) الشوقيات : ص ٥٦٢ .

يصف شوقي ضيف حياة شوقي بعد عودته من المنفى ، فيقول : "ومن هنا تبدأ الدورة الثانية في حياته الأدبية ، فإنه لم يعد يفكر في القصر ولا في وظيفته فيه ، فقد أصبح حرًا طليقًا، وهيأ له ثراؤه أن ينعم إلى أقصى حد بهذه الحرية، فخلص لفنه ولشعبه وأخذ يغنيه أغاني وطنية رائعة (۱)" . يذكر ضيف في معرض حديثه عن هذه الفترة من حياة شوقي أن هذا من الأسباب التي فاضلت شوقي على صديقه حافظ إبراهيم ، حيث يقول ضيف : "ومرجع ذلك أن فنه كان أروع من فن حافظ، فلما اتجه به إلى تصوير عواطفنا الوطنية وحياتنا السياسية بلغ من ذلك الغاية التي لا تمتد إليها الأعناق (۲)".

أصبح شوقي بعد ذلك لسان الأمة العربية الذي لا يفتأ يدافع عن قضاياها وهمومها ، فلم يترك قضية إلا وأدلى بدلوه فيها ، فأنشأ الشعر في ذلك وبعث روح الحمية في نفوس أبناء الأمة العربية ، يستنهض هممهم تجاه قضاياهم المصيرية ، وها هو يعبر عما حل بدمشق من المحتل الفرنسي قائلاً : ( الوافر )

سَلامٌ مِن صَبا بَرِدى أَرَقُ وَدَمِعٌ لا يُكَفَكَ ف يا دِمَ شقُ وَمَع ذِرَةُ اليَراعَ قِ وَالْقَوافي جَلالُ الرُزءِ عَن وَصفٍ يَدِقُ وَمَع ذِرَةُ اليَراعَ قِ وَالْقَوافي جَلالُ الرُزءِ عَن وَصفٍ يَدِقُ اللَّهُ اللَّهُ وَمَع ذِرَةُ اليَراعَ فَ وَالْقَوافي وَمُرضِعةُ الأَبُ وَقِ لا تُعَق اللَّهُ وَمَ فَرَن اللهِ اللهُ اللهِ الله

يعود مرة أخرى ويناشد شباب سوريا بمواجهة المحتل ، فالعدو لايعرف إلا لغة السلاح ، يطالبهم بترك الأماني جانباً ، وعدم الانخداع بمغريات المحتل لهم ؛ فيقول : (الوافر) بني سوريَّة اطرِّحوا الأَماني وأَلقوا عَنكُمُ الأَحلامَ أَلقوا فَمِن خِدَعِ السياسَةِ أَن تُغَرَّوا بِأَلقالِ الإِمارَةِ وَهي رِقُ (٤)

عاش شوقي بقية عمره على هذا المنوال ، لم يترك أمراً يخص الأمة العربية والإسلامية إلا وأطلق لقلمه العنان ليعبر عما يجول في خاطره حتى اختير أميراً للشعراء عام ١٩٢٧ م ، وسنتحدث عن هذا في المبحث القادم .

<sup>(</sup>١) الأدب العربي المعاصر في مصر: شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٣ ، ص١١٢.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص١١٢ .

<sup>(</sup>٣) الشوقيات : ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .

<sup>(</sup>٤) السابق : ص ٤٤٧ .

#### رابعاً: مكانته الأدبية:

أتيحت لشوقي أمور فجرت شاعريته ، فتعليمه في فرنسا أتاح له تعلم اللغة الفرنسية والتعرف إلى آدابها المختلفة وشعرائها ، أما نفيه إلى إسبانيا مكنه من معرفة آداب الأسبان من جهة ، وجعله يتعرف أمجاد العرب في بلاد الأندلس من جهة أخرى ، وما رأيناه من معارضاته للبحتري ولابن زيدون خير دليل على ذلك ، وامتلاكه للغة العربية وهضمها جيداً أنشأ لدى شوقي نقافة واسعة لم تتوفر لغيره . " وكان أكبر نبع يستقي منه هذه المياه كتاب ( الوسيلة الأدبية ) للشيخ حسين المرصفي، وهو يضم بين دفتيه أروع ما للقدماء من نماذج كما يضم بعض نماذج البارودي الحديثة، ولم يكد يلم شوقي بهذه النماذج الأخيرة حتى احتواها لنفسه وفنه ، فقد تمثلها تمثلًا رائعًا (۱). فثقافة شوقي كانت وليدة عدة أسباب هي: نسبه المنحدر من أربعة أصول ، وتتلمذه على يد شاعر الشيخ محمد البسيوني البيباني ، تعلمه اللغة الفرنسية ودراسة الأدب الفرنسي ، ورحلاته المتعددة لعدد من الدول العربية والغربية .

أظهر شوقي براعة فذة ، نجد ذلك في ثنايا شعره ، وفي أغراضه المختلفة ، حيث تتوعت أغراض الشعر عنده ، " فنظم في معظم الأغراض والمجالات ، ولا سيما المجالات الوطنية والسياسية ، فضلاً عن الرثاء ، والغزل ، والمدح ، وغيرها . فجاءت أشعاره متسمة بالعواطف القوية ، والأخيلة الرحبة ، والألفاظ السلسة العذبة ، والتراكيب القوية ، وشاعت فيها ومضات متميزة ، أهمها : حب الوطن ، وحب الدين ، وحب الحرية ، وحب الحياة ، وقد تكثفت هذه الومضات معاً ، وارتفعت به إلى مستوى سامق (۲) " .

تبنى شوقي فكر أستاذه الشاعر الكبير محمود سامي البارودي في إحياء التراث وبعث الحياة في الشعر بعدما وصل لمراحل انحطاط ، وكما فعل الباردوي في تأثره بالعصر العباسي ، ظهر هذا جلياً عند شوقي ، فقد تأثر بعدد من شعراء العصر العباسي من أمثال : المتنبي ، البحتري ، أبي تمام ، أبي نواس ، والشريف الرضي ؛ لكن شوقي ما لبث إلا ورسم لنفسه طريقاً واضحاً يسير عليه ، ومن ذلك محافظته على قوالب الشعر وإضفاء روح الحداثة عليها من خلال تعبيره عن الواقع الملموس في عصره .

عارض شوقي الشاعر العباسي أبا نواس في خمرياته وذلك أيام شبابه ، فنظم قصيدة بعد انقضاء شهر رمضان يقول فيها : ( الكامل )

رَمَ ضانُ وَلَّى هاتِها يا ساقي مُ شتاقةً تَ سعى إلى مُ شتاق

<sup>(</sup>١) الأدب العربي المعاصر في مصر: مرجع سابق ، ص١١٤.

<sup>(</sup>٢) بتصرف : انظر : من أعلام الفكر والأدب في التراث العربي : محمد جواد النوري ، مطبعة الشرق العربية، القدس - شعفاط ، ص ٢٠٦-٢٠٧.

ضَحِكَت إِلَى مِنَ السُرورِ وَلَم تَزَل بِنِتُ الكُرومِ كَريمَةَ الأَعراقِ فَلَم تَزَل بِنِتُ الكُرومِ كَريمَةَ الأَعراقِ هاتِ إسقِنيها غَيرَ ذاتِ عَواقِب حَتّى نُراعَ لِصيحَةِ الصَقَاق (١)

ولهذه القصيدة قصة طريفة ، إذ تغضّب بسببها تلميذ اللغة العربية محمد متولي الشعراوي – الداعية الكبير فيما بعد رحمه الله – وعاتب فيها شوقي ، فاستمع لعتابه ثم تلا عليه قوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَبِعُهُمُ ٱلْغَاوُرِنَ ﴿ قَالَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادِ يَهِيمُونَ ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢) ثم تباسطا الحديث .

كانت قريحة شوقي الشعرية قادرة على مجاراة أعلام الشعر في زمن عنفوانه لما يمتلكه من حصيلة لغوية ، هذا التمكن اللغوي رأيناه في غير موضع مما أضفى على شعره بعض السمات والخصائص هي (٣):

- ١- استلهام التراث العربي والوعي بكنوزه.
- ٢- العاطفة الهادئة المركزة التي تتأى عن الصخب.
- ٣- الاعتماد على الإيقاع الموسيقي اعتماداً واعياً بوظيفته في المعنى .
  - ٤- تدفق الصور الفنية المنبثقة من الصورة العامة للعمل الفني .

هذه الخصائص الفنية التي أصبحت منهجاً لشوقي في إبداعه الشعري ، فاستلهامه للثراث العربي، ومجاراته لأشعار العصر العباسي على وجه الخصوص ، وفي بعض الأحيان يستغل بعض الأحداث المشابهة لينظم قصائد يعارض فيها هؤلاء الشعراء ، حيث عارض البحتري في سينيته ، والتي مطلعها : (الخفيف)

إختِلافُ النّهار وَاللّيالِ يُنسبي أَذكُ را لِي الصِبا وَأَيّامَ أُنسبي (٤)

وعبَّر شوقي من خلالها عن شدة حنينه للوطن ، ونيران الغربة التي اشتعلت داخل قلبه ، معلناً رفضه للخضوع لأوامر المحتل ، ومجدداً على ضرورة خروج الاستعمار من وطنه .

وعارض ابن زيدون في نونيته ، ومطلعها : ( البسيط )

يا نائِحَ الطّلح أشباهٌ عَوادينا نَشجى لِواديكَ أَم نَأسي لِوادينا (٥)

44

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص ٤٥٧ .

<sup>(</sup>٢) سورة الشعراء : آية ٢٢٢-٢٢٦ .

<sup>(</sup>٣) البديع في شعر شوقي : منير سلطان ، المعارف ، الإسكندرية ، ط٢ ، ١٩٩٢ م ، ص٣٨ .

<sup>(</sup>٤) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

<sup>(</sup>٥) السابق: ص ٦٨٠ .

\_\_\_

وكانت تلك القصيدة كسابقتها ( السينية ) تتمحور حول الغربة والحنين إلى الوطن ، ومدى اشتياقه للعودة إلى مصر ، فقد أنشأها في منفاه بالأندلس .

كما عارض البويصري في نهج البردة قائلاً: (البسيط) ريامٌ عَلى النَّه المُراهِ المُرمِ ا

وفيها مدح شوقي خير مخلوق سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم). وكثير من المعارضات التي أبدع فيها شوقي، بل أنه تفوق أحياناً على من عارضه، فكل ذلك كان يستقيه من التراث العربي الأصيل، كيف لا وهو الذي أخذ على عاتقه إكمال مسيرة أستاذه البارودي في إحياء التراث وبعث الحياة فيه من جديد.

وصلت مكانة شوقي الأدبية إلى ذروة سنامها عندما بويع أميراً للشعراء ، وكان ذلك عندما أعاد شوقي طبع ديوانه (الشوقيات) عام ١٩٢٧ م ، فأقيم له حفل تكريم لما قدمه من أشعار لمصر وللأمة العربية جمعاء ، حيث شاركت في هذا الاحتفال حشود كبيرة ، والحكومة المصرية والبلاد العربية ؛ إذ قدمت منها وفود مختلفة تمجّد شاعر مصر وتشيد بعبقريته ونبوغه. وقد وضع الشعراء في هذا الحفل على مفرقه تاج إمارة الشعر لا في مصر وحدها ؛ بل في سائر الأقطار العربية ، ومن الشخصيات المشاركة في حفل الإمارة محمد كرد على عن المجمع العلمي العربي بدمشق ، وشبلي ملاط عن لبنان ، وأمين الحسيني عن فلسطين ، وشكيب أرسلان ، وفندنبرج البلجيكي عن بلده ، وحافظ إبراهيم الذي أعلن البيعة لشوقي باسمه واسم شعراء البلاد العربية (٢) قائلاً : (الطويل)

أَميرَ القَوافي قَد بايعَت مُبايِعاً وَهَذي وُفودُ الشَرقِ قَد بايعَت مَعي (٣)

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٢٠٦.

<sup>(</sup>٢) ينظر: شوقي شاعر العصر الحديث، شوقي ضيف، ص٣٧. أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ، ص٢٥. الأدب العربي المعاصر في مصر، شوقي ضيف ص١١٣.

<sup>(</sup>٣) ديوان حافظ إبراهيم: ضبطه وشرحه، احمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الابياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٧م، ص١٢٨.

كانت إمارة الشعر بالنسبة لشوقي مكافأة لما قدمه لمصر وللأمة العربية والإسلامية ، فكان المدافع الأول لهموم الشعب المصري والشعب العربي كذلك ، ناهيك عن براعته الشعرية وأسلوبه العذب ولغته المنسابة كالجداول الهادئة ، فاستحق بجدارة ذلك اللقب .

#### خامساً: شوقى في ميزان النقد:

تعرض شوقي لنقد كبير سواء بالثناء عليه أو بالهجوم السافر على شخصه وشعره ، ومما أثار غضبهم تكريمه بلقب إمارة الشعر في العصر الحديث ، " فقام نفر من الكتاب يهاجمون شوقي ، وينتقدون مكرميه ، وينكرون عليه مجرد الشاعرية ، وما عملهم هذا إلا دليل على علو كعب الشاعر " (۱).

فالكلام عن شوقي يطول ويطول لكثرة من تحدثوا عنه ، حيث يقول عنه شيخ الأدباء المرحوم مصطفى صادق الرافعي: "انفلت من تواريخ الآداب لمصر وحدها كانفلات المطرة من سحابها السائر في الجوزاء ، فأصبحت مصر سيدة العالم العربي في الشعر ، ولم يستطع أحد من الشعراء أن يضع تاريخ الشعر على مفرق مصر ووضعه شوقي وحده "(١) ويقول عنه الأديب أحمد الزيات: "إنه شاعر غير مدافع تهيأ له مالم يتهيأ لغيره من سلامة الفطرة وكرم النشأة ، وسعة الثقافة ، ونعيم الحياة فأجاد التعبير ، أما معانيه فكثيرها مخلوق ، لم يتمثل في غير خاطره ، وقليلها مطروق نفخ فيه من روحه وخلع عليه من وشيه ، ومشى به إلى حد الكلام ومبتكره " (٦) .

كثير هم من أنصفوا شوقي ، وعبروا بصدق عن إسهامات شوقي في الشعر العربي الحديث، والنقلة النوعية التي أحدثها ، فيجمل الدكتور منير سلطان ذلك في قوله: "جاء شوقي فوجد البناء مستوياً على عوده ، فأكمل في البناء ، جدد في الأركان ، وستع في الشرفات ، بدل في المداخل ، بقدر ما تحتمل أعمدة البناء ، بحيث لا تضيع معالمه فينكره من يعرفه ، فصار للشعر العربي قصر منيف ، وفيه باحة واسعة وسور حصين ، ويضم حديقة غنّاء ، فمنذ أن كان شوقي ، إلى أن مات ، وكل الاتجاهات والمدارس تنطلق من رحابه ، إما غاضبة منه ، أو غاضبة عليه ، لكنها مرتبطة به بصورة من الصور ، ودرجة من الدرجات ، بل اقول ، لولا شوقي ما كانت ، ولا ظهر نجم في سماء الشعر " (3).

لقد حمل الناقد عباس العقاد لواء النقد ضد شوقي ، فكان هجومه على شوقي ممنهجاً من خلال تناول الموضوعات المتعلقة بشعر شوقي ، ووصل به الأمر إلى الحديث عن شخصية شوقي نفسه ، وجاء نقد العقاد لشوقي في محاور هي : التفكك وافتقاد الوحدة العضوية ، والإحالة (فساد المعنى) ، والتقليد والسرقة .

<sup>(</sup>١) بتصرف : أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : ص٢٦ .

<sup>(</sup>٢) أمير الشعراء أحمد شوقي : محمد الطاهر الزنكلوني ، مجلة الأزهر – القاهرة ، الجزء العاشر ، يوليو ١٩٨٦ م ، ص١٦٠٦–١٦٠٧ .

<sup>(</sup>٣) السابق: ص١٦٠٧ .

<sup>(</sup>٤) البديع في شعر شوقي : منير سلطان ، ص٢٨-٢٩ .

يذكر الدكتور حماد أبو شاويش خصائص نقد العقاد لشوقى ، ومنها:

- ١ التجني والتحامل.
  - ٢- النظرة الجزئية .
- ٣- الاهتمام بشخصية شوقى أكثر من الاهتمام بشعره أحياناً.
  - ٤ التعميم . (١)

#### سادساً: وفاته:

عانى شوقي أواخر حياته من الأمراض لاسيما السنتين الأخيرتين من حياته ، فعكف على قراءة القرآن وكتب الحديث النبوي ، وكان يُعجب بالغزالي ومؤلفاته والجبرتي وتاريخه (٢).

" وأخيراً حول الساعة الثانية في ليلة ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٣٢ م كف البلبل عن شدوه ، فقد سقطت قيثارة الشعر من يده ، ولبّت روحه نداء ربه ، وارتفع النواح والنشيج في مصر والأقطار العربية ، وخرجت الأمة المصرية الكريمة تشيع شاعرها بقلب ملهوف وعين جارية "(")

رحم الله الأمير ، فقد عرف نتيجة الحياة بأنها زائلة ، لذلك عبّر بصدق عن طلبه للغفران من الله - تبارك وتعالى - عندما مدح سيد الخلق محمد - صلى الله عليه وسلم - في نهج البردة قائلاً: ( البسيط )

في اللّه يَجعَلُني في خَيرِ مُعتَصِمِ مُفَرِّجِ الكَرَبِ في السدارينِ وَالغَمَمِ مُفَرِّجِ الكَرَبِ في السدارينِ وَالغَمَمِ عِزَّ الشَفاعَةِ لَم أساًل سِوى أُمَمِ قَدَّمتُ بَسينَ يَدَيهِ عَبرَةَ النَدمِ قُدَمتُ بَسينَ يَدَيهِ عَبرَةَ النَدمِ يُمسِكُ بِمِفتاحِ بابِ اللّهِ يَغتَنمِ في يَوم لا عِزَّ بِالأنسابِ وَاللّحَمِ (٤)

<sup>(</sup>۱) بتصرف : دراسات في النقد الأدبي : د. حماد أبو شاويش ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ١٩٩٩م ص٨٧-٨٧ .

<sup>(</sup>٢) بتصرف: شوقي شاعر العصر الحديث ، شوقي ضيف ، ص ٤١ .

<sup>(</sup>٣) السابق ، ص ٤١ .

<sup>(</sup>٤) الشوقيات : ص ٦١٢-٦١٣.

لقد رثى شوقي عددٌ من الشعراء الكبار من أمثال: سكيب أرسلان، وخليل مطران، وقد أصدرت مجلة أبولو أعداداً كثيرة للحديث عن الأمير ودوره في نهضة الشعر العربي (١)، وحوت أشعاراً كثيرة جاءت رثاءً لشوقى، وكان ذلك بعيد وفاته بأشهر قليلة، ثم في ذكرى وفاته.

<sup>(</sup>۱) العدد الرابع ( ديسمبر ۱۹۳۲م ) ، والخامس ( يناير ۱۹۳۳م ) ، والسادس ( فبراير ۱۹۳۳م ) والسابع (مارس ۱۹۳۳م) من مجلة أبولو .



# الفصل الأول الغربة في شعر أحمد شوقي

المبحث الأول: الغربة لغة واصطلاحاً:

#### أولاً: الغربة لغة:

جاءت الغربة في اللغة بمعنى: "الذهابُ والتَّنَحِّي عن الناسِ وقد غَرَبَ عنا يَغْرُبُ غَرْباً وَغَرَّب عَرْباً وغَرَّبه وغَرَب النُّزوحُ عن الوَطَن والاغْتِرابُ قال المُتَامِّسُ: (الطويل)

أَلا أَبْلِغًا أَفناءَ سَعدِ بِن مالكِ وسالةَ مَن قد صار في الغُرْبِ جانبُهُ (١)

والاغْتِرابُ والتغرُّب كذلك تقول منه تَغَرَّبَ واغْتَرَبَ وقد غَرَّبه الدهرُ ورجل غُرُب بضم الغين والراء وغريبٌ بعيد عن وطنه الجمع غُرَباء والأُنثى غَريبة "(٢) ، " وغَرُب : عن وطنه – غرابة ، وغربة : ابتعد عنه ، واغترب : نزح عن الوطن ، والغَربة والغُربة : النوى والبعد "(٣)

فإذا تتبعنا الموروث القديم للعرب نجد أن كلمة الغربة واردة بكثرة في الأدب ، فذكروها لفظاً ومعنى ، وذلك ضمن بكائهم على الأطلال في المقدمة الطللية ، والغربة هي السبب الرئيس لهذا البكاء ، حيث يقول امرؤ القيس في معلقته : (الطويل )

قِفًا نَبِكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ بِسِقطِ اللِّوى بَينَ الدّخولِ فَحَومَ لِ (٤)

وقد ذكر الزبيدي في معجمه: التغرب الذَّهاب، والغرب: النوى والبعد، والغَرْب والغُربة: النزوح عن الوطن، والتغريب: النفي من البلد (٥)، وفي الصحاح جاءت كلمة التغريب بمعنى النفي عن البلاد والتباعد عن الوطن (٦).

فالملاحظ أن الغربة والاغتراب وردا في معظم معاجم اللغة بمعنى واحد ، وهو الذهاب والبعد عن الوطن ؛ لكن معاجم العربية لم تفرق بين مصطلحي الغربة والاغتراب ، فالغربة

<sup>(</sup>۱) ديوان المتلمس الضبعي: تحقيق حسن الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ط۱ ، ۱۹۷۰ ، ص ۲٦٧ ، والمتلمس جرير بن عبد العزّي شاعر جاهلي ، انظر : الأعلام ۱۱۹/۲ .

<sup>(</sup>٢) لسان العرب لابن منظور : دار صادر - بيروت ، ط١ ، مادة ( غرب ) ، ١٦٨٨١ .

<sup>(</sup>٣) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، ص٦٤٧ .

<sup>(</sup>٤) ديوان امرِئ القيس : تحقيق / عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة – بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٤، ص٢١ .

<sup>(</sup>٥) تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ج١ ، ص٤١٢-٤١٤ .

<sup>(</sup>٦) الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٧٩ ، ط۲ ، ص١٩١-١٩٢ .

مقترنة بالبعد عن الوطن وفراق الأهل والأحبة ؛ و هي بذلك مرتبطة بالمكان ، أما الاغتراب فهو شعور نفسي يمتلك الإنسان بسبب ما ؛ فيشعر بأنه غريب حتى لو كان في قلب وطنه . ثانياً : الغربة اصطلاحاً :

تظهر الغربة في أوقات الاضطراب والقلق وعدم استقرار الفرد بسبب الأوضاع السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو جميعها معاً ، كما حدث مع شعراء المهجر في عصرنا الحديث، فالغربة طبيعة متجذرة في النفس البشرية ، " فهي من المشاعر الفطرية التي تختلف من إنسان لآخر، ومن مجتمع لآخر، ذلك لأنها تتلون بطبيعة صاحبها، وبالمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات، وبطبيعة العصر وما يحتويه من قيم أو أعراف ومعارف، والغربة ظاهرة قديمة رافقت المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة، ولكنها كانت غربة واضحة المصطلح والمفهوم، بينما اتخذت لها صورا معقدة في العصر الحديث، بل صارت من أكثر المفاهيم إثارة للجدل بسب التعريفات الكثيرة التي وضعت لها "(۱)

عند الحديث عن الغربة يختلط تعريفها بمعنى الاغتراب ، حتى أننا نجد من يعدهما بنفس المعنى ؛ فالاغتراب : " هو حالة نفسية تصور مدى انعدام السلطة والانخلاع عن الذات والأشياء أو التذمر والعداء والعزلة ، وانعدام المغزى في واقع الحياة والإحباط "(١) .

إن الشعور بالغربة من أقسى فترات الحياة على المرء ، فرسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) عندما هاجر من مكة إلى المدينة المنورة وقف على أحد جبال مكة قائلاً: "والله إنك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت "(") فالرسول خارج لتبليغ دين الله ؛ لكن الشعور بترك الوطن أثر عليه ، فما بالنا بالإنسان العادي ؟ فالوطن الأم لا يمكن للمرء أن ينساه ، وكيف ينساه ؟ وهو الدار الأولى التي عرفها ، ونشأ فيها، وتمتع بخيراتها ، ولعب في عرصاتها ؟ إنها ستبقى مسيطرة على فكره ووجدانه حتى لو عاش في عدد من الأماكن بعدها ، حيث يقول أبو تمام الطائي : (الكامل)

نَقِّل فُؤاذَكَ حَيثُ شِئتَ مِنَ الهَوى ما الحُبُ إِلَّا لِلحَبِيبِ الأَوَّلِ

<sup>(</sup>۱) تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة : فتيحة دخموش ( رسالة ماجستير ) جامعة منتوري ، ۲۰۰۵م، ص١٢ .

<sup>(</sup>٢) المكان في الشعر الأندلسي: محمد الطربولي ، دار الرضوان ، عمان ، ط١ ، ص٣٣ .

<sup>(</sup>٣) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي: تحقيق ، عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ١٣٣/٤ .

كَم مَن زل في الأَرض يَأْلَفُ أَلْقَت في وَحَنينُ أَبَداً لِأَوَّلِ مَن زل (١)

" إن نظرة الإنسان العربي الأصيل للغربة مختلفة كل الاختلاف عن نظرة العالم الحالية، فالغربة عند شعرائنا غربة وجودية: غربة المكان، غربة النفس في وطن غير الوطن، ووسط أهل غير الأهل غربة الروح عن الجذور بينما هي في المفهوم الحديث اغتراب حضاري وموقف يتخذه المثقف الغربي الفارغ قلبه من كل القيم الروحية " (٢).

### المبحث الثاني: بواعث الغربة:

ظاهرة الغربة قديمة قدم الإنسانية ، فالإنسان القديم لم يستقر في مكان واحد ، والعربي على وجه الخصوص لم يعرف استقراراً ألبتة ، فالنزاعات القبلية والحروب فيما بينهم جعلت من هذه الظاهرة أمراً طبيعياً في حياتهم . فالعرب كانوا يعتاشون على تربية الإبل والأغنام التي تتطلب وجود الماء والكلأ ، فكانت حياتهم مرتبطة بوجود مقومات الحياة لهم ولمواشيهم ، فالتنقل والبعد عن أماكنهم الأصلية وتغربهم بسبب طلبهم للرزق ، ناهيك عن نزاعاتهم الداخلية التي قد تستمر عقوداً ، لذلك وجدنا الشعراء الأوائل يكثرون من البكاء على الأطلال التي سببها الغربة ، فرأيناهم يصفون أيامهم وأماكن محبوباتهم فيما أصبح يعرف بالبكاء على الأطلال ، فهذا طرفة ابن العبد يبدأ معلقته قائلاً : ( الطويل )

لِخَولَةَ أَطْلَالٌ بِبُرقَةً ثَهمَدِ وَقُوفاً بِها مَدْبِي على مَطِيَّهُمُ

تَلُوحُ كَبِاقِي الوَشْمِ في ظاهِرِ اليَدِ يَقُولُونَ: لا تَهْلِكُ أسى وتَجَلِّدِ (٣)

من هذا المنطلق أصبح الوقوف على الأطلال سمة ظاهرة عند الشعراء القدماء ، فالمعلقات سواء السبع أو العشر تبدأ بما هو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالغربة ، فامرؤ القيس يقول في مطلع معلقته : ( الطويل )

قِف نَبِكِ مِن ذِكرى حَبيب وَمَنزلِ بسِقطِ اللِّوي بَينَ الدّخولِ فَحَومَ لِ (٤)

(۱) شرح ديوان أبي تمام: الخطيب التبريزي ، تحقيق / راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط۲، ۱۹۹٤ م ، ج۱ ، ص۲۹۰ .

<sup>(</sup>٢) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : فاطمة صحصح ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص٣٥ .

<sup>(</sup>٣) ديوان طرفة بن العبد : تحقيق / مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٣ ، ١٩ ديوان طرفة بن العبد : تحقيق / مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٣ ،

<sup>(</sup>٤) ديوان امرِئ القيس: تحقيق / عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة – بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٤ م ، ص ٢١ .

بقيت هذه الظاهرة حتى بعد ظهور الدين الإسلامي الحنيف ؛ ولكن خفّت حدتها بعد تمكن الإيمان من قلوب الناس ، فأصبح الشعراء يعبرون عن القصيدة مباشرة دون التطرق الوقوف على الأطلال ، فأخذت الغربة تظهر بوضوح في قصائد الشعراء المجاهدين الذين خرجوا لتبليغ دين الله في شتى أصقاع الأرض ، فظهر باعث آخر وهو الجهاد في سبيل الله ، حيث كان المجاهدون يودعون أوطانهم وأهليهم، ويغيبون لفترات طويلة مما يترك في قلوبهم لوعة البعد والفراق التي تجعل الشعراء منهم يعبرون عن ذلك أصدق تعبير ، ومنهم من يصاب في المعارك أو يتعرض لأمر فيه الهلاك مثلما حدث مع الشاعر مالك بن الريب الذي كان فارساً لا يشق له الغبار منتمياً لمجموعة من الصعاليك ، فطلبه القائد سعيد بن عفان ( رضي الله عنه ) ليكون معه ، وبهذا تغير فكر مالك من صعلوك إلى مجاهد في سبيل الله يقاتل الأعداء ، فهناك روايتان في وفاته : إحداها أنه أصيب في إحدى المعارك ، والأخرى أنه عندما وضع قدمه في خفه لدغته أفعى كانت في الخف ، فأصيب إصابة مميتة كانت سبباً في موته ، فأنشأ قصيدة تحمل في ثناياها لوعة الفراق والغربة عن الأهل ، ولعل هذه القصيدة كانت السبب في شهرة مالك بن الريب التي ذاع صيتها وفيها يقول : ( الطويل )

ألا لَي تَ شِعري هَ لَ أَي تَنَّ لَيلَةً فَلَيتَ الغَضا لَم يقطع الرَكبُ عرضه فَلَيتَ الغَضا لَم يقطع الرَكبُ عرضه تَ ذَكَّرتُ مَن يبكي عَلَيَّ فَلَم أَجِد وَلَكِن بِأَكنافِ السَمْينَةِ نسسوةٌ وَلَكِن بِأَكنافِ السَمْينَةِ نسسوةٌ وَلَمّا تَراعَت عِندَ مَروٍ منيتي فَيا صاحبي رَحلي دَنا المَوتُ فَانزلا فَيا صاحبي رَحلي دَنا المَوتُ فَانزلا وَحُطّا بِأَطرافِ الأَسِنَّةِ مَضجعي وَخُطّا بِأَطرافِ الأَسِنَّةِ مَضجعي خُداني فَجُرّاني بِتَوبي اللَّيكُما يقولون لا تَبعُد وَهُم يَدفِونني يقولون في المَين في يقولون في المَين في الله في المَين في المَ

بِجَنبِ الغَضا أُزجِي القِلاصَ النَواجِيا وَلَيتَ الغَضا ماشي الرِّكابَ لَيالِيا سِوى السَّيفِ وَالسرَّمحِ الرُدَينِيِّ باكِيا عَزيرِ عَلَيهِنَّ العشية ما بِيا عَزيرِ عَلَيهِنَّ العشية ما بِيا وَحَلَّ بِها جِسمي وَحانَت وَفاتِيا بِرابِيَةٍ إِنِّي مُقيم يَما لِيا بِيا إِنِيا وَوَدَا عَلى عَينَي فَصلَ رِدائِيا وَرُدًا عَلى عَينَي فَصلَ رِدائِيا فَقَد كُنتُ قَبلَ اليومِ صَعباً قيادِيا فَقَد كُنتُ قَبلَ اليومِ صَعباً قيادِيا وَأَيسَ مَكانِيا لَهُ مَكانِيا لَيْ مَكانِيا لَيْ مَكانِيا لَيْ مَكانِيا لَيْ مَكانِيا لَيْ البُعدِ إِلا مَكانِيا لَيْ البُعدِيا وَالرَّيا لَيْ البُعدِيا وَالرَّيا لَيْ البُعدِيا وَالرَّيا لَيْ البُعالِيا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ الْهُ اللْهُ اللَّهُ

إن الأبيات السابقة لتترك أثراً كبيراً في نفس المتلقي ، لما تحويها من آلام وأسى وحزن ، فالشاعر يضيق ذرعاً بالغربة ؛ لكنه يشعر بأنه سيفارق الدنيا فيطلب من أصحابه ويوصيهم ، يذكر أهله وحياته السابقة ويتمنى أن يرجع إلى بلدته الأصلية التي رمز لها بشجر الغضا ، حيث إن الغربة في هذه الحالة يمكن أن تدرج تحت مسمى غربة الموت ، فالشاعر يموت بعيداً عن موطنه الأصلى ، لم يودعه أهله وأحبته .

تلك الأبيات أنموذج لشعر الغربة الذي صدر من المجاهدين في سبيل الله ، ونجد أن سبباً آخرَ وجد في تلك الحقبة وما زال ، إنه الأسر الذي يترك حسرة في القلب وشعوراً بالغربة ؛ لأن المرء لا يستطيع أن يفك أسره ، فهو مرغم على البقاء فيه ، وهو بذلك يشبه إلى حد قريب غربة المنفى التي عاشها الشاعر أحمد شوقي ، وتجربة الأسر موجودة في أدبنا العربي ، ولعل ما يقاسيه شعراء فلسطين خير دليل على غربة الأسر ، فالأسير يعاني مجموعة من المآسي ، فقد حرم من الحرية ومن رؤية الأهل والأحبة ، ومن التمتع بهذه الحياة . وهذا أبو فراس الحمداني يعيش تجربة الأسر عند الروم ، فأنشأ مجموعة من القصائد وهو في الأسر عرفت فيما بعد بالروميات ، يبث فيها آلامه ويشكو غربته ، فيرسل بمجموعة من الأبيات لأمه من خلالها يواسي نفسه في غربته ووحدته ، فيقول : ( الطويل )

مُصابي جَليلٌ وَالعَزاءُ جَميلُ وَظَنّي بِأَنَّ اللّه سَوفَ يُديلُ جِراحٌ تَحاماها الأُساةُ مَخوفَةٌ وَسُقمانِ بادٍ مِنهُما وَدَخيلُ وَاللّه سَاءُ مَخوفَةٌ وَسُقمانِ بادٍ مِنهُما وَدَخيلُ وَأَسَرٌ أُقاسِيهِ وَلَيلٌ نُجومُهُ أَرى كُلُّ شَيءٍ عَيرَهُنَّ يَرولُ وَأَسَرٌ أُقاسِيهِ وَلَيلٌ نُجومُهُ وَفي كُلُّ دَهرِ لايَسْرُكُ طولُ (٢) وَفي كُلُّ دَهرِ لايَسْرُكُ طولُ (٢)

ومن بواعث الغربة النفي عن الوطن ، ولعل هذا وجد تحت وطأة الدول الظالمة ، ومن ذلك ما فعله الاستعمار في الوطن العربي ، حيث كان ينفي الطبقة المثقفة التي لها تأثير واضح على الشعب ، ومن هؤلاء الشعراء الذين هم لسان قومهم ، يعبرون بأشعارهم ما يحمس الشباب ويقوى

<sup>(</sup>۱) ديوان مالك بن الريب: تحقيق / د. نوري حمودي القيسي ، مجلة معهد المخطوطات العربية" مج ١٥، جـ١ ، ص ٨٨ – ٩٥ ، جمهرة أشعر العرب: لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق / علي محمد الباجي ، نهضة مصر – القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٢٠٠٧ – ٢١٤ .

<sup>(</sup>٢) ديوان أبي فراس الحمداني : تحقيق / خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤ ، ص ٢٥٢ .

عزيمتهم ، ومن أبرز من عانى ويلات النفي شاعرنا أحمد شوقي ، وأستاذه الشاعر الكبير محمود سامي البارودي (رب السيف والقلم) ، فعندما قامت الثورة العرابية وأحكمت سيطرتها على معظم مصر ، كان البارودي ممن ساعد في قيامها وأيدها واعتبر من أحد قادتها ، فقام الإنجليز بنفيه خارج مصر إلى جزيرة سيرلانكا (سرنديب ثم سيلان قديماً) ، وهناك عانى البارودي الأمرين، مرارة الغربة وقهرها ، ومرارة الوحدة في بلد عز فيه الصديق ، إن إحساسه العميق بالغربة سيطر على كيانه ووجدانه ، فعبر عن ذلك بكثير من الأشعار التي حملت بداخلها آلام الغربة والحنين إلى الوطن ، يقول في إحدى قصائده : (البسيط)

أَظَلُ فِيهَا غَرِيبَ السَّدَارِ مُبْتَئِساً لا فِيهَا غَرِيبَ خِلِّ أَسْتَعِينُ بِهِ لا فِيهِ سَرَنْدِيبَ خِلُ أَسْتَعِينُ بِهِ يَظُنُّنِ عِمَنْ يَرَانِ عِ صَاحِكاً جَدْلاً يَظُنُّنِ عِمَنْ يَرَانِ عِ صَاحِكاً جَدْلاً وَلا وَرَبِّ كَ مَا وَجْدِي بِمُنْ حَرِسٍ وَلا وَرَبِّ كَ مَا وَجْدِي بِمُنْ حَرَسٍ لَكَنَّنِ عِمَالِكٌ حَرْمِ عِي وَمُنْتَظِرِ رَسٍ لَكَنَّذِ عِمَالِكٌ حَرْمِ عِي وَمُنْتَظِرِ رَسٍ لَكَنَّذِ عَالِكٌ حَرْمِ عِي وَهُ عَي وَمُنْتَظِرِ تَلْ لَكُنْ مَا عَنِي دَهُ رِي وَغَادَرَنِي فَا إِنْ يَكُنْ سَاعَنِي مَ صِمْرَ إِخْوَانِاً يَسْرُوهُمُ فَا إِنْ يَكُنْ عَمْ مِصْرَ إِخْوَانِا يَعِسُرُهُمُ

نَابِي الْمَضَاجِعِ مِنْ هَم وَأَوْجَاعِ عَلَى الْهُمومِ إِذَا هَاجَتْ وَلا رَاعِي عَلَى الْهُمومِ إِذَا هَاجَتْ وَلا رَاعِي الْهُمومِ إِذَا هَاجَتْ وَلا رَاعِي أَنْسِ خَلِي وَهَم بي بَيْنَ أَضْلاعِي عَلَى البِعَادِ وَلا صَبْرِي بِمِطْوَاعِ عَلَى البِعَادِ وَلا صَبْرِي بِمِطْوَاعِ خَوْفَ الرَّقِيبِ وَقَلْبِي جدُ مُلْتُاعِ رَهْنَ الأَسَى بَيْنَ جَدْبٍ بَعْدَ إِمْرَاعِ وَقُرْبِي وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَابْدَاعِي (۱) قَرْبِي وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَابْدَاعِي (۱)

إن المعاناة التي عاشها البارودي لتدل بكل وضوح على مرارة الغربة ، فغربة النفي عن الوطن قاسية ، فالوطن عندما يسلب من الإنسان كأن الروح تؤخذ معه ، فتصبح الهموم والأوجاع كثيرة ، فالبارودي يشتاق لمصر شوقاً لا يوصف ، ويجري على عادة القدماء في تخيل الرفيقين بجانبه ، ويطلب منهما عدم الملامة ؛ لأن الغريب لا يلام بسبب أحزانه وغياب عقله من شدتها ، فيذكر اشتياقه لمصر حيث يقول : (الخفيف)

يَا نَدِيمَيَّ فِي سَرَنْدِيبَ كُفَّا عَنْ مَلامِي فَلَيْسَ يُغْنِي الْمَلامُ أَنَا فِي هَذِهِ الدِّيَارِ غَريب بُ الدِّيَارِ لَدِيسَ يُسلَمُ الْمَافِي هَذِهِ الدِّيَارِ غَريب بُ الدِّيَارِ لَدِيْسَ يُسلَمُ وَاذْكُرَا لِي فُسْطَاطَ مِصْرَ فَإِنِّي بِهَوَاهَا مُثَامُ (٢)

بِهَوَاهَا مُنَ يَّمٌ مُ سُتَهَامُ (٢)

<sup>(</sup>۱) ديوان محمود سامي البارودي : تحقيق / علي الجارم ومحمد شفيق معروف ، دار العودة – بيروت ، ۱۹۹۸ م ، ص ۳٤۱ – ۳٤۲ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٦٢٤.

وهناك باعث آخر مرتبط بالنفي ألا وهو الهجرة ، فالهجرة هي ترك الوطن " سواء كانت فردية أو جماعية ؛ فقد يشعر بعض الأفراد أو الجماعات أن حياتهم في أوطانهم قد أصبحت جحيماً لا يطاق من جراء العراقيل والصعوبات في الحياة السياسية ، أو تعرض البلاد للسيطرة الأجنبية الغاشمة أو الحكم الفردي المستبد ، وقد تتعرض البلاد للضعف والفساد والرشوة ، أو توزيع الثروة توزيعاً مجحفاً مما يسبب لها انهياراً اقتصادياً يترتب عليه عدم قدرتها على توفير الحياة الكريمة ؛ فيضطرون إلى الهجرة طلباً للحرية أو سعياً وراء الرزق (۱)"

فالهجرة تنقسم إلى نوعين: النوع الأول وهو هجرة إرادية بسبب سوء الأحوال المعيشية في البلد، وقلة المصادر التي تكفل الحياة الكريمة للفرد، أو سوء الأحوال الأمنية بسبب سيطرة المحتل على الوطن، أو شعور المهاجر بالاغتراب في وطنه مما يدفعه لترك الوطن، وهذا ما حدث مع شعراء المهجر الذين تركوا أوطانهم، حيث كونوا مجموعتين: الأولى في أمريكا الشمالية وأسموها الرابطة القلمية، والثانية في أمريكا الجنوبية وأسموها العصبة الأندلسية، أما النوع الآخر من الهجرة فهو هجرة قسرية إجبارية وهذا ما حدث مع الشعب الفلسطيني عندما هجر من وطنه عنوة، فقد قام الصهاينة بطرد أصحاب الأرض واستولوا عليها وكونوا فوقها كيانهم المزعوم، فهذا النوع من الهجرة يشبه إلى حد كبير النفي، بل إن النفي أهون من ذلك ولأن الإنسان المنفي وطنه ما زال موجوداً، ولم يطرد منه أهله بعكس الهجرة الجبرية التي ما زلنا نعانيها لوقتنا الحاضر، فتأثر جميع أبناء الشعب الفلسطيني من هذه المأساة وما زالوا يعانون الام الغربة ومآسيها في الشتات، فالشعراء لسان قومهم يعبرون عن هذه المأساة، فالغالبية العظمى من شعراء فلسطين تحدثوا عن الغربة في أشعارهم، بل أصبحت سمة في شعرهم، العظمى من شعراء فلسطين تحدثوا عن الغربة في أشعارهم، بل أصبحت سمة في شعرهم، ومن أمثال هؤلاء الشاعر عبد الكريم الكرمي الذي يقول في قصيدة له بعنوان (سنعود) أبيات يبكي مرارة الغربة ويؤكد على العودة القريبة حيث رسم طريق الجهاد والمقاومة لهذه العودة، فيقول: (الوافر)

فِلَ سُطِينُ الْحَبِيدَ ثُهُ كَيفَ أَحْيَا تُتَ الْدِينِي الْحَشَوَاطِئُ بَاكِيَ اتٍ تُتُ الْدِينِي الْجَدَدُولُ شَارِدَاتٍ تُتُ الْدِينِي الْجَدُدُولُ شَارِدَاتٍ تُتُ الْدِينِي مَدَائِئُكِ الْيَتَامَى

بَعِيداً عَنْ سُهُولِكِ والهِضَابِ
وَفِي سَمْعِ الزَّمَانِ صَدَى انْتِحَابِ
تَصِيرُ غَرِيبَةً دُونَ اغْتِرابِ
تُصَادِينِي قُراكِ مَصِعَ القِبَابِ

<sup>(</sup>۱) الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة : د. أمين العمصي ، جامعة قاريونس – بنغازي ، ط۱ ، ۱۹۹۵ ، ص۲۷ .

وي سِنْأَننِي الرِّفَ اقُ أَلَّا لِقَ اءً عَداً سَنغِي غَداً سَنغُودُ والأَجْيَ الْ تُصنغِي نَعُ ودُ مصعَ العَواصِ فِ دَاوِي اتٍ نَعُ ودُ مصعَ العَواصِ فِ دَاوِي اتٍ أَجِلُ سَنعود آلاف الصضحايا

وهَلْ مِنْ عَوْدَةٍ بَعْدَ الغِيَابِ الْخِيَابِ الْخِيَابِ الْخُطَى عِنْدَ الْإِيَابِ مَعْ الْخُطَى عِنْدَ الإِيَابِ مَع البرق المقدس و السشهاب ضحايا الظلم تفتح كل باب (١)

وهناك بواعث للاغتراب المرتبط بالإنسان داخل مجتمعه ، ومن هذه العوامل : "العاهة الخلقية كالعمى مثلاً ، إذ إن مثل هذه العاهة قد تزيد من حدة العوامل النفسية إلى جانب العوامل الأخرى التي يتعرض لها المرء "(٢) ، فالشاعر أبو العلاء المعري (رهين المحبسين) قد أصيب بالعمى في سنواته الأولى ، الأمر الذي شكل رؤية فلسفية عند أبي العلاء ، فالعمى وسوء معاملة الناس له أثر على نمط حياته حتى لقب برهين المحبسين ، فيدافع عن نظرة الناس للأعمى فيما ينم عن شعور بالاغتراب حيث يقول :

إِذَا مَرَّ أَعمى فَارِحَموهُ وَأَيقِنوا وَإِن لَم تُكَفَّوا أَنَّ كُلَّكُم أَعمى (٣)

وفي قصيدة أخرى يشكو حزنه وآلام اغترابه ، فالألم جعله يعبر عما بداخله بالتوجه إلى الواعز الديني ، فيذكر في هذه الأبيات أن أعمال الخير عند الناس غريبة ، لأنهم لم يتعودوا عليها ، فالإنسان منشؤه من تراب وإليه سيأوي ، والبقاء لله - سبحانه وتعالى - فالكل إلى زوال ويبقى وجه الملك الديان الذي خلق الأرض والإنسان ، حيث يقول المعري : ( الطويل )

وَجَدتُ سَجايا الفَضلِ في الناسِ غُربَةً وَأَعدمَ هَذا الدَهرُ مُغتَرِيهِ هِ وَأَعدمَ هَذا الدَهرُ مُغتَرِيهِ هِ وَإِنَّ الفَت فيما أَرى بِزَمانِ هِ لَأَشبَهُ مِنهُ مِنه شَديمةً بِأَبيهِ وَوالِدُنا هَذا التُرابُ وَلَم يَزلُ الْمَنتَ سَبيهِ وَوالِدُنا هَذا التُرابُ وَلَم يَزلُ اللهَ اللهُ مَنتَ سَبيهِ وَيُعطي الصونَ مُحتَجِيهِ فَي اللهِ وَلَا شَيءَ مِثلُ الخَيرِ يُزمَعُ تَركُهُ وَيُصبِحُ مَبِدُ مَبِدُ مَبِدُ مَبِدُ مَبِدِهِ (٤)

<sup>(</sup>١) ديوان أبي سلمى عبد الكريم الكرمي : دار العودة - بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨ م ، ص ١٧٣ .

<sup>(</sup>٢) المكان في الشعر الأندلسي: محمد الطربولي ، دار الرضوان ، عمان ، ط١ ، ص٣٣ .

<sup>(</sup>٣) شرح اللزوميات : لأبي العلاء المعري ، تحقيق / زينب القوصي – وفاء الأعصر – سيدة حامد – منير المدني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ م ، ج٣ ، ص ١١٨.

<sup>(</sup>٤) اللزوميات : لأبي العلاء المعري ، تحقيق / أمين عبد العزيز الخانجي ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ج٢ ، ص ٤٣٠.

فعوامل الغربة كثيرة ومتغيرة من زمان إلى آخر ، أما عند شوقي فجاءت ضمن أربعة عوامل رئيسة هي : عامل سياسي ، عامل اجتماعي ، عامل نفسي ، عامل ثقافي .

#### العامل السياسى:

كان لهذا العامل الأثر الواضح في نشأة الغربة عند شوقي ، فلم ينقطع شوقي عن السفر خارج مصر ، فسافر إلى أماكن كثيرة سواء أثناء تلقيه تعليمه في فرنسا ومنها إلى الجزائر في رحلة علاجية ، وزيارة خاطفة لمدينة لندن ، أم سفره المتكرر عندما عمل في الحكومة المصرية وكان ممثلاً عنها في مؤتمر المستشرقين ، وزياراته مع الخديوي عباس لمركز الحكم في الأستنانة ، كل هذه الغربة والبعد عن الوطن كان بإرادة شوقي ، ولم يكن مكرها عليه ؛ لذلك لم يترك آلاما داخل قلبه وكيانه .

إن الغربة الحقيقية هي التي شعر بها شوقي عندما نفي إلى إسبانيا عام ١٩١٤ م، فقد كان هذا الحدث بمثابة التحول الكبير في حياته، فمن الحياة الآمنة المطمئنة في ربوع الوطن، والتعمّ بخيراته، إلى أقسى نوبات الشوق للوطن الذي سيطر عليه، فيشتاق إلى الوطن لكنه لا يستطيع العودة، تلك أصعب الفترات التي عايشها شوقي، ولعله يبين ذلك في بعض الكلمات التي قالها على ظهر السفينة التي أبحرت به إلى المنفى : " فقلت : سيري عوذتك بوديعة التابوت، وبصاحب الحوت، وبالحي الذي لا يموت ؛ وأسري يا بنة اليم، زمامك الروح، وربانك نوح، فكم عليك من منكوب ومجروح، إن النفي لروعة، وإن النأي للوعة، وقد جرت أحكام القضاء، بأن نعبر هذا الماء ؛ حين الشر مضطرم، واليأس محتدم، والعدو منتقم، والخصم محتكم، وحين الشامت جذلان مبتسم، يهزأ بالدمع وإن لم ينسجم، نفانا حكام عجم، أعوان العدوان والظلم، خلفناهم يفرحون بذهب اللجم، ويمرحون في أرسان يسمونها الحكم. ضربونا بسيف لم يطبعوه، ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه، سامحهم في حقوق الأفراد، وسامحوه في حقوق البلاد، وما ذنب السيف إذا لم يستح الجلاد. "(١)

ولا ننسى الأبيات التي قالها شوقي واصفاً فيها النفي والتشريد الذي مورس عليه وسلب منه أغلى ما في الوجود ، فالنفي أخذ منه خمس سنوات لم يتمتع بها في وطنه ، سنوات عايشها والوطن في أمسً الحاجة لأمثاله ، فيقول : (الكامل)

لَـولا عَـوادي النَفيِ أَو عَقَباتُـهُ وَالنَفيُ حالٌ مِن عَـذابِ جَهَـنَّمِ لَجَهَـنَّمِ لَجَهَـنَّمِ الْمَوانَ الحَـوادِثِ صورةً المُستَـسلِمِ مَثَّلَـتُ فيها صورة المُستَـسلِمِ

<sup>(</sup>١) أسواق الذهب: أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، مطبعة الهلال ، مصر ١٩٣٢ ، ص ٢٨ .

وَحَكَيتُ فيها النيلَ كاظِمَ غَيظِهِ وَحَكَيثُهُ مُتَعَيِّظاً لَـم يَكظِمِ (١)

فالحياة التي عاشها شوقي في الأندلس مزجت فيها آلام الحسرة و الوحدة ومرارة البعد عن الوطن ، فتجربة النفي التي مرت به غيرت مجرى حياته ونظرته إلى الحياة ، فكانت الباعث الأول للغربة الخارجية التي سيطرت على وجوده .

الأحداث السياسية التي عايشها شوقي كان لها تأثير في حياته ، وما أكثرها الأحداث التي عاصرها شوقي ، بدءاً بالحرب العالمية الأولى التي بثت في شعره إشارات واضحة دلت على حالات من الاغتراب منها: ( الكامل )

إلا بقل بِ خاشِ عِ يَتَوَجَّ عُ في آدَمٍ أَهْ لِ وَآدَمُ يَجْمَ عُ<sup>(۲)</sup> لا تــــذكُرَنَّ الحـــربَ أو أهوالهــا وَاذْرفْ علــي القلـب الـدُموعَ فكُلُّكُـمْ

ولا ينسى ما آلت إليه أحوال المسلمين بُعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وإعلان مصطفى أتاتورك سقوط الخلافة الإسلامية ، شعر المسلمون بفقدان جزءاً مهماً من عقيدتهم ، وشوقي أحد المسلمين الغيورين على دينهم ، آلمه ما حدث وخيَّم الحزن على قلبه ، وأنشأ يقول في مناسبات عدة عن سقوط الخلافة : ( الكامل )

تَبَك ي عَلَي كِ بِمَ دَمَعٍ سَ حَاحِ أَمَ عَلَي كِ بِمَ دَمَعٍ سَ حَاحِ أَمَ عَلَي الأَرضِ الخِلافَ ةَ ماحِ فَقَعَ دنَ في بِهِ مَقاعِ دَ الأَن واحِ قُتَا تَ بِغَي رِ جَري رَةٍ وَجُناح (٣)

ولا يتوقف الباعث السياسي عند هذه الأمور سابقة الذكر ، بل كان لمعاناة الدول العربية نصيب كبير في شعر شوقي ، وأصدق هذه الأشعار ما نظمه شوقي في نكبة دمشق عندما فتك بها الفرنسيون عام ١٩٢٦ م ، وأنشأ شوقي تلك القصيدة وألقاها في حفل لمساعدة منكوبي سوريا حيث أقيم الحفل بحديقة الأزبكية بالقاهرة ، يقول فيها : (الوافر)

سَلِمٌ مِن صَبِا بَرِدى أَرَقُ وَدَمِعٌ لا يُكَفَكَ فُ يا دِمَ شقُ

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص١٠٤-٢٠٥.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٤١٥.

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٢٠٤.

لَحاها اللّه أنباء تَوالَت تكادُ لِرَوعَة الأَحداثِ فيها وقيل مَعالِمُ التاريخِ دُكَت ألَستِ دِمَشقُ لِلإسلامِ ظِئراً

عَلَى سَمِعِ الْوَلِيِّ بِمِا يَشُقُّ تُخَالُ مِنَ الْخُرافَةِ وَهِيَ صِدقُ وَقِيلًا مُصِنَ الْخُرافَةِ وَهِي صِدقُ وَقِيلًا أَصَابَها تَلَفَ وَحَرقُ وَقَيلًا أَصَابَها تَلَفَ وَحَرقُ وَمُرضِعَةُ الأُبُوقِةِ لا تُعَفِقُ (١)

فالعامل السياسي تمثل في الأحداث التي مرت بها المنطقة ، فالحروب التي كانت تخوضها الدولة العثمانية ، مروراً باتجاه شوقي إلى العمل في السياسة من خلال عمله في الحكومة المصرية ، واشتعال الحرب العالمية الأولى ، وطرد الخديوي عباس ، وتعيين السلطان حسين كامل على عرش مصر ، وسيطرة الإنجليز على مقالد الحكم في مصر ، وسقوط الخلافة الإسلامية على يد مصطفى أتاتورك ، والأحداث التي تعرضت لها بعض الدول العربية .

#### العامل الاجتماعي:

الإنسان بفطرته كائن اجتماعي ، يتأثر بمجتمعه ويؤثر فيه ، فلا يمكن لأحد أن يعيش منفرداً إلا إذا كان يعاني من حالة مرضية ، فالحياة الاجتماعية مرتبطة بجميع نواحي الحياة ، ولا يمكن التعامل معها منفردة .

من الظواهر الاجتماعية التي تدفع الإنسان للشعور بالاغتراب الظلم الاجتماعي كإرغام الأهل بناتهم للزواج ممن يفوقون أعمارهن بكثير ، هذه الظاهرة التي انتشرت بشكل واسع في مصر آنذاك ، فقال شوقي محارباً هذه الظاهرة : (الكامل )

ظَلَمَ الرِجالُ نِساءَهُم وَتَعَسسُفوا يَا مَعشُوا يَا مَعشَر الكُتّابِ أَينَ بَلاؤُكُم أَيهُمُّكُم عَبَتْ وَلَيسَ يَهُمُّكُم عَبَتْ وَلَيسَ يَهُمُّكُم عَبَتْ وَلَيسَ يَهُمُّكُم عَني وَلَيسَ يَهُمُّكُم عَني وَلَيسَ يَهُمُّكُم عَني وَلَيسَ يَهُمُّكُم عَني وَلَيسَ يَا لَمُ وَلَيْسِ وَلَيْسَ وَيَهُمُّكُم عَني وَلَيسَ يَا لَمُ وَلَيْسِ وَلَيْسِ وَلَيْسَ وَيَهُمُّكُم عَني وَلَيْسِ وَلَيْسِ وَلَيْسَ وَلَهُ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَهُ وَلَيْسَ وَلَهُ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَهُ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَا لَا وَلِي وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَهُ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلِي وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلِي وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلِي وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلِي وَلِي وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلِي وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلِي وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلِي وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ وَلَا عَلَى وَلَيْسَ وَلَا فَعَلَى وَلَا عَلَى وَلَيْسَ وَلَا فَعَلَى وَلَا عَلَى وَلِي وَلَيْسَ وَلَا عَلَى وَلَاسَ وَلَاسَ وَلَا عَلَالَ وَلِي وَلِي وَلِي وَلِي وَلِي وَلَاسَ وَلِي و

هَ ل النِ ساء بِمِ صر مِ ن أن صارِ أن سارِ أن البَيانُ وصائِبُ الأَفكارِ أن البَيانُ أخلاقٍ بِغَير دِ دِ دارِ أَن أَخلاقٍ بِغَير دِ دِ دارِ أَن أَخلاقٍ بِغَير الأَحرارِ (٢)

تأثر شوقي بالمجتمع المصري لاسيما عندما عاد من منفاه ، فكان يواكب كل حدث اجتماعي داخل مصر ، ويقول في ذلك أشعاراً ، أما على صعيد حياته الاجتماعية فيتمثل الاغتراب في فقدانه لأعز الناس على قلبه ، فعندما علم بموت أمه وهو في منفاه اشتعلت النيران

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤٤٦.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٣٣٣.

في قلبه ، وكأنها السهام أصابته في سويداء القلب ، شعور بفقدان أحب الناس إلى قلبه ، وفقدان الوطن العزيز عليه ، يقول في قصيدة نظمها رثاء لأمه: (الطويل)

إلى الله أشكو من عوادي النوى سهما من الله أوَّلَ وَهلَةٍ مِن الهاتِكاتِ القَلَةِ أَوَّلَ وَهلَةٍ تَصوارَدَ وَالناعي فَأُوجَ اللهَ وَرَنَّةً فَما هَتَفا حَتَّى نَزا الجَنبُ وَإِنزُوى وَلَه أَرَ خُكماً كَالمَقادير نافِذاً

أصاب سُويداء الفُوادِ وَما أصمى وَما أصمى وَما دَخَلَت لَحماً وَلا لامَست عظما كَلاماً عَلى سَمعي وَفي كَبِدي كَلما فيا وَيحَ جَنبي كَم يَسيلُ وَكَم يَدمى وَلا كَلِقاءِ المَوتِ مِن بَينِها حَتما (١)

أكثر شوقي من الرثاء في ديوانه ، ولعل ذلك نابع من كثرة معارفه الذين تعرف عليهم ، حتى أننا نجده يرثي الشخص في أكثر من قصيدة ، كما حدث مع بشارة تقلا ، لما له من الفضل الكبير عليه والاهتمام به في بداية حياته ، فكان تأثر شوقي بالمجتمع وشعوره أحياناً بضرورة تغيير الواقع للأفضل ، وهذا ما نامسه في أشعاره .

#### العامل النفسى:

يعتبر العامل النفسي من أكثر العوامل تأثيراً في شعر الغربة ، فالعامل النفسي مرتبط بشعور الإنسان وتأثره بمن حوله ، ومرتبط ارتباطاً كبيراً بالواقع الذي يعيشه الشاعر ، فتمثل العامل النفسي في شعر شوقي في مجالات ثلاث هي : تعلق شوقي ببلده مصر وجمالها ، وشيخوخة الشاعر ومرضه ، وقلق الموت ، فهذه العناصر الثلاث تتبلور فيها النواحي النفسية التي بعثت الشعور بالغربة والحنين .

كان شوقي متيماً بوطنه ، مغرماً بجمال مصر ونيلها ، كل شيء في مصر كان له وقع حسن في نفس شوقي ، ولعل الرسالة التي أرسلها شوقي – وهو في منفاه في أسبانيا – إلى رئيس جريدة الأهرام يوضح فيها مدى اشتياقه وحنينه لمصر وللشرب من النيل هي تعبير صادق لما يجول في نفس الشاعر من حب صادق ، ومشاعر جياشة لشخص عانى ويلات الغربة عن أعز ما في الوجود حيث يقول شوقي في هذه الرسالة : ( البسيط )

يا ساكني مِصرَ إنّا لا نَزالُ على عَهْدِ الوَفاءِ وإنْ غِبْنا مُقِيمِينَا هَلاً بَعَثْتُمْ لنا من ماءِ نَه رِكُمُ شيئاً نَبُلُ به أَحْشاءَ صادِينَا

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤٨ - ٥٤٩ .

جاء نداء شوقي لأهل مصر ليؤكد لهم على شدة حنينه لمصر ، مصر الشعب ، ومصر النيل ، ومصر الحضارة ، فيقرب لنا صورة الحنين المتجسد في بعد النيل عنه إلا بالأماني ، وجاء حث شوقي لأهل مصر بأن يبعثوا له من مياه النيل ليبل شوقه وحنينه ، فهو لا يستسيغ المياه بعد نهر النيل ولو كانت مناهل .

وتصل الحالة النفسية إلى أعلى مستوياتها عندما يطأ شوقي بقدمه ثرى مصر بعد سنوات من الغربة ، فللوطن مكانة تسيطر على النفس ، وحبه كامن بين ضلوع المرء ، فأول كلمات قالها شوقي أثناء استقبال الجماهير له بعد عودته من المنفى : ( الوافر )

كَأَنِّي قَد لَقيتُ بِكَ الشَّبابا عَلَيهِ أُقابِلُ الْحَتْمَ المُجابِا عَلَيهِ أُقابِلُ الْحَتْمَ المُجابِا إِذَا فُهِ تُ الْسُهَادَةَ وَالْمَتَابِا (٢)

وَيا وَطَني لَقَيتُكَ بَعدَ يَاسٍ وَلَو أَنِي دُعيتُ لَكُنتَ ديني أُديرُ إِلَيكَ قَبلَ البَيتِ وَجهي

ومن البواعث النفسية عند شوقي تحسره على فترة شبابه ، وحنينه لتلك الأيام ، كل هذه الأحاسيس يجسدها إكثار الشاعر من ذكره فترة الشباب في قصائده ، لاسيما تلك القصائد التي قالها عندما شارف الستين من العمر ، ففترة الشباب أجمل فترات العمر وأحفلها بالأحداث العزيزة على قلب كل إنسان ، يذكر شوقي ذلك في شيخوخته ، فيخاطب أيام صباه ، وأيام شيبه بمجموعة من الأبيات المعبرة حيث يقول : ( الطويل )

أقول لأيام الصبا كلما نات وكيف نات والأمس آخر عهدها جزعت ، فراعتي من الشيب بسمة ومن عبث الدنيا وما عبثت سدى

أما لك يا عهد الشباب مُعيدُ لأمس كباقي الغابرات عهيد لأمس كباقي الغابرات عهيد كاني على دَرْبِ المشيبِ لَبيد له شيبا وشينا والزمان وليد (٣)

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٦٨٨ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ص ١٠٥-١٠٦ .

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٢٤٤ .

فالملاحظ من تلك الأبيات كثرة مدلولات الشباب ، ويقابلها مدلولات الكبر ، وذلك إيحاء من شوقى على عظم حزنه ومعاناته المصاحبة لفترة الشيب ، ولعل أصدق تعبير منه قوله: (جزعت) التي تحمل دلالة الخوف الشديد لما هو قادم في مرحلة الشيب.

إن الشعور بانتهاء فترة الشباب والإقبال على مرحلة الضعف والوهن يترك في النفس ألماً وحسرة ، فمرحلة الشيخوخة يحس الإنسان فيها بدنو الأجل مما يجعله يشعر بنوع من الاغتراب بعدما كان في قمة نشاطه وعنفوانه ، فالقلب يخفق لتلك الأيام ويتمنى أن تعود ؛ ولكن أنّي ذلك فما مضى لا يمكن أن يعود ، يقول شوقى عن ذلك: ( الكامل )

وأنا الوفي مَودَّتي لا تَخلُقُ لَهُ عَلَيكَ لِكُلِّ ذِكرى تَخفُقُ (١)

خَلُـــقَ الـــشَبابُ وَلا أَزالُ أَصــونُهُ قَلب ي إِدَّكَ رِتَ اليَ ومَ غَيرُ مُوَفَّقِ أَيَّامَ أَنتَ مَعَ الشَّبابِ مُوَفَّقُ فَخَفَقتَ مِن ذِكرى الشّبابِ وَعَهدِهِ

أما قلق الخوف من الموت فكان شديد الظهور في شعره ، ولعل ذلك ما أظهر أسباب الاغتراب بشكل واضح عنده ؛ لأن شعور الإنسان بأنه مفارق لهذه الحياة يجعله يشعر بأنه غريب فوق هذه الأرض ، وهذا ما حدث مع شوقي ، حاله كحال كثير من الناس ؛ لكن الشاعر يختلف عن العامة لامتلاكه ملكة الشعر التي يعبر من خلالها عما يجول بين ثنايا قلبه ، فهذا الشعور يغلب على الإنسان في مراحل متقدمة من العمر ، حث يوصى شوقى أبناءه بعدما شعر بدنو الأجل واقتراب الموت منه، يوصيهم بأن الدنيا لا أمان لها ، وأنها فانية لامحالة ، فهي دار ممر وليست دار مقر، حيث يقول: ( الوافر )

فمال وأي رُكْن لا يميل كاني بالحِمام أصابَ رُكني فَخَ رَّ السنَّجِمُ وازدَوَجَ الأُفُ ولُ وأَدْرَكَنِ عِ الْجُ مُ صِ بَايَ عِ الِ زُها الدُّنيا ومنظرُها الجميلُ<sup>(۲)</sup> فللا يغْرُرْكُما وَلَدَيَّ بعدي

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤٤٧-٢٤٥.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص١٢٥.

#### العامل الثقافي:

وللكشف عن هذا العامل عند شوقي ، يتضح ذلك من نهجه في نظم الأشعار وبث الحياة في الشعر العربي من جديد ، والاستفادة من عراقة الشعر العربي القديم (الجاهلي ، صدر الإسلام، الأموي ، العباسي ، الأندلسي) ولعل هذا يندرج تحت الثقافة الكبيرة عنده ، فشوقي قد شعر بالواقع الأليم للأدب العربي الذي أصابه الوهن والضعف، وابتعد كثيراً عن لمعانه وبريقه بعدما كان في أزهى حال ، وأنقى صورة، فعكف على استنساخ التجربة العظيمة للشعر من جديد ، فمعارضات شوقي لكثير من الشعراء في العصور الزاهية للأدب العربي ما هو إلا حنين لتلك الأيام ، وشعور بالاغتراب في وقت ندر فيه من ينظم أشعاراً ترتقي لهذا الأدب العظيم ، والملاحظ في ديوان شوقي كثرة هذه المعارضات، فقد عارض شوقي البحتري في سينيته المشهورة في وصف إيوان كسرى ، وعارض ابن زيدون في نونيته المشهورة في غزل ولادة ، وعارض كعب بن زهير والبويصري في قصيدته نهج البردة ، ومعارضاته المختلفة لأبي نواس ، وكذلك تمثله للمتنبى في مواضع كثيرة من القصائد .

كانت معارضات شوقي وإحياؤه للتراث العربي من خلال أشعاره المرتبطة بالحقبة الزاهية للأدب العربي بمثابة دليل على معاناة شوقي من الانحطاط الذي وصل إليه الشعر ، بعدما عمَّ الآفاق ، وتغنت به الدنيا .

إن بواعث الغربة عند شوقي تتوعت بتنوع الحياة التي عاشها ، ومع الفترة العمرية التي قضاها ، فكل حدث مرَّ بحياته ترك أثراً عليه ، حيث تتوعت هذه البواعث إلى سياسية واجتماعية ونفسية وثقافية .

## المبحث الثالث: أنواع الغربة:

خُلط بين مفهومي الغربة والاغتراب كثيراً ، فالفصل بينهما أمر صعب ؛ لكن الجامع بينهما أن كلاً من الإنسان الغريب والمغترب يشعر بمرارة الأسى والحزن العميق في النفس ، وفي كلا الأمرين يوجد إحساس بالألم والحرقة التي تحتاج لوقت كبير لكي يبرأ الإنسان من ذلك ، وعلى ذلك فالغربة تتنقسم إلى قسمين في شعر شوقى :

## الغربة الداخلية: ( الاغتراب ):

"وهي شعور الإنسان بالانفصال عن مجتمعه ، وإحساسه بأنه غريب داخل وطنه ، يعرف شيخ الإسلام الهروي الأنصاري " بأنه أمر يشار به إلى الانفراد على الأكفاء " ، فالاغتراب يكون بين الناس واغتراب المؤمنيين بين المسلمين ، فالمؤمن الحق مغترب بين المسلمين لأن الإسلام درجة والإيمان درجة ، ثم هناك أعلى درجات الاغتراب وأشدها وحشة وهو اغتراب العلماء بين المؤمنين ، فالعلماء أشد الناس غربة ، المعتزلة غرباء ، والخوارج كذلك ، وفلاسفة المسلمين غرباء ، فقد تعرضوا للسجن والقتل وإحراق كتبهم "(۱).

فالاغتراب موجود في حياة الأمة الإسلامية ، نشعر به في درجات فالرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - يقول: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبي للغرباء ". (٢)

"أما نظرة العالم الغربي للاغتراب فهي مختلفة باختلاف وجهاتهم الفلسفية ، فيرى (فهيجل) : أن الاغتراب في صميم بنية الحياة الكلية حيث يتجسد في ضياع الإنسان بشخصيته الأولى وتحوله لإنسان آخر ؛ لكن ماركس يرى : أن الاغتراب يُرى في حالات اغتراب الإنسان عن عمله وزملائه بحيث لا يكون الإنسان ذاته ، ويفقد حريته واستقلاله الذاتي ويصبح ملكًا لغيره .

أما الاغتراب عند الوجوديين هو البعد عن الوجود العميق للإنسان ، فينظرون إلى الإنسان أنه حر لا يمكن أن يقيد " (٣).

لقد تجسدت الغربة الداخلية عند شوقي في بعض المواقف التي كان يشعر فيها بشدة الشوق إلى تاريخ الأمة الإسلامية ، وتأييده للمواقف العظيمة للقادة الأتراك وانتصاراتهم في بعض المعارك ، فلعل السبب الرئيس للغربة الداخلية عند شوقي كامن في العامل النفسي المتعلق بأمور الدين واحياء التراث العريق للأمة الإسلامية والعربية .

<sup>(</sup>١) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي: فاطمة صحصح ، مرجع سابق ، ص٣٣ .

<sup>(</sup>٢) صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٣٠/١.

<sup>(</sup>٣) بتصرف : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ، ص٣٣-٣٤ .

انقسمت حياة شوقي إلى قسمين: قسم قبل نفيه إلى إسبانيا ، والآخر بعد النفي وعودته إلى أرض الوطن ، فكانت تسيطر على القسم الأول حياة مسخرة لمدح السلطة الحاكمة ، وانشغال بأمور الدولة من خلال سفره للعديد من المؤتمرات خارج الوطن حيث كان مبعوثاً من الحكومة المصرية ، وهذا ما وضحناه في التمهيد .

لقد تجسد الاغتراب في شعر شوقي بالناحية النفسية وشعوره بنوع من الضيق النفسي لما مر عليه في فترات حياته ، حيث ركز شوقي في القسم الأول من حياته على أموره الشخصية ، وفي القسم الآخر سخرها للأمة الإسلامية والعربية ، لذا نجد الاغتراب عند شوقي انطلق من عدة نواح تمثلت في غربة الموت التي تحدث عنه كثيراً في ديوانه ، فيقول في موت أمه مجموعة من الأبيات التي تعبر عن شعوره بالغربة حيث يقول : (الطويل)

إلى الله أشكو من عوادي النوى سهما مسن الهاتكات القلب أوَّلَ وَهلَة مسن الهاتكات القلب أوَّلَ وَهلَة تسوارَدَ والناعي فَأُوجَ ست رَنَّة فَما هَتَفا حَتّى نزا الجَنب وَإِنزوى إِذَا طُوِيَت بِالشّهبِ وَالدُهمِ شَقَةٌ وَلَى مَا لَا كَالأَحداثِ سَهما إِذَا جَرَت وَلَى مَا رَدَ كَما كَالمَقادير نافِذاً

أصاب سُويداء الفُوادِ وَما أصمى وَما أصمى وَما دَخَلَت لَحماً وَلا لامَست عظما كَلاماً عَلى سَمعي وَفي كَبِدي كَلما فَيا وَيحَ جَنبي كَم يَسيلُ وَكَم يَدمى فيا وَيحَ جَنبي كَم يَسيلُ وَكَم يَدمى طَوى الشُهبَ أُوجابَ الغُدافِيَّة الدُهما وَلا كَاللَيالِي رامِياً يُبعِدُ المَرمي وَلا كَاللَيالِي رامِياً يُبعِدُ المَرمي

إن الأبيات سابقة الذكر تبين مرارة الغربة ، فهذه الأبيات أنشأها شوقي وهو في منفاه عندما وصله خبر وفاة أمه عام ١٩١٨م ، فلم يتمالك نفسه من الحزن ، ففقدان الأحبة في حد ذاته أمر ثقيل على النفس ؛ وهل أحب على القلب من الأم ؟! إن شوقي في هذه الأبيات يشعر بألم الفراق ومرارة البعد عمن يحب وقد وارى الموت أقربهم لقلبه وهو في المنفى .

ينظر شوقي إلى الموت بأنه أمر يجب على الإنسان أن يتعظ منه فهو ينطلق من قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " كفى بالموت واعظاً "(٢) ، ويجسد ذلك صراحة في حديثه عن الموت فيقول : ( الهزج )

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٥٤٨ - ٥٤٩ .

<sup>(</sup>٢) الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق/ يوسف النبهاني ، دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٤٢٣هـ - ٢٩٨/٢ ، ط١ ، ٢٩٨/٢ .

أرى المصوت علصى الغبررا هصو الصدنيا في الصدنيا في المصوف في المصو

ه و الجامع أ الكبرى ه و السدرب إلى الأخرى ت م ن عاقب أ ت درى ولا ما يصل العُمرا(١)

لقد أكثر شوقي في الأبيات السابقة من ذكر الموت ، فلم يخلُ بيت منها من ذكره أو الإشارة اليه ، وهذا راجع إلى الجانب النفسي في حياة شوقي ، المتأثر بما يواجهه من أزمات ومتغيرات تلقي بظلالها على إحساسه بالاغتراب .

ويقول في يوم وفاة والده وكان يوم ميلاد ابنته أمينة ، حيث يذكر حال الدنيا أنها غير ثابتة ، ويقول في يوم والعظات : ( السريع )

يا لَيلَة سَمْيتُها لَيلَت يَ الْمَانِهِ اللَّهَ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْفِي فَي فِكْرِهِا وَالْمَوتُ فَي فِكْرِهِا لِيعَلَمَ الْعَافِلُ مَا أَمْسُهُ هَذَا فَتَى يُبْكى عَلى مِثْلِهِ فَي مُصِرَ عَلى حالِها وَيْلِكَ فَي مُصِرَ عَلَى حالِها

لِأَنَّهَا بِالنَّاسِ مَا مَرَّتِ عَلَى سَبِيلِ البَّثِ وَالعِبَرَةِ عَلَى سَبِيلِ البَّثِ وَالعِبِرَةِ مَا يُومُهُ مَا مُنتَهَى العيشَةِ وَهَا يَومُهُ مَا مُنتَهَى العيشَةِ وَهَا يَومُ فَا النَّهُ مَا النَّهُ وَهَا النَّهُ وَهَا النَّهُ وَالغُربَ قَالِ النَّهُ وَذَاكَ رَهِنُ المَوتِ وَالغُربَ قَالِهُ وَذَاكَ رَهِنُ المَوتِ وَالغُربَ قَالْمُ وَتِ وَالغُربَ قَالِهُ وَذَاكَ رَهِنْ المَوتِ وَالغُربَ قَالِهُ مَنْ المَوتِ وَالغُربَ قَالِهُ وَالْعُربَ قَالِهُ وَالْعُربَ قَالْمُ المَوتِ وَالغُربَ قَالِهُ وَالْعُربَ قَالِهُ وَالْعُربَ قَالْمُ المَوْلِ النَّهُ وَالْعُربَ قَالِهُ المَوْلِقُولُ المَوْلِ النَّهُ المَوْلِقُولُ النَّهُ المَوْلِ النَّهُ المَوْلِقُولُ النَّهُ المَوْلِقُولُ النَّهُ المَوْلِقُولُ النَّهُ المَوْلِ النَّهُ المَوْلِقُولُ النَّهُ المَوْلِ النَّالِ النَّهُ المَوْلِ النَّهُ المَوْلِقُولُ النَّالِقُولُ النَّهُ المُولِ المَوْلِقُولُ النَّهُ المَوْلِقُولُ النَّالِقُولُ المَوْلِقُولُ المَوْلِقُولُ المَوْلِقُولُ المَوْلِقُولُ النَّهُ المَوْلِقُولُ المَوْلِقُولُ المُولِ المُنْ المُولِ اللَّهُ المُولِ المُنْ المُولِ المُنْ المُولِ المُولِ المُولِ المَوْلِ الْمُولِ اللْمُولِ اللْمُولِ المُولِ اللْمُولِ اللَّهُ المُولِ اللَّهُ الْمُولِ اللْمُولِ اللْمُولِ اللْمُولِ اللْمُولِ اللْمُولِ اللَّهُ الْمُولِ اللْمُولُ اللْمُولُ اللَّهُ الْمُولُ اللْمُولُ اللْمُولُ اللْمُولُ اللْمُولِ اللْمُولُ اللْمُولُ اللْمُولُ اللْمُولُ اللْمُولِ اللْمُولِ اللْمُولُ اللْمُولُ اللْمُولُ اللْمُولُ اللْمُولُ اللْمُولُ اللْمُولُ اللْمُولُ الْمُولُ الْمُولُ الْمُولُ الْمُولُ الْمُولُ الْمُولِ الْمُولُ الْمُولُ الْمُولُ الْمُولُ الْمُولُ الْمُولِ اللْمُولُ الْمُولُ ال

الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات ، هذا الإحساس عندما يخيم على المرء يشعر بأن الدنيا لا مخلد فيها وأننا إلى زوال ، عبر شوقي عن هذا الإحساس بقوله: (الخفيف)

بَطَلُ المَوتِ في الروايَةِ رُكنٌ كُلَّما راحَ أَو غَدا المَوتُ فيها ذِكرَياتٌ مِنَ الأَحِبَّةِ تُمحى كُلُّ رَسِمٍ مِن مَنزِل أَو حَبيب

بُنِيَ ت مِن هُ هَ يكَلاً وَفُ صولا سَ قَطَ السِترُ بِالدُموعِ بَل يلا بِيلا بيلا بيلا بيلا بيلا سَوفَ يَمشي البلي عَلَيهِ مُحيلا (٣)

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٢٩٤.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص١٩٣ .

<sup>(</sup>٣) السابق: ص ٤٩٠.

فالموت حق على كل البشرية ، فهو نهاية كل إنسان ، فمهما لها وتمتع بخيرات الدنيا لابد له من أن يذوق طعم الموت ، يقول شوقي في ذلك : (الكامل )

والموت حق في البرية قاهر عجبي لحق قام باستبداد

لا جد إلا الموت والإنسان في لعب الحياة ولهوها متماد

من ذم من ورد الشبيبة شوكه حمل المشيب إليه شوك قتاد

حرص الرجال على حياة بعدها حرص الشحيح على فضول الزاد (١)

نرى إحساس شوقي بألم الفراق والشعور بالوحدة والاغتراب بعد فراق أبيه ، وذلك في قصديته التي رثى فيها أباه ، فيقول : (الرمل)

لَيتَ شِعرِي هَل لَنا أَن نَلتَقي مَرَّةً أَم ذا اِفتِ راقُ المَلَ وَين (٢)

ويخاطب أيام الصبا ، تلك اللحظات الجميلة في حياته ، عندما رأى الشيب يغزو حياته، فينشئ الأبيات الآتية : ( الطويل )

أقول لأيام الصبا كلما نأت أما لك يا عهد الشباب مُعيد وكيف نأت والأمس آخر عهدها لأمس كباقي الغابرات عهيد وكيف نأت والأمس آخر عهدها كأني على دَرْبِ المشيبِ لَبيد ومن عبث الدنيا وما عبثت سدى شببنا وشبنا والزمان وليد (٣)

وعندما دنا أجل شوقي بدأ يشعر بالاغتراب الحقيقي ، اغتراب المفارق لهذه الدنيا ، فأخذ ينصح أبناءه بأن الدنيا فانية ، وألا يغروا بها حيث يقول : (الوافر)

كاني بالحِمام أصاب رُكني فمالَ وأيُّ رُكْنِ لا يميالُ وأيُّ رُكْنِ لا يميالُ وأيُّ رُكْنِ لا يميالُ وأدْرَكَني ونَجْمُ وازدَوَجَ الأَفُولُ فَخَرَ السَنَّجَمُ وازدَوَجَ الأَفُولُ فَالْمَيْلُ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالُ وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِقِي وَالْمُعَالِ وَالْمُعَالِي وَالْمُعَالِقِي وَالْمُعَالِي وَالْمُعَالِي وَالْمُعَالِي وَالْمُعَالِي وَالْمُعَالِي وَالْمُعَالِقِي وَالْمُعَالِي وَالْمُعَالِقِي وَالْمُعَالِي وَالْمُعَلِي وَالْمُعَالِي وَالْمُعَالِي وَالْمُعَالِي وَالْمُعَالِي وَالْمُعَالِي وَالْمُعِلِي وَلِي وَالْمُعِلِي وَالْمُعِلْمُ وَالْمُعِلِي وَل

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٢٤٨.

<sup>(</sup>۲) السابق: ص۷۰۸.

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٢٤٤ - ٢٤٥ .

<sup>(</sup>٤) السابق: ص١٢٥.

نعم ، هذا الشعور الذي غزا فكر الشاعر وأحاسيسه جعل اللسان ينطق بتلك النصائح الثمينة التي تظهر حكمة شوقي ؛ لأنه بدأ يقطف ثمار تجاربه في الحياة ، فها هو يستنكر على أهله صمتهم وهدوءهم وهو طريح فراش الموت فيقول في ذلك: ( البسيط )

يا وَيحَ أَهلِيَ أَبلي بَينَ أَعيننِهم وَيَدرُجُ المَوتُ في جِسمي وَأَعضائي عَلَى الفِراش وَلا يَدرونَ ما دائى (١) وَيَنظُ رونَ لِجَن بِ لا هُ دوءَ لَـــهُ

إن شعور شوقى بدنو الأجل في مرضه الأخير أظهر جلياً تلك الغربة التي سيطرت عليه في نهاية العمر ، فجعل يعبر عن تلك الأحاسيس في قصائد أو ضمن أبيات محددة .

لقد ألقى الجانب النفسى بظلاله على إحساس شوقى بالاغتراب ؛ فطفق يعبر عما يسيطر على تفكيره ووجدانه ، وعما يجول في صدره ، من أسى وحزن يذكرها في الأبيات الآتية، فيقول: (السريع)

الخَدُّ مِن دَمعي وَمِن فَيضِهِ يَـشرَبُ مِـن عَـينِ وَمِـن جَـدوَلِ وَالسَّمُوقُ نارٌ في رَمادٍ الأَسي وَالْفِكِ رُ يُدْكِي وَالْحَاشَا يَصَطَلَي كَأَنَّـــهُ الناقوسُ فــــى الهَيكَـــلِ (٢) وَالْقَلِبُ قَوْامٌ عَلِي أَضِلُعي

يشعر شوقي بالوحدة ، والفراق لمن أحبهم ، وأن الليالي أبعدتهم عنه ، فيتذكر الليالي الجميلة التي عاشها معهم ، ويحن لتلك الأيام ، فيبكي هذه الليالي التي مرت مرور البرق فينشئ مجموعة من الأبيات منها: ( الكامل )

أَخَذَت مُخيلَتُها تَجيشُ وَتَبرُقُ (٣) أَبكك لَيالينا القصارَ وَصُدَحبَةً

ويقول أيضاً في تحمله مصائب الدهر: ( البسيط )

صَبِراً عَلَى الدَهِرِ إِن جَلَّت مَصائبُهُ إِنَّ المَصائبَ مِمَّا يَوقظُ الأُمَمَا (٤)

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٥٣٢ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٥٣٢ .

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٥٥٠ .

<sup>(</sup>٤) السابق: ص٥٧٣ .

لا يقف شوقي عند هذا الحد في وصفه لحالته النفسية ، بل يصل به الأمر إلى التضرع شه الله علي الصبر ويأتي له بالفرج ؛ لأن الدنيا ضاقت عليه ، حيث يقول في أكثر من موضع داعياً الله - جلَّ وعز - : (الرجز) يحيا ربَّنا الخطب بُ جليل فكسن مُعينا أيا الخطب بُ المه المه وأعطِنا السامير الجميال فكسن مُعينا أيا الجميال في أكثر من يُسولي الجميال في أكثر من يُسولي الجميال في أكثر من يُسولي الجميال الفرَجال في المُعينا الفرَجال في المُعينا في المُعينات في ال

تجعل الحالة النفسية المرء يفكر في أمور كثيرة ، تخيم الحيرة على تفكيره وخياله ، وذلك بسبب الإحساس بالعزلة في مجتمع متقلب ، لا تضبطه السلوكيات ، مجتمع متغير من حال إلى حال ، فشوقي يعبر عن ذلك في قصيدة له بعنوان (حيران) ، يذكر همومه التي منعته النوم ، وسيطرت عليه الأحزان ، ومن هذه القصيدة الأبيات الآتية : (الكامل)

ذادَ الكرى عَن مُقلَتَيكَ حِمامُ
حَيرانُ مَشبوبُ المَضاجِعِ لَيلُهُ
بَينَ الدُجى لَكُما وَعادِيَةِ الدُجى
تَتَعاوَنانِ وَلِلتَعاوَنِ أُمَّةً
يا أَيُها الطَيرُ الكَثيرُ سَميرُهُ
عانقت أغصاناً وَعانقت الجَوى
أُمُحَرِّمَ الأَجفانِ إِدناءَ الكرى

لَبّ اهُ شَ وقٌ ساهِرٌ وَغَ رامُ
حَ ربٌ وَلَي لُ النائِمينَ سَ لامُ
مُهَ جٌ تُؤلِّ فُ بينَه الأَسقامُ
لا الدَهرُ يَحْ ذُلُها وَلا الأَيّامُ
هَ لَ ري شَةٌ لِجَناحي فِ فَيُقامُ
وَشَ كُوتَ وَالشّكوى عَلَى حَ رامُ
يَهنيكَ ما حَرَّمَ ت حينَ تَنامُ (٢)

ويخاطب قلبه في قصيدة أخرى بألا يجزع لمتغيرات الدنيا ، وأن يصبر على حوادث الدهر ، فحوادث الدهر مستمرة ما استمرت حياة الإنسان ، فيقول : ( الكامل )

عَمَدَت إلِى قَلبي بِسَهمِ نافِدٍ فيه فيه لِمَحت وم القَضاءِ سِهامُ يا قَلبُ لا تَجزَع لِحادِثَةِ الهَوى وَاصِيرِ فَما للحادِثاتِ دَوامُ عَرَفَت قُلوبُ الناسِ قَبلَكَ ما الجَوى وَأَذاقَها قَدرٌ لَهُ أَحكامُ

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٥٤٠.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٩٧٥.

أَنَّ الْحَوادِثَ مُقلَّةً وَقَوامُ (١)

ما كُنتُ أَعلَمُ وَالدَوادِثُ جَمَّةٌ

ويقول أيضاً في معرض حديثه عن تغير الأحوال واختلافها: (الكامل) يا طير مالك لا تهيج لك الجوى نسمات أسحار خطرن رقاق مات الحَمُولي والغَرامُ فلا الصلبا في العالمينَ صِبًا ولا العشاقُ (٢)

إن الحزن عندما يملأ حياة الإنسان يشعر بألم نفسي عميق ، ويؤثر هذا على مجرى حياته، فالقلب يدمع والليل يصبح طويلاً حيث يقول شوقي في ذلك قصيدة مطلعها (القلب يذوب): (الكامل)

قَلَ بُ يَ ذُوبُ وَمَ دَمَعٌ يَج رِي يَا لَيلُ هَلَ خَبَرٌ عَنِ الْفَج رِ حالَ ت نُجومُ كَ دونَ مَطلَعِ فِ لا تَبْتَغ ي حِ وَلاً وَلا يَ سري وَتَطاوَلَ ت جُنحاً فَخُيِّ لَ لي أَنَّ الصَباحَ رَهياَ قُ الْحَ شرِ (٣)

ويخاطب شوقي الزمان الذي غمر الحياة الاجتماعية بالمصائب في ذاك العصر في مجموعة من الأبيات مخاطباً فيها الزمان أن يخفف من وطأته على الناس ، فمصائبه تنسف الجبال فكيف بالإنسان ؟! حيث يقول:

قل لِلزَّمانِ يصلبُّ مِن أحْداثِهِ أَوْ غَمَرَتْ مصائبُه فأغرَقَنا بها واللهُ لا بُدَّ من يومِ تميدُ لِهَولِهِ شُهُ فهناكَ إمَّا طالتِ الأعناقُ ما ط

أوْ لا يصب فما بنا إشفاق والغَمْرُ في و تستوي الأعماق شرك في و تستوي الأعماق شم الْجِبالِ وتُظْلَمُ الآفاق طالت وإما زالَتِ الأعناق (٤)

يصل شوقي إلى قناعة أن الدهر مختلف ومتقلب ، وأنه غير ثابت ، فالزمان يعطيك أياماً تسعدك وتفرحك وستأتيك أزمان تشغلك بمصائبها ، لذلك على المرء أن يتأقلم مع هذا الأمر

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٥٧٥ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٤٤٨.

<sup>(</sup>٣) السابق : ص٥٧٥ .

<sup>(</sup>٤) السابق : ص٥٤٥ .

فهناك أيام جميلة تمر عليه ، وأيضاً أيام مريرة ، فعليه أن يكون ابن يومه ، وألا يكدر حياته بتغيرات الدهر ، فيقول : ( الوافر )

وأعلَ م أنَّ لل دَّهرِ اختِلاف اللهُ وأنَّ السنقُسَ لِلإنسسانِ كُلُّ عَرَف ت سجية السدنيا فدعها

وأنَّ الجددَّ يَضنهُ أو يَضزِلُّ الجددَّ يَضنهُ أو يَضزِلُّ الجددِّ عَلى عليه وزالَ كُللُّ اللهُ على اللهُ على اللهُ على اللهُ اللهُ على اللهُ اللهُ على اللهُ اللهُ اللهُ على اللهُ الله

ويقول شاكياً حزنه وباثاً شجونه ، وإحساسه بالألم في واقع مرير : ( الطويل )

وأشخالُ قابي لو عامت كثيرُ لَهُ مثلُ ما بي أنَّةٌ وزفيرُ وهد خناحيه فكيف يطيرُ وبيبس منها الفرع وهو نضيرُ طويل وليل العالمين قصيرُ ومن مدمعينا جدول وغديرُ (۲) أتشغلُ قلبي الراحُ عن بعضِ ما به ومُصفطربِ لا يهدأُ الأَيكُ تحتَهُ بحرى البين ظُفريه وأذهب ريشه يكاد يلين الجذع من زفراته كلانا غريب في المضاجع ليله أقول له والغُدر بيني وبينه

أما الاغتراب ذو المنشأ السياسي والديني ، فيتمثل في تأثر شوقي بما يجري حوله ، وأكثر ذلك فيما يخص الشؤون الإسلامية آنذاك ، فالحقبة التي عاشها شوقي كانت مليئة بالأحداث السياسية ، فمع بوادر الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م بدأت الأحوال تتغير في مصر والعالم العربي والإسلامي ، فالإنجليز عزلوا الخديوي عباس حلمي الثاني الذي كان شوقي مقرباً منه ، بل إنَّ شوقي يعتبر لسان الخديوي ، وعينوا مكانه السلطان حسين كامل الذي عرف بتقربه من الإنجليز ، فيعبر شوقي عن شعوره بالألم فيقول : (الكامل)

وهو العليمُ بأنَّ قلبي موجَعٌ وجَعاً كداءِ الثَّاكلاتِ دَخيلا(٣)

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٥٠٢ .

<sup>(</sup>٢) السابق : ص٣٢٧ .

<sup>(</sup>٣) السابق : ص٤٤٥ .

فالأمر يأخذ قلب شوقي كل المأخذ ، فيطلق لقلمه العنان ليعبر عن أصعب فترات حياته إبان الحرب العالمية الأولى ، فهو لا يريد أن يسمع ذكراها ؛ لأنها ملأت الدنيا جحيماً وعذاباً ، حيث يقول في ذلك : ( الكامل )

لكن الهم الأكبر الذي أثر كثيراً على شوقي ، وجعله يشعر بالاغتراب الحقيقي هو سقوط الخلافة الإسلامية على يد مصطفى أتاتورك ، فشوقي كان المدافع الأول عن تلك الخلافة ، وذلك لكثرة قصائده فيها ، ومما يظهر آلام الاغتراب في هذا المجال قصيدته في الخلافة بعنوان (خلافة الإسلام) التي أنشأها بعدما ألغى مصطفى أتاتورك الخلافة ونفى الخليفة ، فيقول شوقي : (الكامل)

عادَت أَعاني العُرسِ رَجعَ نُواحِ كُفُّنتِ في لَيلِ الزَفافِ بِثَوبِ فِ كُفُّنتِ مِن هَلَعٍ بِعَبرَةٍ ضاحِكٍ شُديعتِ مِن هَلَعٍ بِعَبرَةٍ ضاحِكٍ ضَدَّت عَلَيكِ مَاذِنٌ وَمَنابِرٌ

وَنُعيتِ بَينَ مَعالِمِ الأَفراحِ وَنُعيتِ بَينَ مَعالِمِ الأَفراحِ وَدُفنِتِ عِندَ تَبلُّجِ الإصباحِ فَدُفنِتِ عِندَ تَبلُّجِ الإصباحِ في كُلِّ ناحِيَةٍ وَسَكرَةٍ صاحِ وَبَكَت عَلَيكَ مَمالِكٌ وَنُواحِ (٢)

نعم ، إن الأسى الذي سيطر على شوقي لما حدث جعله يعبر أصدق تعبير على الحادثة التي هزت كيان العالمين : العالم العربي والإسلامي ، فالكل حزين يعتصره الألم على هذه المصيبة التي لا عزاء لها.

فسقوط الخلافة أسدل الستار عن إحساس شوقي ، هذا الإحساس الصادق الذي ما فتئ يستنهض الهمم من أجل إرجاع هذه الخيمة العظيمة التي كانت نظل المسلمين بظلها ، وتجمعهم بفيها ، فيقول شوقي مجموعة من الأبيات في بعض المؤتمرات التي عُقِدت لإرجاع الخلافة ، حيث عُقِد مؤتمر بالقاهرة وآخر بمكة : (الكامل)

بَعَثُوا الخِلافَةَ سِيرةً في النَّادِي مَنْ بَاتَ يَلتمسُ الخِلافةَ في الكَرَى

أين المُبايع بالإمام يُنَادي للماري المبايع عير خلافة الصباياد

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤١٥.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٢٠٣ - ٢٠٤

اليوم لاسمر الرماح بعدة هيهات عز سبيلها وتقطعت حلت على ذهب المعز طلاسم أين الكرامة والوقار لجثة

تغني ولا بيض الظُبا بعتادِ دون المصراد وسائك المرتادِ ومشت على سيف المعز عوادي نبشوا عليها القبر بعد فسادِ (١)

إنَّ الملاحظ في الأبيات السابقة يرى كمية الأحزان الكامنة في قلب شوقي بسبب سقوط الخلافة، ويرى بكاءه على صرح الخلافة الذي تعرض للهدم بإيعاز من قوى الكفر والطغيان، ورثاءه المر لما وصل إليه حال الأمة الإسلامية بعد ضياع الخلافة، فهذا مصاب جلل أحاط بالمسلمين وبوحدتهم، كل ذلك جعل شوقي يستنهض همم الغيورين على الدين بقوله: "أينَ المبايع بالإمام يُنادي "، وفي الأبيات السابقة يذكّر المسلمين بعزهم ومجدهم التليد، تلك الأيام التي ساد فيها المسلمون مشارق الأرض ومغاربها، وأصبحوا منارة العلم وملجأ العلماء، كل ذلك جعله شوقي مرتبطاً بالخلافة، فمن المسلم به أنَّ شعور الاغتراب ملاً وجدان شوقي فكان وقعه عليه كالصخرة العظيمة المنحدرة من علو على صدره.

ويقول شوقي في حادثة أخرى عندما سقطت (أدرنة) وهي مدينة استولى عليها البلغار عام ١٩١٢ م ثم أعيدت تحت الحكم التركي عام ١٩٢٣ م: (الكامل)

يا أُخت أندلُسٍ عَلَيكِ سَلامُ نَزَلَ الهِلالُ عَنِ السَماءِ فَلَيتَها جُرحانِ تَمضي الأُمَّتانِ عَلَيهِما بِكُما أُصيبَ المُسلِمونَ وَفيكُما

هَ وَتِ الخِلافَ ةُ عَن كِ وَالإِسلامُ طُوِيَ تَ وَعَمَّ العَالَمِينَ ظَلَامُ طُويَ تَ وَعَمَّ العَالَمِينَ ظَلَامُ هَ ذَاكَ لا يَلتَامُ دُفِنَ اليَّراعُ وَغُيِّبَ بَ الصَمصامُ (٢)

لقد جعل شوقي من نفسه مدافعاً عن هموم أمته العربية ، فبعد رجوع شوقي من المنفى أخذ على عاتقه أن يكون لسان قومه ، وذلك من خلال الوقوف بجانب أمته العربية في السراء والضراء ، فكانت الحوادث التي تمر بأي قطر عربي ترخي بظلالها على إحساس شوقي وشعوره، ويتفاعل معها بصدق معبراً بألم وحرقة لما يشعر به تجاه تلك الحوادث ، والأمثلة على

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٢٦٧ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٩٩٥.

ذلك كثيرة في شعره ، فيقول وقلبه يعتصر ألماً لما حدث لدمشق وما فعله الفرنسيون في أهلها عام ١٩٢٦م: ( الوافر )

سَلامٌ مِن صَبا بَرَدى أَرَقُ وَمَع ذِرَةُ اليَراعَ فَ وَالْقَوافي وَمَع ذِرَةُ اليَراعَ فِ وَالْقَوفي وَبِي مِمّا رَمَت في بِيهِ اللّيالي

وَدَمِعٌ لا يُكَفَكَ فُ يَا دِمَ شَقُ جَدَالُ الْرُزءِ عَن وَصَفٍ يَدِقُ جَراحاتٌ لَها في القَلبِ عُمقُ (١)

ويقول في نكبة بيروت عندما ضربها الأسطول الطلياني: (الكامل)

يا رَبِّ أَمــرُكَ فـــي المَمالِـكِ نافِــدٌ وَالحُكـمُ حُكمُـكَ فــي الـدَم المَـسفوكِ

بيــروتُ مــاتَ الأُســدُ حَتـفَ أُنــوفِهِم لَـــم يُــشهروا سَــيفاً وَلَــم يَحمــوكِ

سَـــبعونَ لَيثــاً أُحرقــوا أَو أُغرقــوا يا لَيــتَهُم قُتِلــوا عَلـــي طَبَــروكِ (٢)

أما عن الاغتراب الاجتماعي الذي عاناه شوقي فيما يخص حال المسلمين ، وتركهم شريعة رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – فيقول : ( البسيط ) وقَوْمَ أحمدَ قدْ ضَالُوا شريعَتَه وضَايعُوا كُالٌ إسلامٍ وإيمان (٣)

إنَّ التغيرات التي أصابت الأمة الإسلامية لم يستطع شوقي السكوت عنها ، فآثارها أشعلت في صدره ناراً عندما رأى خير أمة أخرجت للناس تبتعد عن الطريق الذي رسمه الله (عز وجل) لها ، فالقوم لم يلتزموا بتعاليم دينهم ، فلا إسلام باق ولا إيمان .

يلاحظ مما سبق أن الغربة الداخلية عند شوقي متمثلة في عدة نواحٍ ، عبر عنها ضمن قصائده المتتاثرة بين ثنايا ديوانه ، فشعوره بالاغتراب تركز في ذكره للموت وتعبيره المستمر عن ذلك في رثاء عدد كبير من الشخصيات ، وأيضاً الحالة النفسية عنده ونظرته لما يحدث معه ، وكل إنسان يتأثر بواقعه ، فوجدنا عدداً من الأبيات التي تحمل مضمون الاغتراب ذي المنشأ النفسي ، كما كان للواقع السياسي للعالم الإسلامي والعربي ومتغيرات الدنيا التي لا تثبت على حال أثر على شعوره بالوحدة .

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤٤٦.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٤٦٩.

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٧١٣ .

### الغربة الخارجية:

تختلف الغربة الخارجية عن الغربة الداخلية ( الاغتراب ) فالمرء فيها يشعر بألم الفراق عمن يحبهم من أهل ووطن وأصدقاء ، فالغربة الخارجية الألم فيها كبير ؛ لأن الإنسان مجبر عليها ، فشوقي عندما نفي إلى أسبانيا بدأت مرحلة جديدة في حياته ، مرحلة قلبت الموازين في كيان هذا الشاعر ، فراح يصدح بأقوى الأشعار في شوقه للوطن وحنينه له .

عاش شوقي تجربة الغربة عن الوطن مراتٍ عديدة ، وكان ذلك في بداية حياته عندما سافر لطلب العلم في فرنسا ، ومنها إلى بريطانيا وزيارته التاريخية للجزائر عندما كان مريضاً ، ورحلاته المتكررة مندوباً عن الحكومة المصرية في المؤتمرات التي عقدت في بلاد أوروبا ، وكذلك مرافقته أحياناً للخديوي عباس في زياراته للآستانة في تركيا ؛ لكن تجربة الغربة تلك كانت بمحض إرادته ، فغربته محدودة الأجل ؛ لذلك لم تتج قريحته الشعرية أدباً خلال تلك الفترات يبين مدى إحساسه بالغربة، وشعوره بالأم والمرارة لفراق أهله ووطنه .

لقد ذاق شوقي مرارة الغربة منذ ركوبه البحر متجهاً إلى منفاه في أسبانيا ، ومنذ اللحظة الأولى بدت عليه ملامح الأسى والحزن ؛ لأنه يعرف أن مقامه سيطول في تلك البلاد ، فيقول شوقى في ذلك : ( الخفيف )

وَسَلا مِصرَ هَل سَلا القَلبُ عَنها كُلَّما مَرْتِ اللَيالي عَلَيهِ كُلَّما مَرْتِ اللَيالي عَلَيهِ مُ

أُو أُسا جُردَ فُ الزَمانَ المُؤَسِّي رَقَّ وَالْعَهدُ فَي اللَيالِي تُقَسِي أَوَّلَ اللَيلِ أَو عَوَت بَعدَ جَرسِ (١)

لقد سببت الغربة جرحاً غائراً في قلب شوقي ، يزداد كلما طال بعده عن مصر ويزيد من شوقه وحنينه ، فالقلب لم ينسها بل إنّه يستطار عندما يسمع صوت البواخر قادمة ، لعلها تصحبه معها عائدة به إلى الوطن الغالى .

عندما نزل شوقي في إسبانيا – وكان مقامه على إحدى شواطئها – اشتعلت بداخله نار الحنين إلى الوطن والشوق له ، وأخذت الغربة منه كل مأخذ ، فيخاطب البحر بينما هو سائر على الشاطئ ، ويرى السفن تغدو وتروح تتقل المسافرين والبضائع ، فليس باستطاعته الصعود إلى إحداها لتحمله إلى وطنه ، وكأن الذنب يعود إلى البحر الذي تتحرك فوقه السفن ؛ فيقول : (الخفيف)

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٣٨٤ .

يا اِبنَةَ الميَمِّ ما أَبوكِ بَخيلٌ أحرامٌ عَلى بَلابِلِهِ الصدو كُلُلُ دارِ أَحَدقُ بِالأَهِلِ إِلّا

ما لَهُ مولَعاً بِمَنعٍ وَحَبسِ<sup>(۱)</sup> حُ حَللٌ لِلطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ في خَبيثٍ مِن المَذاهِبِ رِجسِ<sup>(۲)</sup>

إن الحياة التي عاشها شوقي امتازت براحة البال والهدوء والطمانينة ؛ لأنه عاش في كنف القصر والسلطة ، فكم جلس على النيل وتمتع بجماله الساحر ، كل تلك الخواطر تركت أثراً عميقاً في قلب الشاعر ، يتذكر ذلك وقت الغربة فتثار عواطفه فينشئ الأبيات الآتية: ( البسيط ) هِجتُنَّ لي لَوعَةً في القلب كامِنةً والجُرحُ إِن تَعترِضهُ نَسمةٌ يَثُرِ فَعَ مَعلَى الْجَيسَو وَالنّهَ وَالجُرتُ مِصرَ وَمَن أَهُوى وَمَجلِسَنا عَلى الجَزيرَةِ بَينَ الجِسرِ وَالنّهَ رِ وَالنّهَ مَ صفرَةٌ تَجرى لِمُنحَدَر (٣) وَالنّهَ عَلى المُنكِ وَالآفِيةُ وَالشّمَسُ مُصفَرَةٌ تَجرى لِمُنحَدَر (٣)

يكتوي قلبه بنار البعد وألم الغربة فيخاطب الحمام خطاب العاشق المحب للوطن بعدما ضاقت عليه الدنيا ، يصرح بما يجول في صدره فيقول أجمل الأبيات في حب الوطن والتعلق به: ( الطويل )

أَبُثُ كَ وَجدي يا حَمامُ وَأُودِعُ وَأَنتَ مُعينُ العاشِقينَ عَلى الهَوى وَأَنتَ مُعينُ العاشِقينَ عَلى الهَوى أَراكَ يَمانيّاً وَمِصرُ خَميلَت ي هُما اِثنانِ دانٍ في التَغَرّبِ آمِنٌ هُما اِثنانِ دانٍ في التَغَرّبِ آمِنٌ وَمن عَجَبِ الأَشياءِ أَبكي وَأَشتكي

فَإِنَّكَ دونَ الطَيرِ لِلسِرِّ مَوضِعُ تَئِنُ فَنُصغِي أَو تَجِنُ فَنَسمَعُ كَلِانا غَريبٌ نازِحُ الدارِ موجَعُ وَناءٍ عَلى قُربِ الديارِ مُروعُ وَناءٍ عَلى قُربِ الديارِ مُروعُ وَأَنتَ تُعَنِّي في الغُصونِ وَتَسجَعُ (٤)

نرى مدى الألم المسيطر على شوقي في الأبيات السابقة ، فالعشق كله لمصر التي غُرِّب عنها وأبعد ، فوجع الغربة جعل البكاء ينهمر من عينيه ، وصقل ربة الشعر عنده لتعبر تعبيراً صادقاً عما يشعر به .

<sup>(</sup>١) في الديوان كتبت كلمة (يا ابنة) هكذا ، والصواب أن تكتب (يا بنة) لأنها وقعت بعد أداة نداء .

<sup>(</sup>٢) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٣٤٤.

<sup>(</sup>٤) السابق: ص٤١٣ .

ولعل أصدق تعبير عن الغربة الخارجية في شعر شوقي نجده في القصيدة الرائعة التي قالها في منفاه في أسبانيا بعنوان ( أندلسية ) هذه القصيدة اشتملت على أبيات عبرت عن الأسي والحزن الكبيرين داخل قلب الشاعر ، حيث تسيطر عليه ذكريات الأندلس ويشبه ما لقيته الأندلس من ضبياع واندثار لماضي المسلمين التليد فيها ، وما لاقاه من غربة وضبياع ، فكلاههما سلب منه ما يحب ، فجاء رثاء شوقي نفسه مراً قاسياً في مطلع تلك القصيدة قائلاً: (البسيط)

> يا نائِحَ الطَلح أَشباهٌ عَوادينا ماذا تَقُصُ عَلَينا غَيرَ أَنَّ يَداً رَمِى بنا البَينُ أَيكاً غَيرَ سامِرنا كُـلٌّ رَمَتـهُ النّـوى ريـشَ الفِراقُ لَنــا إذا دَعا الشّوقُ لَم نَبرَح بِمُنصدِع فَإِن يَكُ الجِنسُ يا إِبنَ الطَلح فَرَّقَنا

نَـشجى لِواديـكَ أَم نَأســـى لِوادينـــا قَصَّت جَناحَكَ جالَت في حَواشينا أَخَا الغَريب وَظِلًّا غَيرَ نادينا سَهماً وَسُلَّ عَلَيكَ البَينُ سِكّينا مِنَ الجَناحَينِ عَلَيِّ لا يُلْبَينا إِنَّ المَصائِبَ يَجمَعنَ المُصابِينا(١)

فشوقي هنا بدأ بالنداء ليفصح عمًا بداخله ، فالبدء بالنداء يجذب انتباه السامع ليشاركه في المأساة التي يعيشها الشاعر ، وخاطب النائح ؛ لأنهما يشتركان في المأساة نفسها ، فكلاهما مبعد ومعذب ، فالمعاناة التي يعيشانها مريرة ، فما يزيد الشاعر ألماً أنه مقيم فوق أرض كانت للمسلمين ، وعمروها لثمانية قرون كانت من أزهى الأماكن في بلاد المسلمين ، وها هو نازح إلى هذا المكان العزيز على قلب كل مسلم ، فتوجع شوقى لا يوصف فالمأساة عظيمة ، والمصيبة كأنها مصيبتان وذلك واضح في قوله: (البسيط)

آها لَنا نازحي أَيكٍ بِأَندَلُسِ وَإِن حَلَانِا رَفِيقًا مِن رَوابينا رَسِحٌ وَقَفْنًا عَلَى رَسِمِ الْوَفَاءِ لَـهُ نَجِيشُ بِالدَمع وَالإِجِللِ يَثنينا (٢)

عاني شوقي من سنوات النفي التي تحمل فيها ألم الغربة ، فأُجبر على الصبر والتحمل ، حيث يذكر صبره على ألم الغربة ، ويعبر عن النائبات التي حلت عليه بعد الرخاء والهناء في وطنه ، فيقول : ( البسيط )

جئنا إلى الصبر ندعوهُ كَعادَتِا

في النائباتِ فَلَم يَأْذُ ذ بأيدينا

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٦٨٠.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص ٦٨١.

حَتّے أَتَتَا نَواكُم مِن صَياصينا تُميتُا في في ذِكراكُم وَتُحيينا (١)

وَما غُلِبنا عَلى دَمعٍ وَلا جَلَدٍ وَنابغي مَا غُلِبنا عَلى المَالِم المَلْمِي المَالِم المَلْمِينِي مَالِم المَالِم المَلِي المَالِم المَلْمِي المَالِم المَالِم المَالِم المَالِم المَالِم المَالِم المَالِم ال

فهمومه كثيرة حتى أن الدمع تحجر في مقاتيه ، فينادي على الصبر ؛ لكن الصبر لم يسعفه، فالفراق والبعد قد غلبه فلم تستطع عينه على الدمع ، فأصبح ليله كليل النابغة الذبياني ليل طويل لكثرة همومه ، فالنابغة يقول في وصف الليل : (الطويل) كلينسي لِهَمَّ يسا أُميمَسة ناصِسبِ وَلَيسلٍ أُقاسسيهِ بَطسيءِ الكواكِسبِ تَطاوَلَ حَتَّى قُلتُ لَسِيسَ بِمُنقَسٍ وَلَيسلٍ اللهُ في يرعى النُجومَ بِآيِبِ (٢)

من أصعب لحظات الغربة عندما تفقد شخصاً عزيزاً عليك وقد طواه الموت ، وأنت لا تستطيع أن تودعه بسبب نفيك خارج وطنك ، هذا ما حصل مع شوقي عندما فقد والدته وهو في المنفى ، فلم يستطع أن يودعها ، الأمر الذي ترك مزيداً من الأسى بقلبه ، وزاد من شعوره بالغربة ، فيبكي أمه في قصيدة جسدت الآلام الغائرة في قلبه ، يشكو فيها إلى الله الغربة التي أبعدته عن أعز من في الوجود ؛ فيقول : (الطويل)

تُعْرف الأندلس بجمالها وسحر طبيعتها ومناظرها الخلابة التي قلما تجد في الكون مثيلاً لها؟ لكنَّ شوقي لا يذوق لذلك طعماً ، فمن نشأ بمصر وابتعد عنها عنوة لا يمكن أن ينسى أجواءها وحياتها الرغيدة ، فكل الجنان لا تساوي هذا الوطن ، يبين شوقي ذلك في القصيدة نفسها التي بكى فيها أمه حيث يقول : ( الطويل )

نَزَلِتُ رُبِي الدُنيا وَجَنَّاتِ عَدنِها فَما وَجَدَت نَفسي لِأَنهارِها طَعما (٤)

(١) الشوقيات: ص ٦٨٠.

<sup>(</sup>٢) ديوان النابغة الذبياني: ت/ عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٣، ١٩٩٦م، ص٢٩٠.

<sup>(</sup>٣) الشوقيات: ص٤٨٥.

<sup>(</sup>٤) السابق: ص٥٥٠ .

بلغ إحساس شوقي بالغربة مبلغاً عظيماً ، فها هو يعاهد أهل مصر أنه باق على العهد والتمسك بالوطن ، فالوطن مغروس في سويداء قلبه ، لا يستغني عنه رغم كل محاولات العدو لطمس تاريخه وتهجير أبنائه ، فيرسل شوقي برسالة لداود بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام ، تحمل في طياتها حنيناً للوطن وتعبيراً عن آلام الغربة ، فيتمنى أن يشرب من النيل ويروي عطشه ويبل شوقه لوطنه ، فالماء لا طعم له بدون النيل ، ثم يتألم في آخر الرسالة بأن النيل أصبح بعيداً كل البعد عن أمنياته حيث يقول : (البسيط)

يا ساكني مِصرَ إنّا لا نَزالُ على عَهْدِ الوَفَاءِ وإِنْ غِبْنا مُقِيمِينَا هَلاً بَعَثْتُمْ لنا من ماءِ نَه رِكُمُ شيئاً نَبُلُ به أَحْشاءَ صادِينَا كَلُ المَناهِلِ بَعدَ النّيلِ آسِنَة ما أَبْعَدَ النّيلَ إلاّ عَنْ أَمانِينَا (١)

تترك هذه الأبيات جروحاً في قلب حافظ إبراهيم (شاعر النيل) الصديق المقرب لأحمد شوقي، فينشئ مجموعة من الأبيات يبين مدى شوق مصر ونيلها لشوقي، ويصفه بالبلبل المغرد الذي يطرب النيل وأهله، فشوقي في القلب مهما فرقت بينهما المسافات، وتحكم به المحتل الغاشم، إن حافظ إبراهيم في هذه الأبيات يخفف من آلام شوقي، ويشعره بأنه في قلوب المصريين، وأن مصر لن تتساه، وأنهم على العهد باقون، قائلاً: (البسيط)

عَجِب ثُ لِاني لِ يَدري أَنَّ بُلبُلَهُ صادٍ وَيَ سقي رُبا مِصرٍ وَيَ سقينا وَلِ النَّهِ مِن عَي شِهِم لينا وَاللَّهِ ما طابَ لِلأَصحابِ مَورِدُهُ وَلا الرَّضَوا بَع دَكُم مِن عَي شِهِم لينا لَا مَا عَن مُ وَاللَّهِ مَا طَابَ لِأَصحابِ مَورِدُهُ وَإِن فَارَق تَ شَاطِئَهُ وَقَد نَأَينا وَإِن كُنّا مُقيمينا (٢)

إن أبيات شوقي المرسلة ورد حافظ عليها تبين مدى قوة العلاقة بين هذين الشاعرين الكبيرين، فكلاهما يقاسي من ظلم المحتل وبطشه بمصر وأهلها ؛ لكن ألم الغربة المسيطر على شوقي يختلف عمن يقيم بداخله ، فنار الغربة يصعب السيطرة عليها ، لأن وقودها موجودة آثاره باقية أمام ناظري الشاعر ، فهذه الجراح لا يمكن أن تبرأ بسهولة ، وما هذه الأبيات إلا نتاج طبيعي لما يقاسيه الشاعر في غربته .

عاد شوقي من منفاه بعد خمس سنوات عانى فيها من ألم الغربة والحنين للوطن ، أنشأ الكثير من القصائد التي حملت بداخلها همومه وأحزانه ، فغلب عليها طابع الحالة النفسية لما

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٦٨٨.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٦٨٨ .

قاساه هناك ، كان المضمون لهذه القصائد واحداً ؛ لأنه خرج من معاناة واحدة ، فكانت العودة للوطن بمثابة عودة الروح للجسد ، أكمل شوقي بقية حياته في وطنه ؛ لكن الشعور بالغربة لم يفارق نفسه وشعوره ؛ لأن الفترة التي قضاها في الأندلس عاصرت أحداثاً جساماً مرت بها مصر ، فكان ينتهز ذكرى هذه الأحداث ليطلق لقلمه العنان في التعبير عما يُكِنُ من أحاسيس تجاه الوطن، ففي قصيدة الحرية الحمراء التي أنشأها في احتفالات يوم ١٣ نوفمبر لسنة تجاه المهرجان السنوي لذكرى ثورة ١٩١٩ م ، بعث برسالة قلبه تجاه هذه الذكرى التي حرم من معايشتها حيث كان في منفاه ، فيقول : (الكامل)

يَومَ البُطولَةِ لَو شَهدتُ نَهارَهُ غُنِك تُ حَقيقَتُهُ وَفاتَ جَمالُها لَولا عَوادي النَفيِ أَو عَقَباتُهُ لَجَمَع تُ أَلوانَ الحَوادِثِ صورَةً وَحَكيتُ فيها النيلَ كاظِمَ غَيظِهِ

لَنَظُمْتُ لِلأَجيالِ ما لَم يُنظَمِ
باعَ الخَيالِ العَبقَ رِيِّ المُلهَ مِ
وَالنَف يُ حالٌ مِن عَذابِ جَهَنَمِ
مَثَّاتُ فيها صورة المُستَسلِم
وَحَكَيتُ لهُ مُتَعَيِّظاً لَم يكظِمِ

هذه المرحلة التي طبعت مظاهر الأسى والحزن على حياة شوقي ، يراقب من بعيد ما يجري في وطنه ، ويتمنى أن يشارك هذا الوطن مقاومة المحتل ؛ لكن العدو أبعده عن مرابع طفولته ، وأزهى بقعة في المعمورة بالنسبة للشاعر ، فيذكر في تلك الأبيات هذه المرحلة التي منعته من التعبير عما يعانيه الوطن .

لقد اختار شوقي أسبانيا منفى له ، هذا البلد الجميل الذي يحمل عبقاً من تاريخ أمتنا الإسلامية في عصرها الذهبي ؛ لكن ألم الغربة أفسد عليه التمتع بجمال هذه المناظر الرائعة ، فشوقي لم ينس أن يقدم الشكر للأندلس عندما سمح له بالعودة إلى الوطن ، فأخذ يودع الأندلس بمجموعة من الأبيات التي تحمل الوفاء والعرفان حيث يقول : (الوافر)

وَداعاً أَرضَ أَندَلُسٍ وَهَدَا
وَما أَثنَيتُ إِلّا بَعد عَلمٍ
تَخِذتُكِ مَوئِلاً فَحَلَلتُ أَندى
مُغَرِّبُ آدَمٍ مِن دارِ عَدنٍ

تَ ائي إِن رَضيتِ بِهِ ثَوابِا وَكَم مِن جاهِلٍ أَثنى فَعابِا فَكَم مِن جاهِلٍ أَثنى فَعابِا ذُراً مِن وائِلٍ وَأَعَانَ غابِا وَأَعَانَ غابِا قَصاها في حماك لِي إغترابا (٢)

<sup>(</sup>۱) الشوقيات: ص٢٠٤-٦٠٥.

<sup>(</sup>۲) السابق: ص۱۰۵.

تلك أبيات ترسم صورة من حياة شوقي التي جسدت الغربة أبعادها ، فشوقي متيم بالأندلس وبجمالها ؛ لكن إحساسه بالغربة وأنه مكره على البقاء فيها ترك في نفسه غصة من علقم منعته من التلذذ بهذا الجمال ، فلقد أبدى شوقي الثناء والشكر والعرفان لبلاد الأندلس التي ضمته في أحضانها خمس سنوات من غربته عن وطنه .

بعد سبع سنوات من انتهاء مأساة شوقي نجده يخرج بقايا آلامه التي تركتها الغربة غائرة في صدره ، فنسيان تلك المرحلة محال ، فقول شوقي : والنفي حال من عذاب جهنم ما هو إلا تفريخ لانفعالاته القديمة التي حرمته من وطنه خمس سنوات ، يبين من خلال تلك الأبيات أنه كان يتمنى مشاركة وطنه تلك الأحداث ؛ ليرسم بكلماته هذه الحوادث التي لا تتسى من تاريخ بلده ، فهذه القصيدة جزء من قصائد قالها شوقي بعد غربته ، حيث عبر عن الغربة بأبيات متتاثرة في عدد من قصائده ، ففي مقتل أحد عشر طالباً مصرياً من طلاب بعثة للعلم في أوروبا عام عدد من قصائده ، ففي مقتل أحد عشر طالباً مصرياً من البلاد جثامينهم استقبالاً حافلاً شاركت فيه جميع أطياف الشعب المصري ، حيث يقول ضمن هذه القصيدة أبيات عن الغربة وأحوالها ، الطويل )

ألا في سَبيلِ اللّهِ ذاكَ الدّمُ الغالي وَبَعضُ المَنايا هِمَّةٌ مِن وَرائِها أَعَينَيَ جودا بِالدُموعِ عَلى دَمٍ تَناهَت بِهِ الأَحداثُ مِن غُربَةِ النّوى

وَلِلْمَجِدِ ما أَبقى مِنَ المَثَلِ العالي حَيالَةُ لِأَقَالُ العالي حَيالًا لَأَجيالًا لِأَجيالِ كَريم المُصفقي مِن شَبابٍ وَآمالِ للمُصفقي مِن شَبابٍ وَآمالِ لللهِ عَلَيْ مِن غُربَةِ الدَهرِ قَتَالًا (١)

إن الغربة أخرجت الأحاسيس الكامنة داخل شوقي ، فالشعر يزدهر في الأحزان والآلام ، والنفي الذي تعرض له شوقي جعل ربة الشعر تشتعل داخل هذا الشاعر الكبير ، فأصبح شوقي بعد غربته يتأثر بكل إنسان مغترب قد ذاق من الغربة ألواناً ، حيث يقول في تكريم للموسيقار سامي الشوا : ( البسيط )

ذكَّرتَ خَلْقًا وَراءِ البَحرِ مُغْتَرِباً مَالْفًا وَصَدباباتٍ وَأَوْطَانا (٢)

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص ٥٢٤.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص ٦٩٦.

لقد عاش شوقي نوعين من الغربة ، كانت الغربة تلك واضحة جلية ، حيث عاشها في المنفى لمدة خمس سنوات ، امتلأت بتعابير وأحاسيس صادقة ومختلطة بالحرقة والألم ، وظهرت ضمن مجموعة قصائد أنشأها في الأندلس المسماة بالأندلسيات ، حيث اشتملت على خليط من مشاعر الغربة والحنين للوطن ، وذكر لماضي الأندلس إبان الحكم الإسلامي فيها ، فجاءت أبياتها معبرة عن إحساسه بالغربة في المنفى ، ورفضه الواقع المرير الذي يعيشه ، وبعض الأبيات التي قالها بعد عودته للوطن والتي اشتملت على معاني الغربة ، أما الغربة الثانية التي وجدت ضمن حياة شوقي ولم ترتبط بمكان معين فهو شعوره بالاغتراب أحياناً ، وظهر ذلك في بعض قصائده، حيث اختلط هذا الإحساس بأحاسيسَ أخرى في مجمل حياته ، وكان شعوره بالاغتراب كامناً في حالات نفسية سيطرت على الشاعر ، وذكره الموت ودنو الأجل ، وحديثه عن واقع الأمة الإسلامية قبل سقوط الخلافة وبعدها .



# الفصل الثاني الحنين في شعر أحمد شوقي

عند الحديث عن الحنين لا يمكن الفصل بينه وبين الغربة ، فكلاهما متلازمان تلازم الروح للجسد ، فالغربة هي المسبب الرئيس للحنين ، والحنين ظاهرة إنسانية وشعور أصيل في النفس البشرية ، فالنفس البشرية تحن لكل شيء ترك فيها إحساساً لأمر ما ، حيث يعد الحنين من الدوافع الفطرية عند الإنسان ، فهو مرتبط بالشعور الإنساني ووجوده .

إن غرض الحنين مسيطر على الشعر العربي ؟ لأن الشعر ما هو إلا تعبير عن أحاسيس نائمة أو منومة داخل النفس للحنين فيها الجزء الأكبر ، فعندما يقال الشعر لا بد أن يبث بداخله جزءاً من هذه الأحاسيس . فالإنسان كتلة من المشاعر المتداخلة تظهرها التجارب التي يخوضها في معترك الحياة ، ولعل الحنين مرتبط ارتباطاً كلياً بإحساسه بالغربة أو الاغتراب ، وكما للغربة أسباب وبواعث فهناك للحنين كذلك ، وأكثر باعث للحنين هو الغربة عن الأهل والديار ، حيث يقول حازم القرطاجني : " ولما كان أحق البواعث بأن يكون هو السبب الأول الداعي إلى قول الشعر هو الوجد والاشتياق والحنين إلى المنازل المألوفة وألافها عند فراقها ، وتذكر عهودها وعهودهم الحميدة فيها ، وكان الشاعر يريد أن يبقي ذكراً أو يصوغ مقالاً يخيل فيه حال أحبابه ويقيم المعاني المحاكية لهم وكاحوالهم أحبوا أن يجعلوا الأقاويل – التي يودعونها المعاني المخيلة يجعل المعاني أمثلة لهم ولأحوالهم أحبوا أن يجعلوا الأقاويل – التي يودعونها المعاني المخيلة لأحبابهم المقيمة في الأذهان صوراً هي أمثلة لهم ولأحوالهم – مرتبة ترتيبا ينتزل من جهة موقعه من السمع منزلة ترتيب أحويتهم وبيوتهم "(۱).

إن الحنين مرتبط بعنصرين أساسين هما: اللذة والألم، فشعور الإنسان بالألم في واقعه الجديد يذكره بالأيام الجميلة، تلك الأيام التي تمثل له عنصر اللذة في وقت مضى، وقد تكون اللذة والراحة مرتبطة بزمن معين كأيام الشباب والذكريات الجميلة، وقد تكون وليدة مكان يعز على المرء فراقه كحنين المبعد عن وطنه لأسباب النفى أو التهجير، " فهناك جدلية بين اللذة

<sup>(</sup>۱) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني ، تحقيق / محمد الحبيب بن الخوجة ، دار المغرب الإسلامي – بيروت ، ط ٣، ١٩٨٦ ، ص ٢٤٩ . انظر : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : فاطمة صحصح ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ .

والألم ، كما بين الغربة والحنين ، أو الحاضر والماضي ، فأحد الحدين متضمن في الآخر ، فالغربة تستدعي الطلم " (١)

" إن الحنين مرتبط بثقافة الفرد الذي يمثل مناخ الأدب على أنواعه ، والفن ، وعلم التراث، وكل ماله بالإبداع والخلق والحس المرهف ، هذا المناخ الفني المبدع الذي نسميه بمجال الحنين العربي . ذلك أن الحنين نتاج العمل النفس اجتماعي ( بمعنى العمل النفساني ) الجمعي الذي يعبر عن محاكاة حاضرة وراهنة للماضي بهدف استعادته والتحالف معه ؛ لتغيير الواقع الراهن المحبط والمقلق . فمجال الحنين هو نتيجة باهرة وفذة لعملية الخلق الفكري والأدبي العربية (وكل أمة منكوبة ومكبوتة تتتج أيضاً مجال حنينها) ، وككل عملية إبداعية فإن مجال الحنين عملية دفاعية لها وظيفة تحويل الماضي الجامد إلى حاضر متحرك يعيش راهناً في وجدان الإنسان الخدِّق فيقطع عليه وحدته ، وذلك أن في الحنين أسوة حسنة تشعر الإنسان الصابر بأنه ليس مقطوعاً من شجرة ، وبأن الصعب يمكن أن يمضي وتعود بعده الأيام إلى مجاريها ". (٢)

# المبحث الأول: الحنين لغة واصطلاحاً:

#### أولاً: الحنين لغة:

جاءت كلمة الحنين في اللغة بمعنى: " الشديدُ من البُكاءِ والطَّربِ وقيل : هو صوتُ الطَّرَبِ كان ذلك عن حُزْنٍ أَو فَرَحٍ ، والحَنِينُ الشَّوْقُ وتَوَقانُ النَّفس والمَعْنَيان متقاربان" (٦) ، حيث يقال : " حَنَّ إليه يَحِنُ حَنِيناً فهو حانٌ والاسْتِحْنانُ الاسْتِطْرابُ واسْتَحَنَّ اسْتَطْرَبَ "(٤) ، والحنين : الشوق (٥) " وحَنَّت الإِبلُ نَزَعَتْ إلى أَوْطانِها أَو أَوْلادِها والناقةُ تَحِنُ في إثْرِ ولَدِها حَنِيناً تَطْرَبَ مع صَوْت وقيل حَنِينُها نِزَاعُها بصوتٍ وبغير صوتٍ والأَكثر أَن الحَنين بالصَّوْتِ "الصَّوْتِ "المَالِقُ " .

الجذر اللغوي للحنين من مادة (حنن) ، فأدغم حرفا النون فأصبح (حنَّ) وحنّ حنيناً ، وقد وردت بعض الكلمات المشاركة للحنين من نفس الاشتقاق ، فجاءت كلمة الحّنان وهو اسم من

<sup>(</sup>١) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ، مرجع سابق ، ص١٥.

<sup>(</sup>٢) المجال النفس اجتماعي العربي: د. عباس مكي ، معهد الإنماء العربي – بيروت ، ١٩٩١ ، ص١٠٧-

<sup>(</sup>٣) لسان العرب لابن منظور ، مادة (حنن ) ، ١٢٨ / ١٢٨ - ١٢٩ .

<sup>(</sup>٤) السابق : ١٢٩/١٣ .

<sup>(</sup>٥) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ، المكتبة الإسلامية - إستانبول ، ص٢٠٤

<sup>(</sup>٦) لسان العرب لابن منظور ، مادة (حنن ) ، ١٣٩/ ١٢٩.

أسماء الله - جل وعز - ويعني الرحيم بعباده . والحَنَان الرحمةُ والعطفُ ، ومنه قوله تعالى مخاطباً نبيه يحيى -عليه الصلاة والسلام -: ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكُوةً ۗ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾(١) والحِنَّةُ بالكسر رقَّةُ القلبِ .

إن الظاهر من تعريفات الحنين اللغوية جميعها أنها مرتبطة بالعواطف ، سواء أكان صوتاً أم اشتياقاً ، أم نزوعاً إلى الوطن ، فالحنين يدل على الصوت والشوق والطرب والرحمة .

### ثانياً: الحنين اصطلاحاً:

الحنين في الاصطلاح له نصيب من اشتقاقاته اللغوية ، فالحنين هو الشوق واللهفة لكل عزيز على النفس قد بَعُد عنها ، وهو بذلك شعور داخلي ينتج عن ألم يعانيه الإنسان نتيجة فقده أشياء عزيزة عليه .

ارتبط مفهوم الحنين عند القدماء بالوطن والديار ، وقد صنف الجاحظ رسالة في الحنين إلى الأوطان ، وذكر فيها مجموعة من الأبيات لعدد من الشعراء في الحنين للوطن ، ومدى ارتباطهم بتلك الديار التي مثلت لهم حياة وروحاً ، حيث يقول : " فاوضتُ بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار والنزاع إلى الأوطان، فسمعته يذكر أنه اغترب من بلده إلى آخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخصب من جَنَابه، ولم يزلُ عظيمَ الشأنِ، جليلَ السلطان، تدين له من عشائر العرب سادتها وفتيانها، ومن شعوب العجم أنجادها وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا راغبٌ إليه، أو راهبٌ منه ؛ فكان إذا ذكر التربة والوطن حنّ إليه حنينَ الإبل إلى أعْطانِها "(٢)".

ربط الجاحظ الحنين في رسالته بالوطن من حيث أنه السبب الرئيس للحنين ؛ ويرى الباحث أن بعض النقاد القدامى اعتبروا الحنين غرضاً شعرياً : كالغزل ، والفخر ، والهجاء ، والمديح ، وباقي الأغراض الشعرية الأخرى ، ولعل الحنين يدخل في غالبية الأغراض تلك ؛ لكن قدامة بن جعفر قصر الحنين ضمن باب النسيب حيث قال : " قد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة ، والبروق اللامعة ، والحمائم الهاتفة ، والخيالات الطائفة ، وآثار الديار العافية ، وأشخاص الأطلال الداثرة " (٣) .

<sup>(</sup>١) سورة مريم : آية رقم ١٣ .

<sup>(</sup>٢) الحنين إلى الأوطان: لأبي عثمان الجاحظ، دار الرائد العربي - بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ص ٦. والأعطان هي مبارك الإبل عند الماء، وهي جمع عطن. انظر لسان العرب: ٢٨٦/١٣.

أفرد مؤلفو الحماسات باباً خاصاً بالحنين ، وأسموه باب الحنين إلى الأوطان ، فابن الشجري في حماسته خصص باباً للحديث عن الحنين إلى الأوطان ، ذكر فيه أقوال لبعض الشعراء في الحنين منها قول عمرو بن الوليد بن عقبة ( المكنى بأبي قطيفة ) في حنينه للمدينة ، فيقول : ( الطويل )

ألا ليت شعري هل تغيّر بعدنا أم الدورُ أكنافُ البلاطِ عوامرٌ أجننُ إلى تلكِ البلادِ صَبَابَةً إذا برقت نحو الحجازِ سحابةٌ فلم أناً عنها رغبة عن بلادِها

جنوب المصلى أو كعهدي القرائنُ من الحي أم هل بالمدينة ساكنُ كأني أسيرٌ في السلاسلِ راهن دعا الشوق مني برقُها المتيامنُ ولكنّه ما قدر الله كائنُ (١)

وذكر الزجاجي في أماليه أبياتاً في حنين الإبل لبعض الأعراب فيقول: أنشدنا الأخفش قال أنشدنا المبرد لبعض الأعراب: (الطويل)

حَنَّتُ قَلُوصِي آخرَ اللَّيلُ حَنَّةً فيا روعةً ما راعَ قَلبي حَنِينُها سَعِت في عِقالَيها ولاحَ لعينِها سنا بارقٍ وهناً فَجُن جُنونُها تَحِن ُ إلى أهلِ الحجازِ قرينُها فقد نُ الله فقد راعَ أهلَ المسجدينِ حنينُها (٢) فيا رب أطلق قيدها وجريرها

وقد عُرِف عن الأعراب تعلقهم بإبلهم وذكرها بكثرة في أشعارهم ، والإبل عندها ظاهرة الحنين لمنازلها ولأبنائها ، فالشاعر يصف حنين ناقته الذي ترك أثراً في قلبه .

يعتبر الحنين ظاهرة واضحة في الشعر العربي منذ البدايات الأولى لكتابة الشعر ، فوقوف الشعراء على الأطلال في بداية قصائدهم ما هو إلا حنين لها ولمحبوباتهم ، ويرى الباحث أن ذكر الأطلال في القصيدة كان سمة من سمات الشعر العربي أو ما يعرف بـ ( المقدمة الطللية ) ويمتاز هذا النوع من الشعر بصدق العاطفة ؛ لأن التجربة الشعورية نابعة من ثنايا القلوب ،

<sup>(</sup>۱) الحماسة الشجرية : ابن الشجري ، تحقيق / عبد المعين الملوحي و أسماء الحمصي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ۱۹۷۰ ، ص ٥٦٨ – ٥٦٩ .

<sup>(</sup>۲) أمالي الزجاجي : لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي ، تحقيق / عبدالسلام هارون ، دار الجيل – بيروت، ط۲ ۱۹۸۷ ، ص ۲۰۰ – ۲۰۱ . الحماسة الشجرية ص ۲۰۶ – ۲۰۵ ، وهذه الأبيات لم أقف على قائلها .

وإحساس الشعراء المرهف بفقدان من يعزونهم ، فالحنين وليد مجموعة من العوامل النفسية تخيم على الشاعر في وقت محدد فينشئ أشعاراً تلخص تلك العواطف .

لقد أخذ الحنين من عنترة كل مأخذ ، فجعل دموعه تجري وتنهمر انهمار الأمطار على تلك الأيام الخوالي التي مثلت الحياة التي عشقها وتمنى أن تعود ، فهذا غيض من فيض من الشعر الجاهلي على الحنين سواء الحنين للوطن أو للمحبوب أو للذكريات الجميلة .

وفي عصر صدر الإسلام كثر شعر الفتوحات الإسلامية التي تغرب فيها الشعراء مبلغين دين الله في أصقاع الأرض ، فظهر الحنين للمنازل وللأهل والأحبة ، يتغنون بأرضهم وجمالها، "وها هو أحدهم ابتعد عن موطنه (نجد) ولكنه لا يفتأ يكرر طرفه صوب دياره فيها ، يحن اليها ويتغنى بمفاتنها ؛ فترابها مسك وعنبر وزهر الأقاحي يرسم لوحة رائعة في تلك الأرض ، وهو وإن كان لا يستطيع أن يراها لبعده عنها إلا أن صورتها محفورة في قلبه ، ولكن هذه النظرات الوالهة سرعان ما تثيره للبكاء ، ومن ثم فهو لا يجد راحة لقلبه وقد شغل إما بحرب وإما بالنزوح والاغتراب ، فيقول : (الطويل)

أكرر طرفي نحو نجد وإنني حنيناً إلى أرض كأن ترابها بالدد كأن الأقحوان بروضة

إليه وإن لم يدرك الطرف أنظر - الإليه وإن لم يدرك الطرف وعنبر - الأقاحي وشي بُردٍ محبَّر محبَّر

<sup>(</sup>۱) شرح ديوان عنترة بن شداد : الخطيب التبريزي ، تحقيق : مجيد طراد ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط۱، ۱۹۹۲م ، ص ۸٤ .

أما في العصر الأموي فحاله يشبه عصر صدر الإسلام ، حيث ظهرت فيه مجموعة من الأسباب الباعثة للحنين ، فالفتوحات الإسلامية التي امتدت إلى خارسان شرقاً ، وكثرت التنقلات مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية ، أضف إلى ذلك ما يعيشه الشعراء في حياتهم ، فهذا الشاعر جرير بن عطية أشهر شعراء عصره يحن إلى أماكن دياره التي غاب عنها ، فيصف الغربة بأبشع الصفات ، فيقول : ( الوافر )

عَف ا نَهِ ا حَمامَ ا قَ الجَواءُ لِط ولِ تَب ايُنٍ جَ رَتِ الظِباءُ فَمِ نَهُم مَ ن يَق ولُ هُ وَ الجَ لاءُ فَمِ نَهُم مَ ن يَق ولُ هُ وَ الجَ لاءُ أَمِ نَهُم مَ ن يَق ولُ هُ وَ الجَ لاءُ أَدِ نَ إِذَا نَظَ رِثُ إِلَى سُ هَيَلٍ وَعِن دَ اليَ أَسِ يَنقَطِعُ الرَجاءُ (٢)

ففي تلك الأبيات ينعت الغربة بالشؤم ؛ لأنها جعلت الناس يعتبروها جلاء وغربة بعيدة ، فالنجم يذكره بأرضه ويشعل نار الحنين بداخله ، فهو لم يقطع اليأس ويرجو بأن يعود إلى المكان العزيز عليه .

لقد كثر الحنين في العصر العباسي بقسميه ، وأمثلته كثيرة في هذا العصر الحافل المليء بأشعار شملت جميع أغراض الشعر العربي ، والشعراء في هذا العصر أكثروا من شعر الحنين بشى أنواعه ، فالشاعر أبو فراس الحمداني يحن لمحبوبته حنيناً أثار الشوق بداخله ، وحرك أشجانه لبعده عنها ، حيث يقول : (الطويل)

لَعَلَّ خَيِالَ العامِرِيَّةِ زائِرُ فَيُسعَدَ مَهجورٌ وَيُسعَدَ هاجِرُ وَيُسعَدَ هاجِرُ وَيُسعَدَ هاجِرُ وَيُسعَدَ هاجِرُ وَإِنِّي عَلَى طولِ الشِماسِ عَنِ الصِبا الَّذِي الْجَادِرُ (٣)

<sup>(</sup>١) الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني : مرجع سابق ، ص١٠٧-١٠٨ .

<sup>(</sup>٢) ديوان جرير : جرير بن عطية العامري ، دار بيروت للطباعة - بيروت ، ١٩٨٦ ، ص١٣٠ .

<sup>(</sup>٣) ديوان أبي فراس الحمداني: مرجع سابق ، ص١٢٤. والشِّماس: الامتناع والإباء. الجآذر: جمع الجؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية، تشبه به المرأة واسعة العينين.

لقد كان حنين الشاعر لمحبوبته كبيراً ، فقد سيطر الشوق والوصل عليه مما زاد من حنينه وتعلقه بمحبوبته العامرية ، فالحنين عند أبي فراس في تلك الأبيات جسد الحنين إلى المحبوب ، وهو ضرب من ضروب الحنين .

إنَّ الشعر في العصر الأندلسي اتسم بمجموعة من السمات أبرزها سيطرة غرض الحنين على مجموعة كبيرة من الشعراء ؛ وذلك يرجع لتعلقهم ببلادهم وشوقهم لبلاد المشرق التي يحبون أن يعيشوا في أكنافها ويحادثوا أهلها ، وأمثلة الحنين في هذا العصر كثيرة لا حصر لها وأفردت لها مجموعة من الأطروحات العلمية ، ومثال الحنين في هذا الشعر ما قاله ابن خفاجة الأندلسي في حنينه لبلدته وللأمكنة الجميلة ولمن سكنها من الأحبة ، فيقول : (الطويل)

فَأَسَكُنَ أَنفاسًا وَأَهَدَأَ مَصَجَعا مَعَاطِفَ هاتيكَ الرُبِي ثُمَّ أَقَسْعا تُحَطُّ الصَبا عَنها مِنَ الغَيمِ برُقُعًا وَحَسبُكَ مُصطافاً هُناكَ وَمَربَعًا (١)

أَلا هَلُ اللَّهِ الْمَلِ الْجَزِيرَ وَ أُوبَةً وَاللَّهُ الْمَدِي الْمَدِي وَأَعْدو بِواديها وَقَد نَصْمَحَ النَدى أُغُلَالَةِ سُلَّةً أُغُلَالَةٍ سُلَّةً وَأَعْدن فِنا دار إلَا يَ حَبِيبَةٍ وَأَبِانَ فِنا دار إلَا يَ حَبِيبَةٍ

فالشاعر في هذه الأبيات يتمنى العودة إلى بلده ، ويحن لتلك الجزيرة التي خيم جمالها على تفكيره وأحلامه ، فيطلق لتلك الأحلام العنان لتجول في تلك الديار وترسم له صورة أحبها الشاعر وعايشها في تلك البلاد ، يحن لمحبوبة وللمناظر الجميلة ، فهذه النفس الأندلسية التي عشقت الجمال ، ولعل شوقي تأثر بجمال تلك البلاد وتاريخها العريق فجعلته ينشئ أجمل القصائد في الحنين إلى الوطن .

إن القارئ للشعر العربي يجد كثرة ظاهرة الحنين بداخله ، حيث إن الشعراء لم يفردوا غرضاً خاصاً بالحنين في قصائد مستقلة ، بل كان ذلك ضمن قصائد تتتمي لأغراض أخرى ، كالغزل ، والوصف .

<sup>(</sup>۱) ديوان ابن خفاجة الأندلسي: تحقيق / عبد الله سنده ، دار المعرفة - بيروت ، ط۱ ، ۲۰۰۲ ، ص ۱۸۹-۱۸۹ .

## المبحث الثاني: الحنين في شعر أحمد شوقى:

إنَّ الحنين هو شوق عارم وانفعال شديد لتلك الأحاسيس الداخلية للإنسان ، تثيرها مجموعة من العوامل ، فتدفع ربة الشعر لقول أصدق الألفاظ وأعذبها تعبيراً لما هو موجود داخل نفس الشاعر ، هذا الحنين الذي ظهر جلياً في شعر شوقي في مراحل عدة من حياته ، ولعل أبرز تلك المراحل هي غربته عن وطنه .

تعددت أغراض الحنين عند شوقي وتتوعت ، وبعضها أخذ نصيب الأسد من هذا الغرض ، فكانت النسبة متفاوتة بين تلك الأنواع ، فالحنين إلى الوطن خيم على أشعار المنفى التي أنشأها وهو في منفاه ، حيث اتسمت هذه الأشعار بطابع الشوق الجارف والحنين الملتهب للوطن العزيز على قلب الشاعر ، فالحديث يطول عن هذا الغرض حيث جاء على عدة مطالب مقسم كل منها على حدة وقد جاءت كالآتي :

### المطلب الأول: الحنين إلى الوطن:

يرتبط لفظ الحنين للوهلة الأولى بالوطن ، وذلك للعلاقة الوطيدة بين الإنسان ووطنه ، فتعلق المرء بالوطن أمر فُطِر عليه البشر بل كل الكائنات ، فالطيور مثلاً تهاجر وترجع إلى موطنها الأصلي ، وباقي الكائنات الحية ، " ومنذ القديم ارتبط الشّوق والحنين بالوطن ، فصار الحنين إلى الأوطان شائعاً في كل العصور سواء للوطن والقبيلة والحي أم الشّعب والأمة الكبيرة ، وسواء أكان مسقط رأس أم لم يكن، فالحنين إلى الأوطان انتماء وولاء وحب وحنين "(۱) .

بدت مظاهر هذا الغرض عند شوقي وانجلت معالمها بعد نفيه عن وطنه إلى آخر يوم في حياة هذا الشاعر الكبير ، عاش شوقي بداية حياته حياة هادئة مطمئنة تمتع فيها بخيرات وطنه وأخذ يسافر لعدد كبير من البلاد العربية والغربية ، كانت هذه المرحلة قبل نفيه عن وطنه واتخاذه لإسبانيا مكاناً للنفي ، في تلك الفترة لم يجرب شوقي البعد الحقيقي عن الوطن ، فكان الحنين للوطن أمراً طبيعياً عنده مثله كمثل أي إنسان يعيش على ثرى وطنه ، هذا الأمر جعل من شعره في الحنين للوطن يقتصر على مناسبات وأيام معدودة تحدث فيها عن الوطن وجماله وسحره الخلاب الذي يسلب النفس .

٧١

<sup>(</sup>١) الحنين والغربة في الشعر العربي: د. يحيى الجبوري ، دار مجدلاوي ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ص١٠.

لقد برز الحنين إلى الوطن في شعر شوقي بروزاً ظاهراً جلياً خلال فترة النفي ، خمس سنوات قضاها امتلأت حياته فيها حنيناً وشوقاً ولوعةً للوطن ، هذا الحين من الدهر غذى ربة الشعر عند شوقي وأنبتها نباتاً حسناً ، فأخذ شوقي يصدح بأعذب الأشعار في حنينه للوطن ، معبراً عن آلام البعد عن وطنه ، فحنين شوقي إلى وطنه انقسم إلى قسمين : قسم إبان نفيه إلى الأندلس ، وكان هذا القسم أقوى وعاطفته أشد ، وقسم آخر قاله بعد عودته من المنفى وعبر فيه عن صدق المشاعر تجاه وطنه بعدما ذاق ويلات الغربة والبعد عن الوطن .

تجلى الحنين إلى الوطن في قصائد عديدة ، أكثرها وضوحاً ما قاله في المنفى من قصائد عرفت بالأندلسيات ، فالشاعر لم ينس بلاده ، ومتعلق بها تعلقاً شديداً ، حيث يقول في ألم البعد عن الوطن وشدة الشوق له : ( الخفيف )

أَو أَسَا جُرِدَ فُ الزَمَانَ المُؤَسَّي رَقَّ وَالْعَهَدُ فَي اللَّيَالِي ثُقَسِّي رَقَّ وَالْعَهَدُ فَي اللَّيَالِي ثُقَسِّي أَو عَوْت بَعَدَ جَرسِ كُلُّمًا ثُرنَ شَاعَهُنَّ بِنَقَسِ (١)

وَسَلا مِصرَ هَل سَلا القَلبُ عَنها كُلَّما مَرْتِ اللَيالِي عَلَيهِ كُلَّما مَرْتِ اللَيالِي عَلَيهِ مُ مُستَطارٌ إِذَا البَواخِرُ رَبَّت مُستَطارٌ إِذَا البَواخِرُ رَبَّت راهِبٌ في الصَلُوع لِلسَّفَنِ فَطنُ وَطَنْ

لقد عانى شوقي من الغربة وامتلك الحنين لوطنه كل خياله ، فطفق ينشئ تلك الأشعار لكي يصبر نفسه ؛ ولكن هيهات هيهات فالجرح غائر ، والعدو ظالم ، فشوقي يتخيل أن له صاحبين يخاطبهما ويطلب منهما أن يسألا وطنه سؤالاً غرضه النفي المطلق هل نسيها قلبه العاشق المحب ، أو استطاع الزمان المداوي أن يعالج جروحه ، فجواب شوقي النفي المطلق ، ومن المعروف أن طول فترة البعد عن الوطن يمكن أن تنسي الإنسان بعض الذكريات في وطنه ؛ لكن شوقي كسر هذه القاعدة فما زادته طول الليالي إلا شوقاً وحنيناً وتعلقاً بالوطن ، فمصر محفورة في قلبه لايستطيع نسيانها أو أن يتخيل الحياة بدونها ، لقد عاش شوقي بجانب شاطئ البحر وكانت إقامته بجانب إحدى الموانئ في إسبانيا ، فكان كلما سمع صوت البواخر تجدد أمل العودة عنده إلى مصر ، فقلبه يخفق عندما يسمع تلك البواخر لعلها تصحبه معها إلى مصر ؛ لكنه يصاب بحسرة شديدة عندما تذهب من غير أن تأخذه معها فيشبها بالذئب المخادع الذي حمل له الفزع وقطع الأمل في العودة إلى وطنه ، ولقد تحول قلب شوقي إلى راهب متعبد باق على عهده لمصر بالحب والشوق يتابع حركات السفن فهي السبيل الوحيد لإرجاعه إلى وطنه ،

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٣٨٤.

لم ينته حنين الشاعر بل أخذ يخاطب السفن لعلها ترأف بحاله وتعطف عليه ، فيقول: ( الخفيف )

يا بنَة اليمِّ ما أبوكِ بَخيلٌ أحرامٌ عَلَى بَلابِلِهِ السَدَو أحرامٌ عَلَى بَلابِلِهِ السَدَو كُلُ دارٍ أَحَلَ قُ بِالأَهِ لِلَّا إِلَّا فَصَلَى اللَّهُ السَّلَ اللَّهُ السَّلَ اللَّهُ اللْمُلْمُ الللْمُلِمُ اللْمُلْمُ الللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ الْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُلُمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ الل

ما لَهُ مولَعاً بِمَنعٍ وَحَبِسِ (۱)

حُ حَلالٌ لِلطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ

في خَبيثٍ مِنَ المَذاهِبِ رِجِسِ

بهما في الدُموعِ سيري وأرسي

كِ يَدَ الثَّغرِ بَينَ رَملٍ وَمَكسِ (۲)

إن حنين المغترب إحساس لا يوصف ، يدفع صاحبه إلى مخاطبة الجمادات ليواسي نفسه ، فشوقي هنا يخاطب السفينة ويذكرها أن أباها البحر كريم مع جميع الناس فلماذا يبخل عليه ويجعله حبيساً في أرض المنفى ؟ لكن شوقي يحدد أصل هذه المعاناة ألا وهو الاستعمار الظالم الذي يسلب خيرات الوطن ويستبيح كل شيء ، ويمنع أصحاب الأرض تلك الخيرات بل ويطردهم عنها ، فشعور شوقي بالظلم جعله يؤصل لحكمة مفادها أنَّ أصحاب الأرض لهم الحق الكامل بأرضهم وخيراتها ، وكل وطن أحق بأبنائه ، ولا ينكر هذا إلا من تنكر للإنسانية واتبع المذاهب النجسة ، فشوقي عندما عرف الحقيقة المرة بأنه لن يعود إلى وطنه بهذه السهولة اكتفي بإرسال التحيات مع السفن بحيث يجعل من أشواقه وقوداً ومن دموعه بحراً تسير فيه وترسي تلك السفن على شواطئ مصر حاملة الأشواق والتحيات من شاعر تعلق بمصر وشواطئها .

إنَّ جمال الطبيعة في الأندلس خلاب يسلب العقول والنفوس ، هذه الأجواء عايشها شوقي في تلك البلاد ؛ لكن هم الغربة والشوق الجارف والحنين اللامتناهي لوطنه حرمه من تلك الأجواء، حيث يقول: ( الخفيف )

وَطنَ لَ و شُغِلتُ بِالخُلدِ عَنهُ وَهَف إِللَّهُ الْخُلدِ عَنهُ وَهَف إِللَّهُ اللَّهُ لَم يَغِب عَن جُفونى

نازَعَتني إلَيهِ في الخُلدِ نَفسي ظَمَا للسَوادِ مِن عَينِ شَمسِ ظَمَا للسَوادِ مِن عَينِ شَمسِ شَخصه ساعة وَلَم يَخلُ حِسي (٣)

<sup>(</sup>١) في الديوان كتبت كلمة (يا ابنة) هكذا ، والصواب أن تكتب (يا بنة) لأنها وقعت بعد أداة نداء .

<sup>(</sup>٢) الشوقيات: ص٣٨٤.

<sup>(</sup>٣) السابق: ص ٣٨٤.

يظهر من تلك الأبيات عظيم الشوق والحنين الذي ملك كيان الشاعر ووجوده ، فقد بالغ شوقي مبالغة كبيرة في حبه للوطن حيث النفس المتعلقة بالوطن التي لا ترضى به بديلاً ، حتى لو كان في جنات الخلد لتمنى العودة للوطن ، وهذا من الخيال ؛ لكنه يبين مدى شوق الشاعر وحنينه لوطنه ، فشوقي استخدم حرف الشرط لو وهو حرف امتناع لامتناع ، ثم يرسم لنا شوقي تلك الصورة الرائعة في مدى حنينه للوطن ، ففؤاده ظمآن لمناطق عدة في مصر ، وقلبه مشتاق ليروي العطش الشديد لمصر وأهلها وضواحيها لا سيما (عين شمس) التي قضى فيها فترة من ريعان شبابه ، ثم يشهد الله ( جل وعز ) على ما في قلبه من حنين إلى مصر ، فمصر لم تغب عن إحساس شوقى وبصره .

إنَّ الحياة التي قضاها شوقي في منفاه لم تنسِه مصر وأهلها ، بل زاد الحنين من تعلقه بوطنه مما جعله يرسم أجمل أبيات الشوق والحنين إلى الوطن ، فيجلس مع نفسه ويذكر هذا البلد العظيم ، يتذكر لياليه وحياته بين ربوع مصر وخيراتها ، فينشئ قائلاً في قصيدة ملئت شوقاً وحنيناً : ( البسيط )

لَكِنَّ مِصرَ وَإِن أَغضَت عَلى مِقَةٍ عَلى مِقَةٍ عَلى مِقَةٍ عَلى مَوانِيهِ ارَقَّ تَمائِمُنا مَلاعِ بُ مَرِحَ ت فيها مَآرِئُنا مَلاعِ بُ مَرِحَ ت فيها مَآرِئُنا وَمَطلَع لِ سُعُودٍ مِ ن أُواخِرِنا وَمَطلَع لِ سُعُودٍ مِ ن أُواخِرِنا بِنّا قَلَم نَخلُ مِن رَوحٍ يُراوِحُنا بِنّا قَلَم نَخلُ مِن رَوحٍ يُراوِحُنا كَأُمٌ موسى عَلى إسم اللّه تَكفُلُنا وَمِصرُ كَالكَرِم ذي الإحسان فاكِهَةً وَمصرُ كَالكَرِم ذي الإحسان فاكِهة

عَـينٌ مِـنَ الخُلَـدِ بِالكَافُورِ تَـسقينا وَحَـولَ حافاتِها قامَـت رَواقينا وَرَبَّ عَ أَنِـسَت فيها أَمانينا وَرَبُّ لِجُـدُودٍ مِـن أَوالينا مِحن بَـرِبٌ لِجُـدودٍ مِـن أَوالينا مِـن بَـرٌ مِـصرَ وَرَيحانٍ يُغادينا وَبِالسمِهِ ذَهبَـت فـي الـيَمِّ تُلقينا لِحاضِرينَ وَأَكَـوابٌ لِبادينا (۱)

لقد جاءت تلك الأبيات بعيد حديث شوقي عن الأندلس ورثائها ، فيستدرك قوله بأنَّ مصر تلك الأم الحنون هي جنة الله في أرضه ، هذا الشعور الممزوج بالحنين والشوق لمصر أباح عن مفارقات كثيرة في وصف مصر بأوصاف تعجز الكلمات عن توضيحها ، إنَّ نظرة شوقي لمصر مليئة بالعرفان للوطن الأم ، فإن تقطعت السبل به فأمه الحنون ( مصر ) تسقيه من أعذب العيون ، ثم يكمل شوقي تلك الصورة التي تجسد الحنين لمصر بذكر خيراتها وتذكر ماضيه الجميل بها ، يصرح شوقي بما يجول في صدره بأن الفراق لم ينسه تلك الليالي فرائحة مصر

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص ٦٨١ .

الزكية تملأ أنفه وفكره ، وريحانها ما زال يجدد له الأمل في عودته الحتمية لمرابع طفولته وصباه، يشبه شوقي مصر بأم موسى (عليها السلام) عندما ألقت ابنها موسى (عليه الصلاة والسلام) في اليم لا تريد الهلاك له بل أن هذه الطريقة الوحيدة لنجاته ، وكذلك مصر حنونة على أبنائها تكفلهم اسم الله وتدعو لهم بالسلام والأمان ، فهي كريمة معهم تعطي ولا تنتظر والواجب على أبنائها أن يردوا هذا الإحسان، وذلك ما يذكره شوقي في مواطن أخرى لرد الجميل لوطنهم الأم مصر .

لقد نبت الحزن وتغلل بداخل شوقي في منفاه ، هذا الحزن من الفراق والبعد عن الوطن ترك الشاعر يدعو عناصر الطبيعة لمشاركته في أحزانه ؛ ليخفف من الضغط النفسي الرهيب الواقع على إحساس شوقى ووجدانه ، حيث يقول : ( البسيط )

يا سارِيَ البَرقِ يَرمي عَن جَوانِجِنا بَعدَ الهُدوءِ وَيَهمي عَن مَآقينا للْمَا تَرَقَرَقَ في دَمعِ السَماءِ دَماً هاجَ البُكا فَخَضَبنا الأَرضَ باكينا اللَيكُ يَصْهَدُ لَم نَهتِكُ دَياجِيَهُ عَلى نِيامٍ وَلَم نَهتِكُ دَياجِيَهُ عَلى نِيامٍ وَلَم نَهتِكُ دَياجِيَهُ وَالسَنَجُمُ لَم يَرَنا إِلّا عَلى قَدَمٍ قِيامَ لَيلِ الهَوى لِلعَهدِ راعينا (۱)

يدعو شوقي البرق ليشاركه تلك الأحزان ، فالحنين أخذ منه كل مأخذ ، بل إنَّ قلب شوقي يخفق كما يخفق البرق لذلك يطلب شوقي من البرق أن يساعده في التخفيف مما أثقل جوانحه وأن ينوب عنه بالبكاء ، فدمع الشاعر يكاد يجف من شدة المصيبة وهولها ، عمد شوقي إلى عناصر الطبيعة لتشاركه أحزانه مرة أخرى ، فهاهي السماء تبكي لمأساة الشاعر فينخلط دمع السماء ودمع الشاعر الذي سال دماً مخضبين الأرض التي اكتست بلون أحمر .

انتقل شوقي بعد وصف شدة حنينه للوطن وذكر مآسيه ومشاركة الطبيعة له ؛ ليدلل على العلاقة بين عناصر الطبيعة وتاريخ مصر العريق ، فالليل يشهد على أن أجدادنا لم يغدروا أحداً، بل كانوا مثالاً للفارس الحق وللشجاعة فلا يستغلون الليل لغفلة الناس فهم شجعان يتحلون بصفات العزة والوفاء ، فشوقي يفتخر بأجداده المسلمين بوفائهم للعهود ليدلل على أنه مثلهم ، فهو باق على عهده مع أحبابه ومع أم الأحباب كلهم مصر العزيزة على قلبه ، فمصر أرض

۷۵

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص ٦٨١ .

الأبوة والميلاد وفيها قضى الشاعر أجمل لحظات حياته ، يصف ذلك في أبيات تحمل بداخلها الشوة الحادف المصد قائلاً: ( السيط )

الشوق الجارف لمصر قائلاً: (البسيط) أرضُ الأبُروة وَالمديلادِ طَيَّبَها كانَات مُحَجَّلَة فيها مَواقِقُنا كانَات مُحَجَّلَة فيها مَواقِقُنا لَو إستَطَعنا لَخُصنا الجَوَّ صاعِقَة سَعياً إلى مِصرَ نقضي حَقَّ ذاكرنا كنار بِحُلوان عِندَ اللّه نطلبُه لَا في عَابَ كُلُّ عَزينٍ عَنه غَيبَتنا لِذا حَمَانا لمِصر أو لَا في شَجناً إذا حَمَانا لمِصر أو لَا في شَجناً

مَرُ الصِبا في ذُيولٍ مِن تَصابينا غُيرًا مُسَلَسسَلَةَ المَجري قَوافينا غُيرًا مُسَلَسسَلَةَ المَجري قَوافينا وَالبَرَ نارَ وَغييً وَالبَحر غِسلينا فيها إذا نَسسِيَ السوافي وَباكينا خير الوَدائِعِ مِن خيرِ المُؤدّينا خير المُؤدّينا لَا مِن نَواحينا لَا مُ نَدر أَيُ هَوى الأُمّين شاجينا (١)

إن ذكر شوقي المتكرر لوطنه لهو خير دليل على شدة الحاجة التي ألمت به ، فإحساس شوقي المرهف وحنينه لوطنه جسّد هذا الشعر المليء بالإحساس والعاطفة الفياضة ، يذكر أيام صباه وفترة شبابه المليئة بالذكريات الغالية عليه ؛ لكنه يتذكر أن مصر محتلة والعدو استباح خيراتها فهو مستعد لمواجهته بشتى السبل ويعلن الحرب عليه ناراً تلتهم أركان هذا المحتل الظالم الذي سلب العباد والبلاد حريتهم ، كل ذلك من أجل مصر التي تحمل الذكرى ، فهي في قلبه حتى لو نسي كل واف وباك ، يعتصر قلب الشاعر ألماً وقهراً ، فالفراق لم يكن لمصر وحدها ، فهناك أمه التي ربته وأنشأته خير نشأة ، فهوى الأُمَّينِ ملأ قلبه الأم مصر وأمه البيولوجية ، حيث نسب الشوق والحنين لنفسه فهو الذي غاب عن الوطن مكرهاً مبعداً منفياً .

إن الحسرة التي ألمت بشوقي عززت فيه حبه لوطنه ، فقد جسد بشعره أنموذجاً يحتذى في التعلق بالوطن وعدم التفريط فيه ، وعلى الرغم أن شوقي نفي إلى أجمل الأماكن (إسبانيا) ذات الطبيعة الخلابة إلا أن حنينه منعه من التمتع بتلك الخيرات ، والتلذذ بالجمال الساحر للطبيعة هناك، حيث يقول: (الطويل)

نَزَلِتُ رُبى الدُنيا وَجَنَاتِ عَدنِها أَريحُ أُريحُ أُريحَ المِسكِ في عَرَصاتِها إذا ضَحِكَت زَهوا إلَى سَماوَها

فَما وَجَدَت نَفسي لِأَنهارِها طَعما وَإِن لَم أُرِح مَروانَ فيها وَلا لَخما بكيتُ النَدى في الأَرضِ وَالبَأسَ وَالحَزما

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص ٦٨٤-٦٨٣.

لقد زار شوقى أماكن كثيرة تميزت تلك المناطق بالمناظر الخلابة والطبيعة الساحرة ، حيث الجنان والأتهار ؛ لكنه لم يتمتع بها وكيف يشعر بالمتعة والوطن يرزخ تحت نير المحتل الذي أبعدته عنه ؟! تلك حالة من التناقض إذن حلت بشوقي ، يتجول في أجمل مناطق العالم فلا يطعم هذا الجمال ، فالألم ألمان في تلك المنطقة حيث الغربة عن الوطن والتاريخ العريق للمسلمين في الأندلس هذا الملك الضائع التي يحمل عبقات من المسك والطيب ، يحمل رائحة المسلمين في كل مكان في تلك المناطق ، فالأجواء جميلة ممتعة تسعد أي نفس ؛ لكن آلام شوقى لا يمكن معلاجتها بهذه السهولة ، ولعل خبر موت أمه الذي وصله وهو في المنفى نزل عليه كالصاعقة ، حيث فقد إحدى الأُمَّين اللتين تشكلان له خارطة الطريق نحو المستقبل ، فها هو يعبر عن ذلك قائلاً: ( الطويل )

وَلا أُنتِ في ذي الدار زايَلتِ لي هَمّا فَما بَرَحَت من خاطري مصرر ساعَةً إذا جَنَّني اللَّيلُ إهتَ زَزِتُ الْيكُما وَحَنَّ تَ وَاقْيِسٌ وَرَنَّ تَ مَ آذنٌ أتى الدَهرُ مِن دونِ الهناءِ وَلَم يَزَل

فَجَنحا إلى سُعدى وَجَنحا إلى سَلمى وَرَفَّت وُجوهُ الأَرض تَستقبلُ السلمي وَلوعاً بِبُنيان الرَجاءِ إِذَا تَمّا (٢)

فمصر لم تفارق خياله ووجدانه ، وكذلك أمه الغالية عليه ، فكلما حل الليل وأرخى سدوله جاء الحنين معه والاشتياق لكل شبر من مصر وأهلها ، إن الحنين الذي يفوح من جميع أجزاء ذاكرة شوقي يجعل منه نبراساً ينير له الطريق المظلمة في غربته ، فكل شيء يحن لمصر ويتمنى العودة القريبة ليعم الهناء والفرح والسعادة ، والتنعم بسحر الوطن الغالى . إن الهجرة التي فرضت على شوقى غيرت من إحساس شوقى تجاه وطنه ، فإحساس شوقى بمكانة الوطن قبل النفي لم تكن كبعده ، وذلك واضح في أشعاره ، فالوطن ذلك المفهوم الغامض الذي لايمكنه أن تشعر بقيمته إلا عندما يسلب منك ، وهذا ما يذكره شوقى حيث يقول في حنينه للوطن وفرحه عند الإياب إليه: (البسيط)

فَرُحتُ أَشورَقَ مُشتاقِ لِأَوطانِ يا مَن هَجَرتُ إلى الأُوطان رُؤيتَها أَتَــذكُرينَ حَنينــي فــي الزَمــان لَهــا وَسَكبِيَ الدَمعَ مِن تَذكارها قاني (٣)

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٥٥٠.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٥٥٠ .

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٧٠٤.

فالشوق الكبير للوطن إبان نفيه ، والحياة البائسة التي قضاها بعيداً عن وطنه ، والدمع المسكوب على فراق الوطن والأحبة الذي تحول للون الدم من شدة الألم والتوجع لدليل لكل إنسان على أهمية الوطن ، فيتذكر حنينه في بلاد الغربة بعدما عاد إلى وطنه ، تلك فترة من عمره أصلت للوطنية العظيمة في قاموس شوقي ، بحيث أضحى شوقي رمزاً للوطنية في ذلك العصر ، واعتبر من شعراء الوطنية الأوائل الذين ضحوا من أجل مصر ، وعبروا عن ذلك أصدق تعبير من خلال تضحياتهم وأشعارهم في حب الأوطان وحنينهم الجارف إلى مصر وخيراتها ، وتحديهم للعدوان المستمر دفاعاً عن هذا الحب الأصيل تجاه أوطانهم .

إن شوقي ما فتئ يتذكر وطنه عندما يشاهد شيئاً يحرك فيه ذكرياته في بلده ، ويذكر ذلك في قالب شعري ممتلئ بالتعبير الصادق ومن ذلك قوله: (البسيط)

هِج تُنَّ لي لَوعَةً في القَلبِ كامِنَةً وَالجُرِحُ إِنْ تَعَرَضِهُ نَسمَةٌ يَثُرِ فِي وَمَلِسَنا عَلى الجَزيرةِ بَينَ الجِسرِ وَالنَهَ رِ وَمَن أَهوى وَمَجلِسَنا عَلى الجَزيرةِ بَينَ الجِسرِ وَالنَهَ رِ وَالنَهَ مِصرَ وَمَن أَهوى وَمَجلِسَنا وَالنَه وَالشَمسُ مُصفَرَةٌ تَجري لِمُنحَدر (۱)

لقد بقي شوقي على العهد الذي قطعه على نفسه بأن يبقي على الحنين الكامل لمصر ، وألا يفضل مكاناً على وطنه ، فهو يرى أشياء تعترضه تحرك لوعة الفراق الغائرة في قلبه ، فجرحه لم يندمل بعد بل معرض للتجديد عن أي إثارة له ، فيذكر مصر وأحبابه فيها ومناطق طالما جالسهم عليها .

مثلت السفينة في حياة شوقي رموزاً كثيرة أقواها على الإطلاق عندما كان ينظر إليها أنها المخلص له من بعده عن مصر ، فخاطبها مراراً وتكراراً علها تقدم له ما يريد من عودة سالمة إلى ثرى الوطن ، فها هو يشكرها شكراً لا يوصف حيث يقول في عودته إلى الوطن بعدما ذاق ويلات الغربة : (الوافر)

شَكَرتُ الفُلكَ يَومَ حَوَيتِ رَحلي فَأنتِ أَرحتِ عَلَى أَنتِ أَنتِ مَن كُلٍ أَنتِ فَ

فَيا لِمُفارِقٍ شَكَرَ الغُرابِ فَي النَافِ الغُرابِ كَا المَيتِ في النَازع اِنتِ صابا (٢)

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٣٤٤.

<sup>(</sup>۲) السابق: ص۱۰۵.

لقد قدَّم شوقي الشكر الجزيل للفلك لأنها أسهمت في إنهاء معاناة استمرت خمس سنوات عانى فيها الكثير بعيداً عن مصر ، هذا الشكر الممزوج بالحنين إلى وطنه بلور رسالة لكل محتل أن حنين المغترب عن الوطن لا يقدر ولا يوصف ، وأن الأوطان مهما فعل المحتل لا تمحى من وجدان أهلها .

إنَّ أصدق تعبير عما شعر به شوقي تجاه الوطن تلك اللحظة التي وصل فيها إلى وطنه بعد نفيه ، خاطب مصر خطاب الطفل المشتاق لأمه بعدما ابتعدت عنه ولم يرها لسنوات ، فمصر هي الأم الثانية لشوقي ، الأم التي ما فتئ شوقي يتغنى بها بعدما تألم كثيراً في بعده عنها ، حيث يقول حينما وصل إليها : ( الوافر )

وَيا وَطَني لَقَيتُكَ بَعدَ يَاسٍ وَكُلُ مُسافِرٍ سَيئوبُ يَوما وَكُلُ مُسافِرٍ سَيئوبُ يَوما وَلَو أَنّي دُعيتُ لَكُنتَ ديني وَجهي أُديرُ إِلَيكَ قَبلَ البَيتِ وَجهي

فشوقي في هذه الأبيات يجسد الشوق العظيم لوطنه ، والذي يخاطبه بعد طول غياب وشوق شديد لرؤيته ، فشوقي كان ضائعاً يبحث عن وطنه ولم يترك منفذاً حتى فتش فيه ، واليوم يلاقيه بعدما يئس من العثور عليه ، ويشبه هذا بعودة الشباب لإنسان هرم فكيف يكون ذلك ؟ الأمر الذي يعد نوعاً من المعجزات ، هذه الصورة التي توضح مدى الحنين الكامن بقلب شوقي تجاه وطنه ، ويذكر شوقي في هذه المناسبة حكمة مفادها أنَّ كل مسافر لابد له من عودة لوطنه سالماً غانماً ، فشوقي عندما قال هذا الأبيات التي غالى فيها كثيراً في وصفه لحبه الشديد لمصر وحنينه لوطنه ، والذي عدَّ حب الوطن ركناً رئيساً من الدين جعله بمثابة البيت الحرام ، ولعل ذلك نابع من المرارة التي عايشها شوقي في الغربة وتملك الحنين إلى الوطن بالتفكير الشعوري واللاشعوري .

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص ١٠٥-١٠٦ .

يصف شوقي عودته إلى وطنه ، العودة المجللة أجمل تيجان الفرح والسعادة ، فركائب الشاعر تسير مرفوعة الرأس مطمئنة النفس فرحة ، يذكر ذلك المشهد المعبر عن الفرح الكبير الذي غمر فكر الشاعر ووجدانه قائلاً: ( الوافر )

وَقَد سَ بَقَت رَكائِي القَوافي تَجوبُ الدَهرَ نَحوَكَ وَالفَيافي تَجوبُ الدَهرَ نَحوَكَ وَالفَيافي وَتُهديكَ التَّناءَ الدُر تاجاً هَدانا ضَوءُ تَغركِ مِن تَلاثٍ هَدانا ضَوءُ تَغركِ مِن تَلاثٍ وَقَد غَشِي المَنارُ البَحررَ نوراً وقيل التَّغر فَإِنَّا أَدَت فَأْرسَت وَقيل النَّغر فَإِنَّا أَدَت فَأْرسَت فَصفحاً لِلزَمانِ لِصبحِ يَومٍ فَصفحاً لِلزَمانِ لِصبحِ يَومٍ فَا فَصفحاً لِلزَمانِ لِصبحِ يَومٍ

مُقَلَّ دَةً أَرِمَّتَه الطِراب وَتَقَ تَحِمُ اللَّي اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ المُأْلِقِ لَا العُباب على تاجَيكَ مُؤتَّلِقًا عُجاب كَما تَه دي المُنَ وَرَةُ الرِكاب كَما تَه دي المُنَ وَرَةُ الرِكاب كَنارِ الطورِ جَلَّلُ تِ السِعابا فَكانَ ت مِن ثَراكَ الطُهرِ قابا فَكانَ ت مِن ثَراكَ الطُهرِ قابا في أضحى الزَمانُ إِلَى ثابا (۱)

فشوقي في غاية السعادة والسرور ؛ لأنه كحًل ناظريه برؤية وطنه من جديد ، فركائبه تختال طرباً وشوقاً لبلوغها المراد ، تسير محملة بالحنين الذي يكنه شوقي لوطنه ، فهي تجوب الدهر والأماكن والصحراء والتضاريس المختلفة وتقطع الأزمان لكي تصل هذا البلد الذي حُرِمه الشاعر حيناً من الزمن ، حيث تهديه الثناء والشكر ليُوضَع تاجاً عرفاناً منها لفضل الوطن على جميع أبنائه ، فالوطن نبراس يضيء الطريق لفلذات أكباده ؛ لكي يعرفوا المنهج القويم ليسيروا عليه ويخدموا وطنهم ويعملوا على رفعته ، يصف النور الذي أنار البحر هادياً لمن ركبوا البحر الطريق ، فوطنه منار لكل ضال ، فالسفينة التي ركبها شوقي عرفت الطريق من شدة النور المشع من مصر ، عبر شوقي عن فرحته المطلقة بتلك العودة الميمونة واصفاً الزمان بأنه وفيً معه وصادق حيث أعاده إلى وطنه سالماً غانماً .

إن عودة شوقي لمصر التي انتظرها على أحر من الجمر جعلته ينشئ أشعاراً صادقة نابعة من ذلك الحنين الكامن بين ثنايا القلب ، حيث كتب كلمات في مصر خلدها التاريخ وذلك وقت وصوله لها ، واصفاً هذا المشهد بقوله : ( الوافر )

أُنادي الرَسمَ لَو مَلَكَ الجَوابا وَ وَقَلَا الْعَبَارِي وَ وَقَلْ الْعَبَارِي وَ وَقَالًا لِحَقِّهِ الْعَبَارِي وَ

وَأُجزيهِ بِدَمعِيَ لَه وَ أَثابِه وَالْمُ وَالْمُعُونُ كَانَا وَ الْقَلْمُ وَالْمُ وَالْمُعُونُ وَالْقَلْمُ وَالْمُعُونُ وَالْمُعُلِي وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُوالُونُ وَالْمُعُلِقُ ولِهُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقِ وَالْمُعُلِقُ والْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقِ وَالْمُعُلِقُلِمُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْمُعُلِقُ وَالْ

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص ١٠٥-١٠٦ .

سَ بقنَ مُقَ بِّلاتِ التُ ربِ عَنِي فَنَ رِي الْدَمِعَ في الدِمنِ البَوالي وَقَف تُ بِها كَما شاءَت وَشاؤوا لَها لَها حَد قُ وَلِلأَحب ابِ حَد قُ لَها حَد وَانِحي وافٍ أُلووفً وَبَ لِينَ جَوانِحي وافٍ أُلووفً

وَأَدَّي نَ التَحِيَّ فَ وَالخِطاب وَأَدَّي مَن التَحِيَّ فَي كَواعِبِها السَّبابا وَقُوف أَ عَلَّمَ السَّبابا وُقُوف أَ عَلَّمَ السَّباب السَّبابا وَقُوف أَ عَلَّمَ السَّباب السَّباب وَقُوف أَ عَلَّمَ السَّباب اللهُم فيها حَبابا وَشَابِ فَي وَصَالَهُم فيها حَبابا إِذَا لَمَحَ السَّبِيارَ مَصْى وَثَابا (١)

لقد تعب شوقي من مخاطبة وطنه عندما كان بعيداً عنه ، حاول بكل الطرق أن يوصل رسائله وأشواقه الحارة لمصر لكن دون جدوى ، فأخذ يرسلها عبر السفن المغادرة من منفاه لعلها تفيء بالغرض المأمول ؛ لكنه اليوم يقف فوق ثرى الوطن ملازماً لمصر ، وأهلها في استقبال حافل لهذا الشاعر الكبير ، ينادي شوقي على وطنه الذي أحبه حباً جماً صادقاً ، يأتي هذا النداء ليخبر به مصر عما يكن لها ؟ فيسأل إذا كان الوطن باستطاعته الإجابة والرد عليه ! فهو مستعد لمخاطبته بالدموع لو أراد ، فالدموع لا تجري إلا لأجلك يا مصر ، لقد جف الدمع من تلك العيون بكاءً على فراق الوطن ، حتى أن سويداء القلب قد ذابت من شدة اللوعة والحنين ، فاليوم تسبقه الدموع لتؤدي قرابين الطاعة لمصر والولاء لها ، تؤدي التحية الممزوجة بدمع القلب لثرى الوطن الغالي .

أما القسم الآخر من حنين شوقي إلى وطنه فقد ظهر بُعيد عودته من المنفى ، حيث أصبح داخل وطنه متنعماً بنعمة الوطن وكفى بها من نعمة ، لقد أرست مرحلة النفي قواعد الحنين العظيمة بقلب شوقي ، فعرف أن الوطن نعمة لا تقدر بثمن ، هذه النعمة لا يستشعرها إلا من حُرِم منها ، فكان شوقي كلما أراد السفر لغرض ما يستشعر الحنين الكبير لمصر ولكل شيء عزيز عليه فيها ، حيث يقول في رحلة سفر : ( البسيط )

مِ صُرُ العَزيزَةُ ما لي لا أُوَدِّعُها وَداعَ مُح تَفِظٍ بِالعَه دِ مُ دَّكِرِ خَلُوتُ العَزيزَةُ ما لي لا أُوَدِّعُها وَدَى تَمائِمَ لَم يَنهَ فَل وَلَم يَطِرِ (٢) خَلَّف تُ فيها القَطاما بينَ ذي زَعَبٍ

<sup>(</sup>۱) الشوقيات ١٠٤–١٠٥ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٥٤٥.

ها هو شوقي يستنكر على كل شخص أن يلومه في حبه لمصر ، فمصر غالية على قلبه ، قد أخذت منه العهود والمواثيق ، لاتفوته فرصة لإظهار الشوق لمصر ولكل شيء جميل فيها ما أكثرها تلك الأشياء - إلا وكان خير معبر عن هذا الحنين الصادق .

لقد سكن جمال مصر في خلايا شوقي ، فكان كلما رأى شيئاً جميلاً فاضل جمال مصر عليه ، حيث نلاحظه يمتدح ذلك المكان ويثني عليه ؛ لكن في نهاية حديثه يربط ذلك بجمال وطنه ، ومن ذلك ما قاله في وصف البوسفور وهو مضيق يتميز بجماله الخلاب وكان تحت حكم الدول العثمانية ، حيث يقول : (الوافر)

وَأَنتِ الدَهرَ أَنتِ بِكُلِّ قُطرِ وَأَنتِ المَالِكِةِ وَأَنتِ المَالِكِةِ أَينَ مِصرُ (١)

لِأَجلِكِ سِرتُ في بَرِّ وَبَحرِ حَنَدتِ إلى الطَبيعَةِ دونَ مِصر

إن النفس تعشق كل جميل ، فالإنسان بطبعه يهوى الطبيعة الساحرة ، فشوقي عندما زار الآستانة مر على مضيق البوسفور وهناك سُحِر بجمال الطبيعة ؛ لكنه لا يستطيع مقاومة حنينه لمصر ، لأنها ملكت العقل والوجدان .

تتوع حنين شوقي إلى وطنه بعد العودة من المنفى ، فبعدما كان هدفه الرجوع إلى مصر ، ومسامرة الأهل والأحباب ، والتمتع بخيرات وطنه الكثيرة ، اتجه إلى الهدف الأسمى وهو استنهاض الهمم من أجل الدفاع عن الوطن ، ومقاومة المحتل وطلب الحرية الكاملة من سيطرة العدو على مناحي الحياة المختلفة آنذاك ، فأوضاع مصر لا تسر الصديق بل كانت تمر بمؤامرات خبيثة تحاك ليل نهار لإفساد هذا البلد ، لقد وقف شوقي سداً منبعاً أمام تلك المؤامرات، فبدأ ببث الروح المعنوية في نفوس الشباب لكي يواجهوا تلك المخططات ، حيث يقول: (الكامل )

يا مِصرُ أَشبالُ العَرينِ تَرَعرَعَت يا فِتيَةَ النيلِ السَعيدِ خُذوا المَدى وَتَنَكَّبوا العُدوانَ وَإِجتَبِوا الأَذى الأَرضُ أَليَ قُ مَن زِلاً بِجَماعَةٍ

وَمَ شَتَ إِلَيكِ مِنَ السَّجُونِ أُسودا وَإِستَأْنِفُوا نَفَ سَ الْجِهادِ مَديدا وَقِفُ وا بِمِ صرَ الْمَوقِ فَ الْمَحمودا يَبغونَ أُسبابَ السَماءِ قُعودا (٢)

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص ٣١٣.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص ٢٢٨–٢٢٩.

يخاطب شوقي مصر ويطمئنها بأن شبابها نزلوا الوغى أسوداً ، لا يخافون بطش المحتل وغطرسته ، فهم لا يبالون من القتل والسجن ، هؤلاء الشباب أخذوا على عاتقهم تحرير الوطن ، ومقاومة المحتل بشتى السبل ، وهنا يناشدهم شوقي بالاستمرار في هذا الدرب ، وأن يستعدوا للمواجهة ، ويستأنفوا نفس الجهاد ويلقنوا كل من تسول له نفسه تخريب مصر واستغلالها دروساً في كيفية التعامل مع مصر ، فمصر تختلف عن أي بلد ، إنَّ إحساس شوقي بالخطر المحدق التي تتعرض له مصر دفعه لحمل راية الجهاد في مواجهة الأوضاع الصعبة التي حلَّت بوطنه ، فالوطن إن لم يقف الجميع مدافعين عنه أصبح لقمة سائغة للطامعين ؛ لذلك نرى شوقي يطالب الجميع بتحمل مسؤولياتهم وأن يقفوا لمصر ذلك الموقف المحمود .

إن بث الحماسة في نفوس أبناء الوطن وعناصره الفتية سمة بارزة عند شوقي ، فكثيرة تلك الأشعار التي ساقها شوقي في هذا المجال ، كانت هذه الأشعار ذات المنشأ النفسي عند شوقي، فهذه الطريقة ما هي إلا ترجمة لشوقه وحبه الشديد للوطن ، حيث كثرة مخاطباته الشباب للذود عن حمى الوطن ، واستتكاره عليهم التكاسل والتباطؤ في هذا الأمر ، يقول شوقي باعثاً الهمم ومستتكراً التقاعس على أبناء وطنه في خدمة وطنهم : (الوافر)

بَنَ الْأَوطَ انِ هُبِّ وا ثُمَّ هُبِّ وا فَ بَعضُ المَ وتِ يَجلِبُ هُ السَباتُ مَ شَينا السَباتُ مَ شَينا السَبلَحُفاةُ مَ شَينا السَلحُفاةُ يُعِدِّ وَعَدَّنَا الأَمَانِ الكاذِباتُ (١) يُعِدِّ وَعَدَّنَا الأَمَانِي الكاذِباتُ (١)

يستنكر شوقي على أبناء مصر الركون إلى الراحة والاعتماد على الغير ، فالغرب متقدمون في كل شيء يقدمون لأوطانهم خدمات جليلة يسيرون في تقدمهم بسرعة البرق ، وأبناء مصر مشيهم للمجد كمشي السلحفاة غاية في البطء ، فوجب على أبناء الوطن أن يتركوا الأماني الخادعة التي تصيب الإنسان بالإحباط والفشل ، وأن يعمدوا إلى الجد والمثابرة لرفعة الوطن ورقيه ، وجعله في مصاف الدول المتقدمة .

لقد أفرد شوقي أمكنة كثيرة في شعره للحديث عن مصر ، تحدث عن مصر العروبة ، ومصر الوحدة ، ومصر التاريخ والحضارة ، ومصر الجميلة ، وهذه بعض الأوصاف التي ذكرها

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص ١٧٧ .

متحدثاً عن أمه الثانية التي يحن إليها وهو مقيم على ثراها ، يصرح بحبه لها والعلاقة القوية التي تجمعه بها فيقول : ( الوافر )

أُحِبُّ فِي مِصْرُ مِن أَعمَّاقِ قَابِي سَيَجمَعُني بِفِ التاريخُ يَومَا لَا اللهُ يَومَا لَا اللهُ يَومَا لَا اللهُ لَذِيا شَوِيّاً لِأَجلِ فِي رُحْتُ بِالْدُنيا شَوِيّاً وَأَنظُ رُجَنَّ ةً جَمَعَ ت ذِئابِاً وَأَنظُ رُجَنَّ قَ جَمَعَ ت ذِئابِاً وَوَهَبتُ فِي غَير وَهَيَّا بِيراعًا

وَحُبُّكِ في صَميمِ القَلبِ نامي الدَّامِ الْأَلْمِ الْأَلْمِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ الوَجه وَالسَّدُنيا أَمسامي فَي صرفُني الإباء عَن الزحام أَشَدَّ عَلى العَدُوِّ مِنَ الحُسامِ (١)

يؤكد شوقي على حبه لمصر ، فمصر في قلبه لا يمكن أن تنسى وحبها مثل شجرة تنمو وتكبر داخل قلبه ، فهي التاريخ والحاضر والمستقبل من وجهة نظره ، حيث إنَّ تاريخه مرتبط بتاريخها ، يواجه كل من يعاديها بشعره الذي يلهب النفوس ويبث فيها روح العزيمة والإصرار على تقديم الغالي والنفيس من أجل مصر ، لقد عبر شوقي بالحب الكبير لوطنه بكلماته وتعبيراته التي وقعها على المحتل أشد من السلاح ، وهذا ما دفع المحتل قبل ذلك لنفيه إلى الأندلس ؛ لكي يتخلص من عنصر مهم في تشجيع أبناء مصر للمقاومة والتحدي .

لقد كان شوقي لا يترك أي مناسبة وطنية إلا ويضفي عليها بصماته الشعرية معبراً عن حنينه لوطنه وشوقه الشديد لثرى الوطن ، ومؤكداً على أهمية الوطن لجميع المصريين ، فواجب عليهم التضحية من أجل وطنهم مصر ، فها هو شوقي يختار مناسبة عيد الجهاد ليؤكد على مبادئه التي جُبِل عليها في استعداده للدفاع عن الوطن ومجاهدة المحتلين الذين يحاولون سلب خيرات مصر حيث يقول : (الوافر)

خَطَونا في الجِهادِ خُطاً فِساحا رَضينا في هَـوى الـوَطَنِ المُفَدّى وَلَمّا سُلَّتِ البيضُ المَواضي فَحَطَّمنا السَّكيمَ سِـوى بقايا وَقُمنا في شِراع الحَقِّ نَلقى

وَهادَنّا وَلَهم نُلَقِ السِلاحا دَمَ السِلاحا دَمَ السِسُهَداءِ وَالمالَ المُطاحا تَقَلَّدنا لَها الدَق الصراحا تَقَلَّدنا لَها الدَق السِماحا إذا عَضَت أريناها الجِماحا وَنَدفعُ عَن جَوانبِهِ الرياحا

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص ٢٠٤ .

هذه هي الروح العالية التي يتحدث بها شوقي في تعبيره عن عشقه لمصر ، والتحاقه بركب المجاهدين عن وطنه لاسيما بعدما عانى الأمرين من الغربة والنفي بعيداً عن مصر ، فاليوم يظهر المعدن الصافي لشوقي كعادته في تعامله مع قضايا وطنه وشعبه ، فلقد اشتغل شوقي عنهم قبل النفي بمغريات الحياة ؛ لكنه اليوم يحسن صنعاً وصنيعاً في جهاده من أجل مصر ، فالوطن يحميه برفقة أبناء شعبه بالسلاح المشهر دائماً في وجه الغاصبين ، هذا الوطن الذي يهديه شوقي الدماء والأموال رخيصة في حبه ، ذلك الحق المبين في تاريخ مصر في دفاع أبنائها عنها ، فهم وقفوا مشمرين مستعدين لمواجهة أعتى قوة في العالم من أجل أن تنعم بلادهم بالأمن والأمان ، حيث يجابهون الشدائد ويهونون الصعاب دفاعاً عن مصر وأهلها .

تجلى حنين شوقي لمصر في أناشيده لها ، فبدأ شوقي يغرد أعذب الألحان وأشدى الأصوات في حبه لمصر واعترافه بفضلها عليه وجميع أبناء وطنه ، أصبح شوقي يحمل رسالة الوطن كل الموطن ، من رفعة ، وجهاد ، وإصلاح ، وتطوير ، فكان بشعره يوجه البوصلة نحو الطريق الصحيح ، فيقول الشعر في الوطن كتعبير منه عن فضل الوطن على أبنائه المصريين الشرفاء، ويبرهن للقاصي والداني أن مصر عزيزة على أبنائها ، حيث يقول في قصيدة تحمل آيات من الشكر والعرفان والحب الصادق لمصر : (المتدارك)

وَنُعِيدُ دُ مَحاسِنَ ماضينا وَطَ نُ نَفديهِ وَيَف دينا وَبِعَ ينِ اللّهِ فُ شُيدُهُ بِمَآثِرِنِ اللّهِ فَمَ ساعينا وَسَ ريرُ الصدَهرِ وَمِنبَ رهُ وَكَف ي الآباءُ رَياحينا وَضُمُ حاها عَرِشاً وَهّاجاً وَهّاجاً الي وم ن سود بوادينا ويُ شيد الع شيد الع في الله ويُ في الع في في الع ف

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص ١٩٨ .

<sup>(</sup>٢) السابق : ص ٦٨٧ .

إن حنين شوقي لمصر معين لا ينضب وشعور صادق يبرهن على ذلك شعره ذو العاطفة الجياشة والتجربة الشعورية النابعة من إحساس مرهف ، يظهر ذلك في تغنيه بوطنه واعتزازه بذلك الوطن ، فالفداء عنوان لهذا الحنين ، والتضحية سبيل لرفعة الوطن وتقدمه ، فلقد أكد شوقي على أهمية الوطن من خلال ذكره فضائل الوطن على كل من يعيش فوق ثراه، فالمصريون يتتعمون بتلك الفضائل ويعيدون محاسن أسلافهم وتاريخهم العظيم ، وكل فرد يشارك في رفعة هذا الوطن ليصبح عزيزاً له مكانته بين الدول ، وصرحاً شامخا يُشار إليه بالبنان ، فيحرص شوقى على ضرورة تقديم كل فرد من أبناء الوطن مزيداً من الأعمال لرفعة مصر والتأكيد على أن تاريخ مصر حافل بالمنجزات الجبارة ، التي شيدها من قبلهم على مر العصور، فواجب على كل فرد من أبنائه إكمال هذا الطريق الذي بدأه الآباء ، وجعل مصر عنوان الحضارة ومنارة العلم ؛ لأن مصر فيها كل مقومات الحضارة والرقى .

إنَّ حرص شوقى على بناء وطنه والعمل على رقيه نابع من المكانة العظيمة لمصر داخل كيان شوقى وشعوره الكبير بعمق المسؤولية الملقاه على عاتقه في تشجيع شباب مصر على الجد والاجتهاد حيث يقول: (المتدارك)

كَبناءِ الأُوَّلِ يَبنين أَبني الأُوطِ إِنَّ أَلا هِمَ مُ سَعِياً أَبِداً سَعِياً سَعِياً لأَثيال المَجدد وَللعَليا وَلنَجِعَل مِصر هِي الدُنيا (١) وَلنَجِعَل مِصرَ هِينَ السُّنيا

هذا هو الهدف المنشود عند شوقى ، جعل مصر هي الدنيا ومنارة العالم أجمع ، فيناشد أبناء وطنه لتحقيق هذا الهدف ورفع الهمم للوصول إلى المجد والعلياء .

لا يقف نداء شوقي لأبناء وطنه عند أمر محدد ، بل إنَّ نداءه متجدد ومستمر ، يخاطبهم في كل وقت وحين ويستنهض هممهم ، فيؤكد مرة أخرى على هذا في نشيد مصر الذي يحفظه كل مصري فيقول: (الوافر)

فَهَيَّا مَه دُوا للمُلكِ هيَّا بنے مصر مکانکم تھیا أَلَــم تَــكُ تــاجَ أَوّلكــم مَلِيَّــا؟! خذوا شمس له حليًا فليس وراءَها للعنزِّ رُكنن علي الأخلاق الملك وابنوا

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص ٦٨٧.

أليس لكم بوادي النيل عدن لنسا وطن بأنف سنا تقيد النسا وطن بأنف سنا تقيد

وكوثرها الذي يجري شهيّا؟ وبالدنيا العريضة ِنَفتديسه بناناها كأنْ لم نعطِ شيًا(١)

يطالب شوقي أبناء مصر العمل على تكوين ملك عظيم لمصر ، والمحافظة على الأخلاق التي هي أساس لتكوين أي دولة ، فمصر خيراتها كثيرة لا تعد ولا تحصى ، فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك نهر النيل يجري كوثراً في أراضي مصر ، هذا النهر الذي يبعث الحياة لسكان مصر ، لقد أكثر شوقي في شعره من التأكيد على ضرورة فداء مصر وحمايتها من الكروب والأخطار المحدقة التي تكاد تفترسها ؛ لذلك نجد هذا الحس الوطني لا يفارق شوقي في معظم قصائده عندما يتحدث عن الوطن ، فأرواح أبناء مصر رخيصة من أجل فدائها والتضحية في سبيلها ، حتى عندما تسال الدماء يبذلها كل مصري ويشعر بأنها لا تساوي شيئاً أمام فضائل مصر عليه .

يرسم شوقي صورة لوطنه التي تشمل عدة مناحٍ في الحياة ، فمصر أنموذج للحياة الهادئة المطمئنة التي تشمل شرائح الشعب كافة ، الكل يعيش حياته المليئة بالسعادة حتى لو كانت حياة ضنك وضيق ، يصف ذلك شوقى قائلاً : ( الوافر )

لنا الهررَمُ الدي صحِبَ الزمانا ونحنُ بنو السَّنا العلي ، نمانا تطاولَ عهدهمْ عزا وفخرا نطاولَ عهدهمْ عزا وفخرا نشأنا نشأة في الجددِ أخرى جعلنا مصرر ملَّة ذي الجَللِ وأقبلنا كصف من عوالِ وأقبلنا كصف من عوالِ نرومُ لمصر عزًا لا يرامُ ويسنعَمُ فيه جيرانٌ كِرامُ ويسنينا وم على البناية محسنينا

ومن حَدَثانِه أَخذ الأَمانيا أُولِيا أُولِيا عَلَّم وا الأُمَ مَ الرُّقِيا فلم الْ عَلَّم وا الأُمَ مَ الرُّقِيا فلم الله الله فلم الله المحلية وألفنا الحق مَظْهرَها العَلِيّا وألفنا الصليبَ على الهاللِ يسمَّه وَرِيًا ليسمَّمُ وَرِيًا ليسمَّمُ وَرِيًا يسمَّمُ وَرِيًا فلسمَّمُ وَرِيًا فلسمَّمُ وَرِيًا فلسمَّمُ وَرِيا فلسمَّمُ وَلِيا فلسمَّمُ وَلِيا فلسمَّمُ وَلِيا فلسمَّمُ وَلِيا فلسمَّا فلسمَّمُ وَلِيا فلسمَّا فلسمَّا فلسمَّمُ وَلِيا المَّمَا في المُنْ اللهُ وَلِيا اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُل

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص ٧٧٤ .

هذا الجو الوحدوي بين أبناء مصر الذي يبينه شوقي رمز لمقومات الحياة فيها ، فالجد عنوان كل فرد فيها يجد ويجتهد لخدمة الوطن ، لا تقف عجلة التطوير بل هي مستمرة بتكاتف الجميع ، فالمسلم والقبطي يكملان المسيرة نحو المجد الذي وضعه الفراعنة الأوائل ، الذين وضعوا حجر الأساس لبناء حضارة كبيرة على ضفتي نهر النيل ما زالت آثارها حاضرة تستقطب جميع العالم ؛ ليتعرفوا على دقة البناء وبراعة الهندسة المعمارية قبل آلاف السنين .

إنّ الحنين إلى الوطن فطري عند كل إنسان ؛ لكن هذا الشعور تختلف مخرجاته من شخص إلى آخر ، فهو مرتبط بما يعتري الإنسان من أزمات تظهر مدى الحنين الكامن في إحساس الإنسان تجاه وطنه ، فحنين شوقي إلى وطنه مصر تجسد في عدة أشكال ، تتوعت بتغير الظروف المحيطة به ، فالنشأة التي نشأها شوقي لم تظهر بوادر هذا الحنين إلا في مواطن قليلة ؛ لأن شوقي اشتغل في البداية بأمور القصر الحاكم ولم يكترث بأمور وطنه إلا قليلاً ، أما الشكل الآخر الذي أظهر الحنين الكبير إلى الوطن عنده ما لاقاه من نفي عن الوطن وغربة قاسية عانى فيها معاناة البعد وحاجته الشديدة إلى حنان الوطن ، وكانت تلك المرحلة مفجرة الحنين للوطن عند شوقي ، فالبعد ومرارة الغربة قادرة على إظهار كل إحساس كامن تجاه الوطن، لأن الصدق عنوان لتلك الحالة التي تسيطر على الإنسان المغترب ، والشكل الأخير الذي أظهر حنين شوقي إلى وطنه دفاعه المتواصل عن الوطن ، وحث الشباب بمواصلة الجهاد الذي أظهر حنين شوقي إلى وطنه دفاعه المتواصل عن الوطن ، وحث الشباب بمواصلة الجهاد لتحرير مصر من الاستعمار والعمل على رفعة الوطن ورقيه .

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص ٧٧٤-٧٧٥ .

### المطلب الثاني: الحنين إلى الأهل والأصدقاء:

إنَّ حنين المرء إلى أهله وأصدقائه حالة طبيعية متأصلة في النفس البشرية ، فالعائلة والأصدقاء هما الإطار العاطفي والنفسي لكل إنسان ، هذا الإطار التي تدور فيه معظم العلاقات الإنسانية ، والحالة الشعورية التي تعتري الإنسان نتيجة بُعد وفراق لمن أحبهم من أهله وأصدقائه تغذي الحنين وتقوي روافده ، وليس شرطاً أن يكون الإنسان مغترباً عن أهله وأصدقائه لكي يشعر بالحنين إليهم ، فالحنين مرتبط ارتباطاً شرطياً بالحب الصادق النابع من القلب تجاه الأهل والأصدقاء .

لقد ظهر هذا النوع من الحنين عند شوقي ، وذلك في حنينه الكثير لمن أحبهم ممن قضى معهم أغلب فترات حياته ، فشوقي ما فتئ يذكر الأهل كلما تذكر أهمية العائلة وكذلك الأصدقاء الذين عايشوه فترات مهمة في حياته .

من السمات الشخصية لشوقي أنه شاعر يقدر العلاقات الاجتماعية ، ويتعامل مع أهله معاملة قائمة على الود والحب المتبادل ، فكان يذكر لكل ذي فضل فضله ، ومن حبه لهم أنه كان لا يتحمل الأذى عليهم ولا يستطيع أن يراهم يتألمون عندما تلم بهم وعكات صحية ، هذا شوقي الإنسان الذي يحن لكل شخص أدخل الفرح والسعادة إلى قلبه يوماً ما ، فحنين شوقي إلى الأهل تنوع بين أمه وأبيه وجدته وأبنائه .

إنَّ حنين شوقي إلى أمه كبير لا يوصف ، والحنين الكامن في شوقه لأمه برز في معاملته الصالحة لها طوال حياتها ، فشوقي لم يتحدث كثيراً عن أمه ، بل كان حنينه لها مرتكز على المعاملة الطيبة والتقدير والعرفان بفضلها عليه ، بقي حنين شوقي لأمه أفعالاً ولم يترجم إلى أقوال إلا بعدما وصله خبر وفاتها وهو في منفاه بالأندلس ، فانفجر حنينه أشعاراً ؛ لإحساسه بالفراق الحقيقي ، ذلك الفراق الذي أثار لوعة في قلبه أنتجت شعراً صادقاً معبراً عن حنين كبير، حيث يقول في قصيدة رثى فيها أمه : (الطويل)

أصاب سُويداء الفُوادِ وَما أصمى وَما تَصمى وَما دَخَلَت لَحماً وَلا لامَست عَظما كَلاماً عَلى سَمعي وَفي كَبِدي كَلما فَيا وَيحَ جَنبي كَم يَسيلُ وَكَم يَدمى

إنَّ لجوء شوقي إلى الله - تبارك وتعالى - لدليل على عظم المصيبة التي يعيشها ، وهل هناك مصيبة أعظم من فقدان الأم ؟! حيث يشبه شوقي ذلك الخبر الصادم بسهم قاتل أصاب سويداء القلب ، هذا الحب الجم الذي يكنه شوقي لأمه أنتج لوناً مختلفاً من الحنين الممزوج بالأسى والحزن لفراق جزء رئيس من قلبه . كانت هذه القصيدة بعدما أعلن عن هدنة في الحرب العالمية الأولى حيث كانت الفرحة ظاهرة وبادية على محيا شوقي ؛ لأنها سبيل لعودته إلى أمه ووطنه ، فجاء الخبر مع البرق ذلك الخبر الذي أفسد عليه حياته خبر وفاة مهجة فؤاده التي أبعد عنها وعن وطنه ، حيث أرادت الأم البقاء في مصر ورفضت الخروج مع ابنها إلى المنفى الذي فرض عليه ، وشوقي يذكر هذا المأساة التي حلت به وكأنها الصاعقة ، يبين ذلك في وصفه فرض عليه ، وشوقي يذكر هذا المأساة التي حلت به وكأنها الصاعقة ، يبين ذلك في وصفه الشديد وصلت به لحد الانهيار ، فقد كان يمني النفس بالعودة إلى أمه ووطنه ؛ لكن الموت سلب منه فرحة غائرة في القلب لم يستطع أن يظهرها ، فمصيبته بفقدان أمه عظيمة يصفها بالسهم الذي دمر كبده وجنبه وقلبه ، فقد وصله خبر الوفاة قاطعاً الشرق نحو الغرب حاملاً معه أحزان تهد جبالاً فما بالنا بشاعر مرهف الإحساس والوجدان ؟!

لقد عايش شوقي مأساة كبيرة بعدما كانت مصيبة واحدة أصبحت مصيبتين ، فالأمر لم يقف على نفيه عن الوطن ، بل وصول خبر وفاة أمه التي تشكل رقماً صعباً في حياته ، لا يمكن أن يندثر هكذا بكل سهولة ، هذا الألم لا يعرف شوقي كيفية الخلاص منه ، فيلجأ إلى الدعاء ويدعو لأمه دعاءً مراً حيث يقول : (الطويل)

لَكِ اللّهُ مِن مَطعونَةٍ بِقِنا النّوى مُدَلَّهَ فِ اللّهِ مِن مَطعونَةٍ بِقِنا النّوى مُدَلَّهَ فَ أَزكى مِن النارِ زَفرةً سَقاها بَشيري وَهي تَبكي صَابنةً أَسَت جُرحَها الأَنباءُ غَيرَ رَفِيقَةٍ

شَهيدة حَرب لَم تُقارِف لَها إنما وَأَنزَهِ مِن دَمعِ الحَيا عَبرة سَحما وَأُنزَهِ مِن دَمعِ الحَيا عَبرة سَحما فَلَم يَقو مَغناها عَلى صَوبِهِ رَسما وَكَم نازع سَهماً فَكانَ هُوَ السَهما(٢)

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٥٤٨ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٥٤٩.

إنَّ دعاء شوقي لأمه بالرحمة والمغفرة ينم عن حب كبير لأمه داخل قلبه ، فهو لم يستطع الذهاب لإلقاء نظرة الوداع على أمه ؛ لأن الاحتلال منعه من ذلك ، فلا يملك سوى الدعاء لأمه بقلب صادق بالرحمة والمغفرة .

لقد عانى شوقي من لوعة الفراق التي نزلت به بعد فقدانه أمه ، وحرمانه من المشاركة في تشييعها ، فلم يستطع فعل شيء سوى إرسال الدعوات الصادقة لروح أمه ، ورسم صورة لهذه الجنازة المهيبة ، وتشييع هذا الجسد الطاهر ، أظهرت الصورة التي رسمها ليوم وداع والدته مدى التفاعل الشعبي المشارك في تشييعها ، حيث جميع فئات الشعب المصري ، فيصف ذلك قائلاً : ( الطويل)

قَلَما بَدا لِلناسِ صُبحٌ مِنَ المُنى وَقَرَّت سُيوفُ الهندِ وَإِرتَكَرَ القَنا وَحَنَّت مَاذِنٌ وَحَنَّت مَاذِنٌ وَحَنَّت مَاذِنٌ وَحَنَّت مَاذِنٌ أَتى الدَهرُ مِن دونِ الهناءِ وَلَم يَزَل إِذَا جالَ في الأَعيادِ حَلَّ نِظامَها لَيْن فاتَ ما أُمَّاتِهِ مِن مَواكِبٍ رَثَيتُ بِهِ ذاتَ النُّقى وَنَظَمَتُ هُ وَلَا النُّقى وَنَظَمَتُ هُ النَّه النَّلُولِ وَالْمَلْمَ النَّلُولِ وَالْمَلْمَ الْمُلْعَلَى وَنَظَمَتُ وَالْمَلْمَ الْمُلْعَلِيمِ وَالْمَلْمَ المُنْ وَالْمَلْمَ اللَّهُ وَلَا النَّه وَالْمَلْمَ الْمُلْعَلِيمِ الْمُلْمِلُ وَالْمَلْمَ الْمُلْعِلَى وَيَظَمَلُ وَلَا النَّه وَالْمَلْمَ الْمُلْعِيمِ وَالْمَلْمَ الْمُلْعِيمِ وَالْمَلْمِ اللَّهُ وَلَا النَّهُ وَلَا النَّهُ وَالْمَلْمُ الْمُلْعِيمُ الْمُلْعُلِيمِ الْمُلْعِيمُ الْمُلْعِيمُ الْمُلْعِيمُ وَلَيْمِ اللَّهُ وَلَا النَّهُ الْمُلْعُلِيمُ الْمِلْعُ الْمُنْ الْمُلْعُلِيمِ الْمُؤْمِلُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمِ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمِ الْمُلْعُلِيمِ الْمُلْعُلِيمِ اللَّهُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمِ الْمُلْعُلِيمِ الْمُلْعُلِيمِ الْمُلْعُلِيمِ الْمُلْعُلِيمِ الْمُلْعِلَيْمِ الْمُلْعُلِيمِ الْمُلْعُلِيمِ الْمُلْعُلِيمِ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعِلَيْمِ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعِلِيمِ الْمُلْعِلَيْمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعِلِيمِ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِمُ الْمُلْعُلِيمُ الْمُلْعُلِمُ الْ

وَأَبِصرَ فيهِ ذو البَصرِةِ وَالأَعمى وَأَقَ شَعَتِ الغُمّى وَأَقَ شَعَتِ الغُمّى وَأَقَ شَعَتِ الغُمّى وَرَقَّ ت وُجوهُ الأَرضِ تَستقبِلُ السلمى وَرَقَّ ت وُجوهُ الأَرضِ تَستقبِلُ السلمى وَلوعاً بِبُنيانِ الرَجاءِ إِذا تَمّا أَوِ العُرسِ أَبلى في مَعالِمِهِ هَدما فَدونَكِ هَذا الحَشدَ وَالمَوكِبَ الضَخما لِعُنصرُهِ الأَركى وَجَوهَرهِ الأَسمى(۱)

إن الوداع الذي جسده شوقي في قصيدته التي رثى فيها أمه يعبر عن مدى حنينه لها ، وصدق العواطف الجياشة لأمه ، فقد صور آلامه وأحزانه وبثها في قالب شعري رائع ، وضعّ حنينه الكبير المكنون بين ثنايا قلبه ، حنين الابن المنفي البعيد عن أمه ووطنه ، تموت أمه فلا يراها ، فيغلبه الحنين لها والحزن على فراقها ، ولوعة نزلت بقلبه ؛ ولكن حسبه من ذلك الحشد الكبير المشارك في جنازة أمه ، حيث تكون من فئات عديدة مرموقة من أبناء شعبه .

يُذكر أنَّ شوقي بعدما كتب رثاء أمه عندما وصله خبر وفاتها وهو في الأندلس كانت تعتريه حالة من الحزن الشديد لم يقو على مقاومتها ، فظلت هذه القصيدة حبيسة دفاتره وقراطيسه ، حتى أنه عندما طُلِب منه أن يقرأها لم يستطع من شدة حنينه لأمه ، وبقيت تلك القصيدة في

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٥٥٠ .

كتبه إلى أن فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها ، ونشرت بعد وفاته في الصحف ، ودونت في ديوانه تحت قسم المراثي .

يحن شوقي لأبيه كذلك ، حيث يعبر عن ذلك الحنين عندما يرثي أباه ، " فالرثاء الذي يفصح فيه الشاعر عن مواجده وأشواقه إلى المرثي ، فلا يعدد المناقب والخصال فحسب ، بل يتجاوزها إلى بكاء حار يعبر فيه عن حرقة الفؤاد ، ونيران الفقد "(۱) ، فذلك من الحنين الصادق للمرثى ، ومنه قول شوقى في رثاء أبيه (الرمل):

لَيتَ شِعري هَل لَنا أَن نَلتَقي مَرَّةً أَم ذَا اِفْتِ رَاقُ المَلَ وَين وَإِذَا مُتُ وَأُودِع تُ الثَرى الْنَقِي وَالْمَا الثَرَاقِ الْمَلَاقِي عَلَى الثَالِي اللَّهَ الْمَلَاقِي الْمَا

فهذا الرثاء النابع من القلب متجذر في وجدان شوقي ، وفيه صدق العاطفة المليئة بالمودة ، فحنين شوقي لأبيه يتمثل في العلاقة القوية بينهما ، وتلاحم أسري كبير بين الابن وأبيه ، فيتمنى بقاء أبيه بجانبه لا يفارقه أبداً ، فرثاء شوقي لأبيه تعبير صادق عن شحنات الألم التي تعصر القلب من هذا التباعد والفراق الذي فرضه عليهم الموت .

أما حنينه لجدته فقد كان ظاهراً بين ثنايا شعره ، فهذه الجدة التي لم تفتأ تقدم الغالي والنفيس لحفيدها ، وتدافع عنه أمام والديه كلما فعل شيئاً لا يرضيهما ، حيث يقول شوقي في تعلقه بها وحنينه الدائم لها : ( مجزوء الرجز )

لَــــي جَـــدَّةٌ تَــرأَفُ بـــي أَحنـــى عَلَـــيَّ مِـــن أَبـــي وَكُـــلُ شَـــيءٍ سَـــرَني تَــــذهَبُ فيــــهِ مَــــذهَبي وَكُـــلُ شَـــيءٍ سَــرَني تَــــذهبُ فيـــه مِـــذهبي إن غَـــضب الأَهـــلُ عَلَـــي يَ كُلُهُ م لَـــم تَغ ضب (٣)

إنَّ حنين شوقي لجدته لم يتوقف عن هذه الكلمات ، فقد كان تطبيقاً عملياً في معاملته الطيبة معها ، ومعرفته لفضلها في دعمه وتشجيعه حتى علا صيته بين الناس ، فكان يقدرها

<sup>(</sup>۱) الحنين في الشّعر الزّنكي والأيوبي: مي إبراهيم عمرو ، رسالة ماجستير من جامعة الخليل ٢٠١١م، ص٨٢.

<sup>(</sup>۲) الشوقيات : ص٧٠٨.

<sup>(</sup>٣) السابق: ص١٥٠ .

ويجلها ، حتى عندما فارقت الحياة رثاها بأبيات صادقة عبر فيها عن حنينه الكبير لجدته ، حيث يقول في رثائها : ( الوافر )

صَالاةُ اللّهِ يا تِمارُ تَجارِي وَعَالَ تَجارِي وَعَالَ تَجارِي وَعَالَ اللّهِ عالماً كُنْتِ فيها بَرَرتِ المُؤمِنَاتِ فَقَالَ كُلُّ بَرَرتِ المُؤمِنَاتِ فَقَالَ كُلُّ بَوَيَاتٌ وَكَانَات في الفَائِلِ باقِياتٌ فَلَا مَا أَر قَبلَا لهُ المَارِيخَ مُلقَى فَلَا مَا أَلُو اِتَّقَالُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ وَقَفْ تُ أَسَالًا لُو اِتّقَاداً وَأَنظُرُ فَي تُرابِكِ ثُمّ أَغْضِي وَأَنظُرُ فِي تُرابِكِ ثُمّ أَغْضِي وَأَنكُرُ مِن حَياتِكِ ما تَقَضّي وَأَنكُرُ مِن حَياتِكِ ما تَقَضّي

تَ راكِ عَ نِ الْ تِلاقِةِ وَالْ صَلاةِ مِثْ الْمُحُ سِناتِ الفُ ضلَياتِ مِثْ لَ المُح سِناتِ الفُ ضلَياتِ لَعَلَّ لِكِ أَن بِتِ أُمُّ المؤمنِ اتِ لَعَلَّ لِكِ أَن بِلِي وَمَ كُلُ الباقِياتِ وَأَن بِ اللَّهِ وَمَ كُلُ الباقِياتِ وَلَى النَّي راتِ وَلَى مُ أَسَد مَع بِ دَفْنِ النَّي راتِ وَأُم سِكُ بِالْ صِفاتِ وَبِالْ صَفاةِ وَأُم سِكُ بِالْ صِفاتِ وَبِالْ صَفاةِ وَأُم سِكُ بِالْ صِفاتِ وَبِالْ صَفاةِ وَمُ كُما يُخضي الأَبِيُ عَلى القَذَةِ فَكَانَ مِنَ الغَداةِ إلى الغَداةِ إلى الغَداةِ اللَّهِ الْعَداةِ اللَّهِ الْعَداةِ إلى الغَداةِ اللَّهِ الْعَداةِ اللَّهُ الْعَداةِ اللَّهِ الْعَداةِ اللَّهُ الْعَداةِ اللَّهُ الْعَداةِ اللَّهِ الْعَداةِ اللَّهُ الْعَداةِ اللَّهُ الْعَداةِ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللِّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ الْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ الْمُلْعُلِهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ الْهُ اللْهُ الْمُلْمُ اللْهُ اللْمُلْمُ اللْهُ اللْهُ الْمُلْمُ ال

أما حنين شوقي لأبنائه فقد كان منقطع النظير ، حيث الأب الحنون الذي يخاف على أبنائه من نسمات الهواء العليل ، فكان يصاب بحالة من الحزن الشديد عندما يمرض أحد أبنائه ، ومن شدة خوفه عليهم لا يتحمل الأذى الواقع بهم فكان يسافر إلى الإسكندرية هرباً من المعاناة التي تسببها له آلامهم وتألمهم من المرض ، هذا الإحساس الرقيق الذي سيطر على شوقي تجاه أبنائه، فكان كثير التغني بهم وبحبهم الشديد الكامن داخل قلبه والظاهر للعيان ، فيقول في قصيدة يرد بها على من ادعوا أنّه يفرّق بين أبنائه ويفاضل بينهم حيث يقول راداً عليهم: (الطويل)

يقولون لم تطري عليا وأخته فقلت في وادي الثلاثة منزل ثلاثة أسباب لأنسسي ولنتي الذا ما بينهم إذا ما بينهم أحب صغار العالمين لأجلهم

وتتسسى حسنا والحسين كريم هما طنباه والحسين صميم يبارك فيها مانحي ويديم أبسي لسي قلب عادل ورحيم وبعطف قابسى ذو أب ويتيم

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص١٩٢-١٩٣.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٩٠٥.

هذا الحب الكبير الذي يكنه شوقي لأبنائه ينبع من حنين جارف لتلك الوردات المتفتحة في حياته ، فشوقي كثير التعلق بأبنائه لايفارق بينهم ولا يفاضل ، يثني على كل واحد منهم ، فكلهم يحتلون سويداء قلبه ، وهم أسباب سعادته في هذا الدنيا ، هذا الحب الذي جعله يحب صغار الناس ؛ لأنه يقدر تلك العلاقة بين الأبناء وآبائهم .

حازت ابنته أمينه على نصيب الأسد في شعره من هؤلاء الأبناء ، ولعل ذلك يكمن في أنها البنت الوحيدة له ، فقد كان له ثلاثة من الولد وابنة واحدة ، فأنشد شوقي لابنته أشعاراً كثيرة، ففي ذكرى مولدها الأول غرّد قائلاً: (مجزوء الرجز)

الأُوَّلِ مِثْ لِلْهَا لَهُ الْمَا لِكُ الْمَا لِكُ لَكِ كُ لِلْ وَلِلْتَبَ لِلْكِ عِنْ الْلَهُ الْمَا لَكِ عِن اللَّهُ الْمُلَاتُ اللَّهُ الْمُلِّلِي الْمُلِّلِي الْمُلِّلِي الْمُلِّلِي الْمُلِّلِي الْمُلِّلِي الْمُلْلِي الْمُلِّلِي الْمُلِّلِي الْمُلِّلِي الْمُلِّلِ الْمُلِّلِي الْمُلِّلِي الْمُلِّلِي الْمُلْلِي الْمُلْمُ اللَّهُ الْمُلِّلِي الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلِّلِي الْمُلْمُ الْمُلِمُ الْمُلِّلِي الْمُلْمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلْمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلْمُ الْمُلِمُ الْمُلْمُ الْمُلِمُ الْمُلْمُ الْمُلِمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلِمُ الْمُلْمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلْمُ الْمُلِمُ الْمُلْمُ الْمُلِمُ الْمُلْمُ الْمُلِمُ الْمُلْمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلْمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ الْمُلِمُ

وي دوري مودها الاول عرد دادر . ر مجروا أمينت ي في عامه و المجروا أمينت ي في عامه و المحالمة للحكام و أله و المحالم و أله و المحالم و ال

لقد رسم شوقي حنينه لابنته عبر صورة حسية بالغة في الدقة ، حيث الحنان الفطري الدي فطر الله – تبارك وتعالى – البشر على حب الأبناء حيث يقول تعالى : " ٱلمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا " (٢) ، فشوقي يتابع ابنته التي أكملت عامها الأول في كل صغيرة وكبيرة، فعندما تبكي يتعرف على سبب بكائها ويزيله ، وعندما تضحك يخفق القلب فرحاً بفرحها، وعندما تمشى ترعاها العين خوفاً من أي مكروه يصيبها ، فابنته تمثل عنصر السعادة

<sup>(</sup>۱) الشوقيات: ص٤٧٠-٤٧١ .

<sup>(</sup>٢) سورة الكهف : ٤٦ .

في حياته . لقد عبر شوقي في تلك المناسبة عما يشعر به تجاه ابنته أمينة ، وفي عامها الثاني يدعو لها بالسلامة حيث يقول: (المتقارب) أُمينَ فُ يا بِنتِ عَ الغاليَ ه أُهَنِّي كِ بالسَّنَةِ الثانيَ ه وَأَسِالً أَن تَسلَمي لي السينينَ

وَأَن تُرزَق ع العقل وَالعافيه ه (١)

إنَّ حرص شوقى على تهنئة ابنته أمينة بعيد ميلادها للسنة الثانية يوضح مدى المكانة التي تحتلها في قلبه ، والحنين الذي يكنه لها ، حيث يدعو لها بالخير والعافية وأن تسلم من غدر الزمان ومصائبه ، وأن يرزقها الله العقل الراجح ، فكان شوقى يلبي كل طلباتها التي تتمناها عليه، حيث طلباتها مجابة ، يقول في ذلك : (المتقارب)

وَلَـــى طِفلَــةٌ جِازَتِ السَسَنَتَين كَ بَعض المَلائك أو أَطهَ رُ وَسِنَّين يا حَبَّ ذا الجَ وهَرُ بِعَينَ عِن في مِثْلِ لَونِ السَمَاءِ أَتَتَنِ عَ تَ سَأَلُني لُعِبَ ةً لتكسيرها ضمن ما تكسير تُحِبُ السسلامَ وَلا أُنكِرُ (٢) فَقُل تُ لَها أَيُّهَ ذا المَ لاكُ

لقد أعطى شوقى ابنته اهتماماً كبيراً منذ صغرها ، فكان كثير التغنى بها ووصفها ، حيث يصفها بأجمل الأوصاف ، فوصفه لها بأنها ملاك ذات عينين سماويين ، وسِنَّين كأنهما اللولؤ والجواهر ، يبين مكانتها عنده ، ولعل تلك المكانة الكبيرة لابنته والحنين الجم لها ما أوضحه لنا عندما كان على ظهر السفينة مسافراً حيث يقول عندما رأى بنتاً صغيرةً ذكرته بابنته أمينه حيث يقول في تلك الحادثة: (مجزوء الرمل)

هَ ذه شِ بهٔ أُمينِّ ة بنَ ــــةُ عَنها مُبِينَـــــه دى لَهِا مثللٌ ثَمينَاه هَ ذِهِ لُؤلُ فَيْ عِ نَ لَــم تُكُــن عِنــدي مَهينَــه مِـــن بنــاتِ الـــروم لَكِـــن أنا مَن يَتررُكُ لِلسَّدَى يان في الدنيا شرونه يا مَالكَ الفُلكِ لَي صِن وُكِ في تِلِيكَ المَدينَ ه

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٧٦٦.

<sup>(</sup>٢) السابق : ص٣٠٧ .

أَن تِ في الفُلكِ بَهاءٌ ناجِ في الفُلكِ بَهاءٌ ناجِ في وَإِذكُ رِ لَهِ وَج وَأَفِ مَهُ أَنَّن مِي في ال وَأَفِ مَن أَنَّن مِي في ال لَك مِن يُرع نيناً أَل الصرحمن يُرع مي

وَهُ وَ فَ يَ خُلُ وَانَ زَينَ هُ

دَ أَبِي هُ وَحَنينَ هُ وَحَنينَ هُ

بَح رِ مُ ذَ دُس تُ عَرينَ هُ

وَبِ هُ ذَ دُس تُ عَرينَ هُ

وَبِ هُ نَف سِي ضَ نينَهُ

وَبِ هُ نَف سِي ضَ نينَهُ

كَ وَإِيّ اللهُ عُيونَ هُ عُيونَ هُ(١)

إنَّ قوة الحنين تظهر عندما يبتعد الإنسان عمن أحبهم وعشقهم ، فشوقي عندما رأى هذه البنت الغربية تذكر ابنته وغالبه الحنين ليذكر أوصافها من خلال وصفه لهذه البنت الغربية ، حيث وصفها بالملاك ، وأنها زينة لمدينة حلوان ، ثم يرسل التحيات والأشواق الحارة لابنته عبر محاكاته لمن رآها على الفلك ، فهي ساكنة في القلب متربعة على عرشه ، فوجده لها لا يوصف، وحنينه عظيم لها ، يخبرها أنَّه في أشد شوق لرؤيتها ومجالستها ، يسأل الله بقلب صادق أن يرعاها ويحفظها من أي مكروه .

أما حنينه للأهل عامة فتمثل في ذكره لهم بالخير ، وحفظه للعلاقة الطيبة التي تجمعه بهم ، والمعاملة التي تقوم على الحب المتبادل ، فكانوا نعم الأهل لنعم الابن ، وشكلوا في حياته لوناً جميلاً زاهياً أرخى على حياته الفرح والمرح ، والنعيم والسرور ، حيث يصف هذه العلاقة في أبيات يذكر فيها هؤلاء الأهل قائلاً : (الوافر)

وما جاملتم أهلا ولكن وكنت إذا التمست لكم بديلاً حفظت السود والسود انتقال وبت أصون في الحب اعتقادي

ذهبتم مذهبا وهو الجميال أعاتبكم به عز البديل وإن الحافظين له قليال وإن الحافظين له قليال ورأي لا يغيروه أصيال

فقد حفظ شوقي ود أهله ، فلا يمكنه الاستغناء عنهم حيث مكانتهم كبيرة في قلبه ، يذكرهم دائماً بالخير ويصون حبهم ، فهم عنوان للحياة الكريمة التي تفيأ ظلالها معهم ردحاً من الزمن ، تلك المكانة كانت منبعاً لحنين شوقي لأهله ، هذا الحنين نهل من وجدانه وأشعاره الشيء الكثير،

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٦٦٥.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٥١٣ .

فجسد شعراً يطرب النفس ويسليها ، ومن تلك الأشعار التي أوضحت حنين شوقي وبينته تجاه أهله ، حيث يقول : ( الوافر )

وَأَحبَابٍ سُقِيثُ بِهِم سُلِفاً وَنادَمنَا السَّبَابَ عَلَى بِسلطٍ وَنادَمنَا السَّبَابَ عَلَى بِسلطٍ وَكُلُّ بِسلطِ عَيشٍ سَوفَ يُطوى كَانُ القَلَب بَعدهُمُ غَريب بُعدَهُمُ غَريب وَلا يُنبيكَ عَن خُلُق اللَيالي

وَكَانَ الوَصِلُ مِن قِصَرٍ حَبابا مِنَ اللَّذاتِ مُختَّلِفٍ شَرابا وَإِن طَالَ الزَمَانُ بِهِ وَطابا إذا عادَته في ذكرى الأهل ذابا كَمَن فَقَدَ الأَحِبَّة وَالصَحابا (١)

إنَّ شوقي لا يقوى على البعد عن الأهل والأحباب والأصدقاء ، فكلما تذكرهم فاض القلب حنيناً لهم ولتلك الأيام التي عايشهم فيها ، فالإنسان لا يستطيع تحمل فقدان الأحبة والأهل ؛ لأنهم عنصر يساعده على التمتع بالحياة ونعيمها ، لقد أكثر شوقي من ذكره للأهل والأصدقاء ، وجعل من ذلك تعبيراً لما يكنه لهم من حب ومودة ، فكان كلما فقد عزيزاً عليه لم يستطع إلا أن يعبر عن ذلك الحب تعبيراً صادقاً نابعاً من علاقة وطيدة تجمعه به ، فلنا في رثاء شوقي الشيء الكثير ، ومنه رثاؤه لصديقه الشاعر حافظ إبراهيم حيث يقول : (الكامل)

قَد كُنت أوثِرُ أَن تَقولَ رِثائي لَكِن سَبَقتَ وَكُلُ طُولِ سَلَمَةٍ الحَقُ نادى فَاسِتَجَبتَ وَلَم تَزَل وَدِدتُ لَو أَنّي فِداكَ مِنَ الرَدى

يا مُنصِفَ المَوتى مِنَ الأَحياءِ
قَدرٌ وَكُلُ مَنيَّةٍ بِقَضاءِ
بِالحَقِّ تَحفِلُ عِندَ كُلِّ نِداءِ
وَالكاذِبونَ المُرجِف ونَ فِدائي (٢)

إنَّ رثاء شوقي لحافظ إبراهيم مثال على الحب الكبير الذي يكنه شوقي لأصدقائه ، فكان يتمنى الموت قبل حافظ حتى لا يتفجع بموت صديقه ، حتى أنه لم يكمل مدة قصيرة بعد وفاة صديقه ففاضت روحه إلى بارئها .

لقد عانى شوقي في منفاه من البعد عن الأصدقاء والعيش وحيداً بعيداً عن أنسه وفرحه، هذه المعاناة التي تحدث عنها كثيراً ، وعبر عن فترات احتاج فيها إلى الشعور بجو ممتلئ

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٧٦ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ص١١٦.

بالصداقة والود ، يذكر شوقي ذلك في قصيدة قالها وهو في منفاه امتلأت بالعاطفة الصادقة والحنين الكبير لمن أحبهم حيث يقول: ( البسيط )

دُنيا وَوُدَّهُمُ الصافي هُو الدينا وَمِن مَصونِ هَواهُم في تتاجينا عَن الدينا عَن الدينا عَن الدينا عَن الدينا عَن الدينا في النائباتِ فَلَم مِن مَياخُد بِأَيدينا حَتّى أَنتنا نواكُم مِن صَياصينا تُميتُ الفيسا في في إلاَئيسا في المُن مِن صَياصينا تُميتُ الله في عَلَسِ الأَسحارِ يَطوينا يَكادُ في عَلَسِ الأَسحارِ يَطوينا حَتّى يَرولَ وَلَم تَهداً تَراقينا حَتّى يَرولَ وَلَم تَهداً تَراقينا حَتّى قعدنا بِها حَسرى تُقاسينا في الله المنازين ويَأسوهُ تَأسّينا ويَأسوهُ تَأسّينا ويَأسوهُ تَأسّينا ويَأسوهُ المنا لينا(۱)

إنَّ الرسالة التي يبرقها شوقي في هذه الأبيات والتي تحمل في طياتها حنيناً جارفاً لمن أحبهم من أهل وأصدقاء وأحبة لدليل واضح على عمق العلاقة بين شوقي وأصدقائه ، فالإحساس الصادق الذي عرفه شوقي في وده لأصدقائه جعله يركن إلى التعبير بصدق عما يجول بداخله ، فهو لا يقوى على الصبر أمام هذا البعد ، كما أن الصبر لا يحتمل المصائب التي عايشها شوقي ، فمرارة الغربة عن الوطن والعيش وحيداً جعلته يبكي بكاءً مريراً على حاله ، فالليل طويل يرخي سدوله بالأحزان والمآسي عليه وحسبه من ذلك الذكرى التي تدق في نواقيس فكره ووجدانه، وهي التي تترك بصيص أمل للقاء الأحباب والتنعم بالوطن وخيراته .

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٦٨٢.

### المطلب الثالث: الحنين إلى الذكريات الماضية:

تمر على الإنسان في حياته مراحل وأوقات لا يمكن أن ينساها لشدة تأثيرها على النفس ، ووقعها الحسن على قلب الإنسان ، تلك الفترات يعايشها المرء ولا يتمنى أن تنتهي وأن تبقى ما بقي الدهر ، فهذه الأوقات لا يمكن للإنسان أن ينساها هكذا بكل سهولة ، بل تبقى ناقوساً يدق في تفكيره وخياله ، وهاجساً يراوده كلما عن له ذلك الماضي الجميل ، ولعل أجمل تلك اللحظات ما يعايشه المرء في فترات شبابه مثلاً ، أو رحلات لها في النفس وقع وأثر ، فالباعث الرئيس للحديث عن تلك الفترات والحنين المتواصل لها شعور الإنسان بدخوله مرحلة نهاية العمر وإحساس بفقد الشباب المفعم بالنشاط والحيوية ، المليء بالأحداث التي تدخل السرور والبهجة على النفس كلما تذكر ذلك ، فيتحدث الشاعر عن تلك الأيام الخوالي لعله يتناسى ما آل إليه وضعه وحالته النفسية ، فيجد في ذلك الحديث أنساً وطمأنينة وتسلية لنفس سلبتها الشيخوخة لهوها وانشغالها بجماليات الشباب .

تمثل حنين شوقي في ذكرياته الماضية إلى كل ما هو جميل قد عايشه في فترة من فترات حياته ، ومن أكثر تلك الذكريات فترات الشباب والرحلات الجميلة التي قضاها شوقي في حله وترحاله بين مصر ولبنان وفرنسا وتركيا وبعض الدول الأخرى .

إنَّ أجمل فترات العمر عند الإنسان هي مرحلة الشباب وما يصاحبها من عنفوان وأوقات جميلة يتذكرها المرء ويتمنى عودتها ؛ لأن فترة الشاب تمثل القوة والسعادة والمرح والفرح في النفس البشرية ، وكم من شاعر لم يتمالك نفسه عند الحديث عن أزهى فترات العمر وأحفلها بالمنجزات الجبارة في نظره ، أما شوقي فكان حنينه لمرحلة الشباب لا يوصف ، حيث إنه أكثر الحديث عن تلك المرحلة ، وكلما ذكر تلك المرحلة يزداد شوقه لها حيث يقول في قصيدة ذاكراً تلك الأيام الجميلة باكياً ومودعاً أجمل اللحظات التي أصبحت أحلاماً طوى الدهر أحداثها : (الكامل)

شَيْعتُ أَحلامي بِقَل بِ بِ اكِ وَرَدِهِ وَرَجَع تُ أَدراجَ السشبابِ وَوَردِهِ وَرَدِهِ وَبِ كَانَ خُفوقَ فَ وَبِج النِبي واه كَانَ خُفوقَ فَ فَوقَ فَ شَاكي السِلاحِ إذا خَلا بِ ضُلوعِهِ قَد راع هُ أَنّي طَوَي تُ حَب ائِلي

وَلَمَحتُ مِن طُرُقِ المِلاحِ شِباكي أمسشي مَكانَهُما عَلى الأَشواكِ لَمّا تَلَفَّ تَجَهشتَهُ المُتَباكي فَإِذا أُهيبَ بِهِ فَلَيسَ بِشاكِ مِن بَعدِ طولِ تَناوُلٍ وَفِكاكِ

وَيحَ ابنِ جَنْبِي كُلُّ عَايةٍ لَذَةٍ لَذَةٍ لَدَةً لَكُمْ تَبقَ منَّا يَا فَوَادُ بِقَيَّةً

بعد الشبابِ عزيزةُ الإدراكِ لفت وّة أو فضلةٌ لعراكِ (١)

إنَّ الألم والحسرة التي سيطرت على شوقي في تلك الأبيات وليدة حنين كبير لفترة شبابه ، فتشييع شوقي لتلك الأحلام – التي كانت حقيقة يوماً ما ، عايشها وتمتع بأجوائها وبأحوالها - تبين مدى تعلقه بتلك اللحظات ، هذه اللحظات التي قضاها في أجمل المناطق في مدينة زحلة بلبنان وزارها وهو كبير فحنَّ لتلك الأيام ورجع مستذكراً أيام شبابه ، فالقلب خفاق يكاد يطير مثل عصفور بلله القطر ، يبكي أزهى مراحل حياته ، ولم يبق إليه إلا الأطلال التي تركت في صدره أثراً لا يمكن أن يندثر فقد " شبّه شبابه وذكرياته بمفقود توارى لا أمل في عودته، لم يبق منه إلا الذكرى التي قد تخفّف عنه صعوبة واقعه القاسي، الذي لا حيلة ولا مقدرة تخفّف عنه تلك المأساة، فكأنّه أعزل يجابه أعتى الخطوب ، فلما عجز عن مقاومتها ، تغنّى بسلاح الصبر، سلاحه الوحيد في مقاومة بلوى الدهر "(۲).

" فهذه الأبيات قالها وهو على أبواب الشيخوخة فعاد إليه شبابه ، جلس في واد ظله ظليل ، ونسيمه عليل ، فذكر عيشته الأولى التي عاشها ، ذكر شبابه وهواه ، ذكر نعيمه وترفه، ذكر لهوه وعبثه ، فتمثلت له أشباح حياته فأسف وتلهف ، فتزهد مرة وتغزل مرة ، وشب حينا وشاخ حيناً ، عادت إليه صور العناق والهوى والصبابة والشباب ، فانتفضت روحه من مكمنها ودب فيه نشاط الحياة ونعيمها وسرورها "(٢) .

يخاطب شوقي أيام شبابه مخاطبة المترجي لها بالعودة ، المتمني أن تسحبه إلى مضمارها ، لعله يعيد تلك الأوقات الجميلة فيقول: (الطويل) أقدولُ لِأَيّامِ السَبابِ مُعيد أقدولُ لِأَيّامِ السَبابِ مُعيد وَكَيفَ نَات وَالأَمسُ آخرُ عَهدِها لَأَمسُ كَباقي الغابراتِ عَهيدُ (٤)

(١) الشوقيات: ص٤٦٦.

<sup>(</sup>٢) مقدمة القصيدة عند شعراء مدرسة الإحياء والبعث : عبد العزيز الثبيتي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القري – المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٠ ، ص٩٩ .

<sup>(</sup>٣) دراسة عن شوقي : شفيق جبري ، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع ، ط١ - ١٩٩٧ ، ص٥٥ .

<sup>(</sup>٤) الشوقيات : ص٢٤٤ .

إنَّ أيام شباب شوقي لا تفارقه يخاطبها ويتمنى عودتها فهي حاضرة في فكره ووجدانه مهما نأت وابتعدت إلا أن الذكرى خالدة بداخله ، يعيش في أجوائها كلما عنَّ له ماضي تلك الأيام ، يتذكر رحلاته في فصل الربيع والزهور الجميلة التي تسحر النفس برائحتها وبجمالها فيقول : (الكامل)

إِنِّ يَ لَأَذَكُ رُ بِالرَبِيعِ وَحُسنِهِ عَهد َ الشَبابِ وَطِرِفِ هِ المِمراحِ النَّانِيعِ وَحُسنِهِ عَهد َ الشَبابِ وَطِرِفِ هِ المِمراحِ هَ لَ كَانَ إِلَّا زَهرَةً كَزُهروهِ عَجِلَ الفَناءُ لَها بِغَيرِ جُناحِ (۱)

فالذكرى التي حلت بشوقي لماضيه الجميل ، وربط ذلك بفصل الربيع الذي يمثل الجمال بعينه والسحر والرونق ، ففترة الشباب كما يصفها شوقي زهرة من زهور هذا الفصل الجميل بمناخه وأجوائه الرائعة ، هذه الزهرة التي ما زالت عالقة بقلب الشاعر يغذيها من دمائه ؛ لتبقى تبث له شذا الشباب وحلاوة العمر وتذكره بأفضل الأوقات ، فلقد عانى شوقي من مهاجمة المشيب له ، واغتيال تلك اللحظات من حياته ، ومن ذلك قوله في وصف هذا الهجوم على الشباب : ( المتقارب)

وَغَالَ الْحَداثَ فَ شَرِحُ السَّبَا سَرِي الْمَداثَ فَ مَا الْمُؤو سَرِي الْمُسَيَّبُ مُتَّئِداً في الرؤو حَريق أحاط بِخَديطِ الحَيا وَمَن تُظهر النارُ في داره

بِ وَلَو شِيتِ المُردُ في الشُيْبِ سِ سُرى النارِ في المَوضِعِ المُعشِبِ قِ تَعَجَّبتُ كَيفَ عَلَيهِم غَبيي وَفي وَفي وَفي وَفي وَرعِب مِنهُم يَرعَب بِ(٢)

يصف شوقي المشيب وفعله بالإنسان وصفاً دقيقاً ، فالمشيب يسري في الرأس وينتشر بسرعة كما النار المشتعلة في الهشيم ، فهو مقدمة لنهاية العمر حيث يرسم طريقاً لملاقاة الله – تبارك وتعالى – فكل إنسان عندما يشتعل رأسه شيباً يدرك النهاية التي باتت قريبة جداً ؛ لأن ذلك من سنة الله في خلقه .

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص ٢٠٣.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص١٥٢.

ومن ذلك الحنين إلى شبابه ما أنشأه من أشعار باكياً فيها انقضاء شبابه وذهابه إلى غير رجعة حيث يصف حنين قلبه لتلك الأيام التي مرت عليه ، وقد شكلت له جمالاً كبيراً ، وتركت في نفسه شوقاً وتوقاً لتلك الذكريات حيث يقول : (البسيط)

جَرَى بِنَا لِمدى اللَّذاتِ يقطعُه إلا أماني لا تنف كُ تخدعُه ورفرفَ القلبُ حتى خَفت يتبعُه مضى به زمنُ هيهات يرجعُه فما له بالتَّصابي لا يودعُه (۱)

أبكي الصباء رخياً مِنْ أعنَّتِه صحا الفؤادُ على آثار كبوتِه إذا تمثلته في اللبِّ طارَ له أقولُ للنفسِ عنه لا أغالطُها إذا صبا المرءِ ولى غير مرتجع

يصل شوقي إلى الحقيقة المرة أنَّ عهد الصبا لا يمكن أن يرجعه الزمان ، ومع ذلك يبقى يذكر ذلك ؛ لأن القلب لم يحتمل فقدان تلك الأيام فأصبح يعيش في ذكرياتها ، ويخفق كلما سمع بأخبارها ، ويرفرف كالطير الجريج من آلام الفقد والوجد .

إنَّ شوقي عند حديثه عن أيام الصبا فإنه يخاطب قلبه ، ومخاطبة القلب ومناجاته دليل على الشوق والحنين لأيام مضت ، قضى فيها أجمل الأوقات وأثمنها ، تلك الحالة الشعورية المسيطرة على شوقي كلما تذكر ذكرياته الجميلة تجبره عن الحديث عنها والغوص في أمنياته التي يأمل أن تعود ؛ وهو في ذلك يوصل فكرة جميلة عن تلك الفترات مفادها أنَّ الإنسان مجرد ذكرى فعليه أن يستغل تلك الأوقات حيث يقول في ذلك : (الطويل)

حُمُ الهَوى حوالي الصبا والوجدُ بالوَجدِ يَلتقِي يبةَ حقَّها نَدمْتَ عَلى ما فَاتَ بعدَ التَّفرُقِ يبةً حقَّها نَدمْتَ عَلى ما فَاتَ بعدَ التَّفرُقِ تَم مُؤملٌ وإنَّ حَياتِ في حياتِكُ فاخفُقِ (٢)

أقولُ لقلبِ ق والهوى يَنْدُمُ الهَوى المَوى المَوى المَوى المَوى المَوى المَوى المَوى المَوالِيةَ المَوَالِيةَ المَوالِيةَ المَوالِيةَ المَوالِيةِ ال

فواجب على المرء أن يتمتع بفترة شبابه ، وأن يعيش في جو تلك الفترة ، فشوقي يوصي أن تستغل تلك الأوقات فيما ينفع ؛ لأن الإنسان سيندم على كل لحظة ضيعها من فترة شبابك وعليه أن يغتتمها فما مضى لا يمكن أن يعود ، فأيام الشبيبة تحمل في طياتها المرح والسرور ، فالمرء

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤١٦.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٥٩٠ .

لم يرتبط بعد بمشاغل الحياة وشؤونها ، ولم تُلقَ على عاتقه المسؤوليات المختلفة ، بل إنه متفرغ طول الوقت إلا من بعض مقومات الحياة .

إنَّ من حنين شوقي للماضي تعلقه ببعض المناطق التي زارها وأثنى عليها ثناءً حسناً ، والملاحظ لهذا الإطراء عن تلك الظاهرة التي أسهب فيها شوقي في تذكر أيامه ، يرى أنَّ الماضي الجميل عنده ترك أثراً واضحاً في أشعاره ، والأمثلة تطول وتطول على هذا الغرض ، ومن ذلك قوله : (مجزوء الكامل)

ذِمَ مَّ عَلَي الْ وَلَى عُه ود وَلَدَ الْطِلِّ الْ فَهَ الْ يَعُ ود وَلَدَ الْطِلِّ الْ فَهَ الْ يَعُ ود وَرُج وعُ أَحلام ي بَعيد هَ الْ الله شَبيبَةِ مَ الْ يُعيد هَ الله شَبيبَةِ مَ الْ يُعيد وَجد مَ عَ الله ذِكرى يَزيد وَجد مَ عَ الله ذِكرى يَزيد عُ وَزُل إِلَّ الْقَالَ الله الله عَميد عُ وَزُل إِلَى الْقَالَ الله الله عَميد عُ وَزُل إِلَى الْقَالَ الله الله عَميد الله وَلا تَميد الله وَلا تَميد الله وَلا تَميد ود والزَم الله كَم الله عَميد والزَم الله كَم الله عَميد الله وَلا تَميد ا

لم يتمالك شوقي نفسه عندما أخذ يتحدث عن مكان أحبه وتفيأ ظلاله بعدما زاره بعد عمر طويل ، يلتفت إلى أيام شبابه الجميلة التي قضاها في هذه الأمكنة ، فيرجع بألم وحسرة على تلك الأوقات ، هذه الأحلام التي يتمنى شوقي عودتها وأن يعيش في أكنافها مراراً وتكراراً ؛ لكنه يقر ببعد الرجوع لهذه الأزمان ، ويفترض جدلاً أنَّ الزمان أعاد تلك الأوقات فلا يمكن أن يعود الشباب ، فيكتفي بمخاطبة (غاب بولون) بأن وجده يزيد بزيادة الذكرى ، هذا المكان الذي مكث فيه أزهى الأوقات وأجملها حيث الراحة والطمأنينة والنشاط العاطفي ، فغاب بولون مقصد للعشاق والمحبين لشده جمالها وسحرها ومناظرها الخلابة ، فقلب شوقي يتزلزل كالجبل الأشم من الذكرى، ومن الحنين لتلك الأيام والعهود التي قطعها شوقي على نفسه ؛ لكن المكان الذي قصده

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٢٧٥.

شوقي بعد طول غياب لم يقابله نفس الشعور الذي يكنه لأنه جماد ، فينكر شوقي عليه هذا الجحود ويذكره بالأيام الخوالي التي قضاها في ربوعه .

وليس ببعيد عن فرنسا يخاطب شوقي مدينة باريس التي قضى بها وقتاً للدراسة ، فتنقل بين أماكنها الجذابة التي تسحر العيون والقلوب ، فهي عنوان للجمال على مر العصور ومن تلك المخاطبة التي توحي بنوع من الحنين لأيام قضاها في مدينة الأضواء: (الطويل)

يا مَكتَبِي قَبِلَ الشّبابِ وَمَلعَبِي وَمَراحَ لَذّاتي وَمَغداها عَلى وَسَماءَ وَحي الشّعرِ مِن مُتَدفّقٍ

وَمَقيلُ أَيّامِ السَّبَابِ النوكِ أُفُقٍ كَجَنَّاتِ النَّعيمِ ضَحوكِ سَلِسٍ عَلى نَولِ السَماءِ مَحوكِ

لقد عاد شوقي بذكرياته إلى مدينة باريس فغلبه الشوق والحنين لتلك الأيام ، فأخذ يعدد جماليات تلك المدينة ، ويذكر أيامه فيها فكانت ملعبه وأنسه ، ومن بين أرجائها غذّيت ربة الشعر عنده ، فكانت سبباً في بروز تلك الملكة الشعرية الفذة .

أما حنينه لأيام قضاها في بلاد الآستانة التي كانت عامرة بالخلافة الإسلامية ومرجعاً لكل مسلم، فقد كان حنينه مختلفاً لتلك الأيام حيث الجمال الروحي والجمال الحقيقي المنتشر بين أطرافها، ووصفه لها بأنها جنة الدنيا يحمل بداخله الشيء الكثير تجاهها ومن ذلك ما جاء في أشعاره المختلفة حيث يقول: (الوافر)

تَجَلَّدَ لِلرَحيلِ فَما اِستَطاعا عَصى الأَيّامُ تَجمَعُني فَاتِي عَصى الأَيّامُ تَجمَعُني فَاتِي أَلا لَيت السبِلادَ لَها قُلوبُ وَلَيت لَدى فُروقٍ بَعض بَتّي وَلَيت لَدى فُروقٍ بَعض بَتّي أَما وَاللّه لِه لَو عَلِمَت مَكاني حَوت رق القواضِ والي حَوت رق القواضِ والي اللّيالي اللّه القلب عَن تلك اللّيالي

وَداعاً جَنَّةَ السدنيا وَداعاً وَداعاً أَرى العَسيشَ افتراقاً وَإجتِماعاً كَما لِلناسِ تَنفَطِ رُ التِياعا وَما فَعَلَ الفُراقُ غَداةَ راعا لَأَنطَقَ بِ المَاذِنَ وَالقِلاعا فَلَمَا فَعُلَ الفُراقُ غَداةً راعا فَلَمَا ضُعُةً مَا ضُعُها حَوْتِ اليَراعا فَلَمَا ضُعُةً مَا خُدنَ ساعا أَمُ كُنْ ساعا

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤٧٢.

فشوقي لم يستطع نسيان تلك الأيام في الآستانة ، لما شملته من جمالها الساحر وأجوائها التي تبعث في النفس الراحة والاطمئنان ، فهو متعلق بالذكرى لتلك الليالي التي مرت سريعاً مرور البرق ، يسأل نفسه هل هي بالفعل كانت ليالي أم كانت ساعة ؟ سؤال يوحي بسرعة الأوقات التي مرت ، فالأوقات الجميلة تتقضي بشكل سريع ، فالذكرى ساكنة في أعماق قلبه ، ومن حنين شوقي لليالي الجميلة التي قضاها في شبابه ما يقوله في وصف إحدى الليالي الخالية: (البسيط)

يا ليلة البالِ ما خالوك راقصةً إلا وأنتَ جمال الدهرِ والحقبِ كَمْ لذة بك وَلَّت وانقَضت وخلت وذكرها فيه لم يبرحُ ولم يغبِ<sup>(۲)</sup>

تلك الليالي التي أحييت الحنين لها في قلب شوقي وكيانه ، فذكراها خالدة مخلدة في تفكيره ، فهي مثال للجمال وللذات التي قضاها في أيام شبابه ، حيث جعلها من الأمور التي يسلي النفس بها كلما مرت عليه ضائقة ما ، أو عندما يريد أن يبحر في ماضيه الجميل .

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤٠٩.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص١٧١.

### المطلب الرابع: الحنين الديني:

غلبت على شوقي النزعة الدينية ، فلقد كان كثير الحديث عن شؤون المسلمين وما يحدث لهم من طوارئ في الحياة ، فقد وصفه الدكتور محمد حسين هيكل في مقدمة الديوان بأنه : "مؤمن عامر النفس بالإيمان ، مسلم يقدس أخوة المسلمين ، ويجعل من دولة الخلافة قدساً تغيض عليه شؤونه وحوادثه وحي الشعر وإلهامه ، حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها ، محافظ في اللغة العربية تتسع لكل صورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال "(۱) ثم يردف قائلاً : "قشوقي شاعر الإسلام والمسلمين ، كما أنه شاعر مصر وشاعر الشرق ، وعاطفة المسلم تتجه حتى العصور الأخيرة إلى جهتين ، ثم إلى قومين : فهي تتجه صوب مكة مسقط النبي – صلى الله عليه وسلم – ومقام إبراهيم – عليه السلام – كعبة المسلمين وقبلة أنظارهم ، ومكة في بلاد العرب والنبي عربي والقرآن عربي . وهي تتجه – أو كانت تتجه – صوب الآستانة مقر الخلافة الإسلامية ، ومقام الخليفة من آل عثمان . والآستانة عاصمة الترك، وخليفة المسلمين كان في تركيا ، فكل مسلم تعنيه وحدة المسلمين كان يتجه ببصره – إلى حيث ألغيت الخلافة – نحو مكة تركيا ، فكل مسلم تعنيه وحدة المسلمين كان يتجه ببصره – إلى حيث ألغيت الخلافة – نحو مكة تركيا ، فكل مسلم تعنيه وحدة المسلمين كان يتجه ببصره – إلى حيث ألغيت الخلافة – نحو مكة ونحو الآستانة ، يستمد من الأولى المدد الروحي ، ومن الثانية مدد السيف والمدفع ". (۱)

وتذكر سعاد عبد الوهاب عبد الكريم هذه النزعة الواضحة في شعر شوقي فتقول: "أما شوقي فقد تفوق على أقرانه من الشعراء في شعره الإسلامي، وأصبح هذا التيار واضحاً في صوره الشعرية، وأصبحت هذه القيم الدينية في قداستها تشكل جانباً من وعيه الشعري ووجد شوقي في التيار الإسلامي معجماً ثرياً يستمد منه مادته التعبيرية والتصويرية "(٣).

لقد تمثل الحنين الديني عند شوقي في عدة محاور ، وعند حديثه عن أي منها كانت تفوح رائحة الشوق والحنين لكل منها فهي متعلقة بالدين الإسلامي الحنيف ، وشوقي كما عرف عنه أنه شاعر الإسلام والمدافع عن أمور المسلمين ، ومن الأمور الدالة على الحنين عند شوقي :

<sup>(</sup>١) الشوقيات: المقدمة ص٢٢.

<sup>(</sup>٢) السابق : المقدمة ص٢٨ .

<sup>(</sup>٣) إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية : سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ، مطابع الجيزة ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ ، ص٤-٥.

# أولاً: المدائح النبوية:

" كان النبي – صلى الله عليه وسلم – وما يزال النموذج المثالي الذي تهفو إليه القلوب المؤمنة ، وتتعطر بسيرته الألسنة الذاكرة ، فهو المثل الأعلى والقدوة الحسنة والرجاء المنشود ، كثيراً ما لهج الشعراء بمدحه وأشادوا بمناقبه ، ورددوا سيرته تعبداً وتشفعاً وتبركاً ، يستوي في ذلك شعراء الصوفية وغير الصوفية على مر العصور ". (١)

فاقد مدح شوقي رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – في مواضع كثيرة من ديوانه ، وجعل من هذا المدح عبادة يتقرب بها إلى الله – تبارك وتعالى – وطلباً للعفو والمغفرة من خالق البشرية جمعاء ، وحنيناً صادقاً لخير من وطأ الثرى ، فكانت قصائده في الرسول – صلى الله عليه وسلم – جواهر تزين بها ديوانه ، ولآلئ أضفت على أشعاره بريقاً خاصاً ، حيث جاءت تلك القصائد لترسم ميلاد شاعر إسلامي فذ ، أبدع فأمتع ، وأنشد فأسمع ، وأخذ من الحوادث التي حوتها السنة النبوية الشريفة منطلقاً إلى الإبداع الشعري الذي أصبح شعراً يلقى صباح مساء لكل من أراد الحديث عن المصطفى – صلى الله عليه وسلم – .

كان مدح شوقي للرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – تمثلاً للجوانب الدينية ، وتطلعاً لواقع أجمل للمسلمين ، وتذكيراً لهم بأنهم أمة قائد عظيم لم يخلق له مثيل – صلوات ربي وسلامه عليه – " فشوقي يتجاوب مع هذه المعاني الإسلامية التي تجيش بها قلوب المسلمين نحو خاتم المرسلين فلا تفوته مناسبة إلا يذكر فيها سيرته – صلى الله عليه وسلم – مشيداً بفضائله الكريمة وشمائله الرفيعة ، متضرعاً ملتمساً شفاعته – صلى الله عليه وسلم – مستغيثاً به لتفريج كروب الأمة الإسلامية ، وموجهاً لها لتتخذ منه القدوة والأسوة حتى تستعيد مجدها التليد ، وتسترجع ماضيها المجيد ".(٢)

عبر شوقي عن حنينه للمصطفى - صلى الله عليه وسلم - من خلال اغتنام مناسبات تخص الرسول الكريم ، ومثال ذلك ما أنشأه شوقي في ذكرى المولد النبوي حيث غرد الأمير بأعذب الألحان وأشداها في وصف الرحمة المهداة (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول:

<sup>(</sup>١) إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية : سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ، ، ص١٢٤ .

<sup>(</sup>٢) السابق ، ص١٢٤ .

(الكامل)

وُلِدَ الهُدى فَالكائِناتُ ضِياءُ السروحُ وَالمَلْأُ المَلائِكُ حَولَهُ لَا للسروحُ وَالمَلْأُ المَلائِكُ حَولَهُ ليا خَيرَ مَن جاءَ الوُجودَ تَحِيَّةً بيت النَبِيّينِ السّدي لا يَلتَقيي

وَفَ مُ الزَم انِ تَبَ سُمٌّ وَثَناءُ لِل دينِ وَال دُنيا بِ بُ بُ شَراءُ مِن مُرسَلينَ إلى الهُدى بِكَ جاؤوا إلا الحَنائِفُ فيه وَالحُنَفاءُ (١)

اعتبر شوقي ميلاد الرسول – صلى الله عليه وسلم – نوراً أضاء السماوات والأرض ، استقبله الزمان ببشاشة وفرح ؛ فهذا ميلاد خير البرية الذي ملأ الدنيا عدلاً ورحمة ، فالله – تبارك وتعالى – أرسله رحمة للناس حيث يقول – عز وجل – : " وَمَآ أَرْسَلْنَلَكَ إِلَّا رَحْمَةً لِللَّهُ عَلَم مِينَ النول النبي الكريم ، فهو البشرى التي للَّع المَع مين و بها لهذه الدنيا . ثم يطلق شوقي العزينه العنان معبراً عن صفات المصطفى التي لم تتوفر إلا في شخصه – صلوات ربي وسلامه عليه – حيث يقول : (الكامل)

وَفَعَلَ تَ مَا لا تَقَعَ لُ الأَنواءُ لا يَ ستَهينُ بِعَفُ وِكَ الجُهَ لاءُ هَذانِ في الدُنيا هُمَا الرُحَماءُ في الحَقِّ لا ضِعْنُ وَلا بَعْضاءُ وَرِضَى الكَثْيرِ تَحَلُّمٌ وَرِياءُ وَرِضَى الكَثْيرِ تَحَلُّمٌ وَرِياءُ تَعرو النَدِيَّ وَالِقُلُوبِ بُكاءُ(٣)

فهو قمة في الجود والكرم ، فإذا جاد كان سخياً كريما بلغ جوده أقصى الدرجات ، فلا يصل إلى جوده أحد حتى المبشرات بقدوم الغيث ، وهو المتسامح الذي ضرب لنا أمثلة في التسامح ، فشوقى يعدد هذه الصفات التي رسخت في كيانه وأنشأت حباً مختلفاً عن حب الناس الآخرين ،

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٣٣ .

<sup>(</sup>٢) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

<sup>(</sup>٣) الشوقيات: ص٣٤.

فأخذ يجمل تلك الصفات العظيمة للرسول – صلى الله عليه وسلم – فهو مثال للرحمة بين البشر، فغضبه من أجل الله ودينه لا يعرف الحقد والضغينة إلى قلبه سبيلاً ، ورضاه من رضا المولى – عز وجل – ولخطبته هيبة لها وقع كبير على النفوس والقلوب .

ومن حنينه للرسول - صلى الله عليه وسلم - تقديمه تلك القصائد مشبهاً إياها بالعرائس ، حيث يقول فيها : ( الكامل )

لي في مَديجِكَ يا رَسولُ عَرائِسٌ هُنَّ الْحِسانُ فَإِن قَبِلتَ تَكَرُّماً أَنتَ الَّذِي نَظَمَ البَرِيَّةَ ديثُهُ أَنتَ الَّذِي نَظَمَ البَرِيَّةَ ديثُهُ المُصلِحونَ أَصابِعٌ جُمِعَت يَداً المُصلِحونَ أَصابِعٌ جُمِعَت يَداً ما جِئتُ بابَكَ مادِحاً بَل داعِياً أَدعوكَ عَن قومي الضعاف الأَزمَةِ أَدعوكَ عَن قومي الضعاف الأَزمَة

تُ يِّمنَ فيكَ وَشَاقَهُنَّ جَلاءُ فَمُه ورُهُنَّ شَاعَةٌ حَسسناءُ فَمُه ورُهُنَّ شَاعَةٌ حَسسناءُ ماذا يقولُ وَيَاظُمُ السَّعَراءُ هِي أَنتَ بَل أَنتَ اليَدُ البيضاءُ وَمِنَ المَديحِ تَضرُعٌ وَدُعاءُ وَمِنَ المَديحِ تَضرُعٌ وَدُعاءُ في مِثْلِها يُلقى عَلَيكَ رَجاءُ(١)

فيكشف شوقي عن هدفه الأوحد وهو الدعاء الصادق الذي جعل من المدح وسيلة له ، دعاء خص به أمة محمد التي أصبحت ضعيفة لا تقوى على مجاراة الأمم ، هذا الحس العظيم من شوقي تجاه أمته لهو خير دليل على انتمائه الشديد لدينه وأمته .

أما في قصيدته نهج البردة التي جعل من مدحه للرسول - صلى الله عليه وسلم - ذخراً يلجأ إليه يوم الحساب ، حيث يقول : ( البسيط)

في اللّه يَجعَلُني في خَيرِ مُعتَصِمِ مُفَرِّجِ الكَربِ في الدارَينِ وَالغَمَمِ عُنَّ الشَّفاعَةِ لَم أُسأَل سِوى أُمَمِ عَنَّ الشَّفاعَةِ لَم أُسأَل سِوى أُمَمِ قَدَّمتُ بَينَ يَدَيهِ عَبرَةَ النَّدَمِ قَدَّمتُ بَينَ يَدَيهِ عَبرَةَ النَّدَمِ يُمسك بِمِفتاحِ بابِ اللّهِ يَغتَنِم مُسك بِمِفتاحِ بابِ اللّهِ يَغتَنِم مَا بَينَ مُستلِمٍ مِنه وَمُلتَنِم

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٣٨.

هذا الاستغفار الذي ملأ قلب شوقي في تلك المدائح النبوية كان منشؤه عقيدة راسخة قوية لديه بأنَّ الله هو الغفار المجيب الدعاء ، فكانت هذه المدائح تقرباً من شوقي لله وعبادة له ، وحنيناً لرؤية المصطفى – صلى الله عليه وسلم – ولنيل شفاعته ، فهو خير شفيع لأمته يوم القيامة ، فقد علق شوقي مدحه حبلاً يلجأ إليه في يوم يفر المرء فيه من أعز إنسان له في الدنيا، ولا تنفعه الأنساب والأصهار .

ولعل أصدق تعبير عن حنين شوقي للرسول - صلى الله عليه وسلم - ما قاله وعينه تفيض بالدمع مهابة وحباً لرسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - ، فكان هذا الحنين الباعث الحقيقي لحديثه عن معلم البشرية الخير ، حيث يقول واصفاً حنينه : ( الطويل )

وَفَاضَتَ مَعَ الْحُمِ العُيونُ مَهَابَةً لِأَحمَدَ بَينَ السِترِ وَالحُجُراتِ وَأَشرَقَ نورٌ تَحتَ كُلِّ تَبِيَّةٍ وَضاعَ أَريجٌ تَحتَ كُلِّ حَصاةٍ (٢)

إنَّ العيون لتشتاق للمصطفى والقلوب تحن لذكراه ، فهو نور أشرق على البشرية ، وأنار قلوبها وأفئدتها ، ونشر الطيب والعطر ليعم أرجاء المعمورة ، ويذكر شوقي ذلك قائلاً: (مجزوء الوافر)

<sup>(</sup>۱) الشوقيات: ص٦١٢-٦١٣.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص١٨٦ .

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٩٩٥.

عندما يصدح الأمير بأشعاره ، ويغرد بأجمل الألحان في ذكرى خير الأنام ، فيدخل الشوق إلى قلوب من قرأ تلك الأشعار ، ويسعد نفوس مشتاقة يملأها الحنين للقيا المصطفى ، فها هو شوقي يطلب من الأمة الإسلامية أن تسير على خطى نبيها وتعظمه ، وتقتفي أثره فهو الذي هزم الباطل ، وأقام منطق كل أعوج منطق ، وأضاء الكون بنور الإسلام العظيم .

# ثانياً : حنينه لمجد المسلمين وتاريخهم وحاضرهم :

إنَّ تاريخ المسلمين العظيم، ومجدهم التليد يبعث في نفس كل مسلم في أي وقت مزيداً من الحنين لتلك الأيام العظيمة التي رسمت حضارة إسلامية تغنى بها الغرب قبل العرب، واعترف الجميع بفضلها على تطور العلوم المختلفة إلى وقتنا الحاضر، فقادة المسلمين في عصور الازدهار عملوا على الرقي بالأمة ورفعتها، فأسسوا نواة الحضارة الإسلامية التي ملأت الأقطار من أواسط أوروبا غرباً إلى مشارف الصين شرقاً، وقد عرف عن شوقي حبه للقديم، فهو من رواد مدرسة الإحياء والبعث التي أخذت على عانقها إحياء التراث العربي القديم وبث الحياة فيه من جديد، فشوقي عبر عن حنينه لتلك الأيام ولهؤلاء القادة من خلال الحديث عنهم، ومن ذلك قوله في بنى أمية: (البسيط)

رَبَّى عَلَى اللَّهُ اللْمُلْمِ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمِالْمُ اللْمُلْمِالِمُ اللْمُلْمِلْمُ اللْمُلْمِلِمُ الللْمُلْمِ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمِلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمِلْمُ اللْمُلْمِلْمُ اللْم

وَلِلاَّحاديثِ ما سادوا وَما دانوا فَهَل سَأَلتَ سَريرَ الغَربِ ما كانوا فَهَل سَأَلتَ سَريرَ الغَربِ ما كانوا في كُلِّ ناحِيَةٍ مُلكُ وَسُلطانُ سَرى بِهِ الهَمُ أُو عادَتهُ أَسْجانُ وَاليَومَ دَمعي عَلى الفَيحاءِ هَتَانُ(١)

لقد تمثل حنين شوقي الديني لأيام سادت فيها الخلافة الإسلامية ، وكان يقودها آنذاك بنو أمية ، فقد ملكوا المشرق والمغرب وسادوا أقواماً كثر حتى أصبحت دولتهم مترامية الأطراف ، وملكهم وسلطانهم عمّ الآفاق ؛ لكنَّ الحزن يداهم شوقي على ما آلت إليه أوضاعهم ، وقد دثرتهم الأيام وأصبحوا تأريخاً يذكر بين دفات الكتب لا غير . تلك الأحزان التي ظهرت واضحة عندما زار شوقي دمشق ، فرأى آثار بني أمية والمسجد الأموى ، حتى أنه وصف المسجد بالمحزون ،

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٧٠٠.

وأخذ يسأل المسجد عمَّن كانوا رموزاً من أمثال مروان بن عبد الملك ، حيث يقول شوقي عند مروره بالمسجد النبوي: (البسيط)

مَررتُ بِالمَسجِدِ المَحرونِ أَسالُهُ تَعَيَّرَ المَسجِدُ المَحرونُ وَإِخْتَافَت فَيَرَ المَسجِدُ المَحرونُ وَإِخْتَافَت فَكَ الأَذَانُ أَذَانٌ فَكَ مَنَازَتِهِ فَكَ الْأَذَانُ أَذَانٌ فَكَى مَنَازَتِهِ

هَل في المُصلّى أو المحرابِ مَروانُ؟ على المنابرِ أحرارٌ وَعِبدانُ إذا تَعالى وَلا الآذانُ آذانُ (١)

أما حديثه عن القادة ودورهم في خدمة الدين وإعلاء كلمته ، والدفاع عن الأمة فكان دليلاً على حنين شوقي لأيام الانتصارات ، حيث يتخذ من أي انتصار للخلافة العثمانية تذكرة بانتصارات المسلمين الأوائل ، ومن القادة الأتراك باعثين لخطط القادة الأوائل ، ومن ذلك قوله : (البسيط)

اللّهُ أَكْبَرُ كَم في الفَتحِ مِن عَجَبٍ صُلْحٌ عَرِبٍ مُظَفَّرَةٍ صُلْحٌ عَرِبٍ مُظَفَّرةٍ يا حُسنَ أُمنيَّةٍ في السَيفِ ما كَذَبَت

يا خالِدَ التُركِ جَدِّد خالِدَ العَربِ فَالسَيفُ في غِمدِهِ وَالدَقُّ في النُصبُ وَطيبَ أُمنِيَّةٍ في الرَأيِ لَم تَخِبِ (٢)

لقد ظهر فخر شوقي بقادة الإسلام في عصره وشبههم بالقادة العظام ، فهو يرى أنَّ للإسلام أسوداً وهبوا أنفسهم للدفاع عن هذا الدين العظيم ، وما هذا الفخر إلا شوق لمجد المسلمين في عزهم وسلطانهم .

ومن أشعاره التي يصف فيها أحد قادة الخلافة الإسلامية في تركيا حيث وصفه بأنه امتداد لحكم النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد حافظوا على العز والرفعة ، وعلى مجد المسلمين وفخارهم ومن ذلك قوله: (الكامل)

هَ زَّ اللِ واءُ بِعِ زِّكَ الإِسلامُ وَإِنْ اللِ واءُ بِعِ زِّكَ الإِسلامُ وَإِنْ الدِّنيا إِلَيْ كَ فَدَ سبُها وَمَ شَى الزَمانُ إلى سَريرِكَ تائباً عَرشُ النَبِيِّ مُحَمَّدٍ جَنَباتُ هُ

وَعَنَات لِقَائِم سَايفِكَ الأَيّامُ عُادِراً قِيادً أَسلَا سَت وَزِمامُ عُادِراً قِيادٌ أَسلَا سَت وَزِمامُ خَدِالًا عَلَيا إِللهِ اللّه والإرغام نورٌ وَرفرَفُهُ الطّه ورُ غَمامُ (٣)

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٧٠١.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص١٦٢ .

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٥٧٩ .

أما حديث شوقي عن الخلافة فقد انطلق من منطلق ديني ، ومن حنين صادق لأمجاد المسلمين ، " فشوقي شاعر من الشعراء الذين عرفوا البواعث الإسلامية والتركية في شعرهم، وليس من شك في أنَّ شوقي كان أكثر شعراء مصر تمجيداً للترك وإشادة بالخلافة ، وولاء للخليفة ، ولطالما مجد الترك إذ انتصروا ونوه ببطولتهم ، وضفر أكاليل الغار على هامات قادتهم ، وطالما رجع على الوتر الحزين إذا انهزموا ، وبكى الأقاليم والمدن المقتطعة من الخلافة، وكثيراً ما حض على مؤازرتهم في محنتهم ، كما حث على المسارعة إلى نجدتهم في نكباتهم "(۱) ، حيث يرسم شوقي في قصيدة رثاء الخلافة صورة حزينة لواقع العالم الإسلامي ، بعدما نزعت أجمل قلادة كانت تزين الأمة الإسلامية في واقعها وماضيها وحاضرها ، حيث يقول ( الكامل )

قَتَلَت اللهِ سَلمُهُمُ بِغَيرِ جِراحِ مَوشِ يَّةً بِمَواهِ بِ الفَتّ احِ وَنَضَوا عَنِ الأَعطافِ خَيرَ وِشاحِ قَد طاحَ بَينَ عَشِيَّةٍ وَصَباحِ كانَ ت أَبَر عَلائِ قِ الأَرواح(٢) إِنَّ الَّذِينَ أَسَت جِراحَكِ حَربُهُم اللَّهُ اللَّذِينَ أَسَت جِراحَكِ حَربُهُم هَتكوا بِأَيديهِم مُلاءَةَ فَخرِهِم نَزعوا عَنِ الأَعناقِ خَيرَ قِلادَةٍ حَسَبٌ أَتى طولُ اللَيالي دونَه وَعَلاقَةٌ فُصِمَت عُرى أَسبابِها

# ثالثاً: حنينه إلى الديار المقدسة:

تمثل الديار المقدسة مقصداً لكل مسلم ، فالنفس تتوق إلى الصلاة في المسجد الحرام ، والسلام على المصطفى – صلوات ربي وسلامه عليه – فشوقي كعامة المسلمين يحن إلى تلك الديار الحجازية التي تتلهف العين لرؤيتها ، ويدفع الحاج الغالي والنفيس ليزور تلك البقاع المطهرة ، فلقد كانوا في القدم يمضون ليالي وشهوراً مسافرين وشادي الركاب إليها ، متحملين وعثاء السفر والعناء الشديد ، قاطعين الصحراء والفيافي حباً في أداء الشعائر الدينية التي فرضها الله – سبحانه وتعالى – عليهم . يذكر شوقي حنينه للأماكن المقدسة عندما تحدث عن رحلة الخديوي توفيق إلى بلاد الحجاز حاجاً حيث يذكر فضائل تلك الأمكنة التي تشتاق القلوب لها قائلاً : (الطويل)

تَـــزُفُ تَحايــا اللّـــهِ وَالبَرَكـاتِ

فعَلَى كُلِّ أُفْقٍ بِالحِجَازِ مَلائِكٌ

<sup>(</sup>١) إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية : سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ، ص١٨٠.

<sup>(</sup>۲) الشوقيات: ص۲۰٤.

أما حديثه عن هذه العبادة الجليلة المفروضة على كل مسلم قادر ، ومدى امتثالهم شه – تبارك وتعالى – حيث يقول : ( الطويل )

ومن الملاحظ هذا الأثر الديني الواضح في قصائد شوقي ، وما إكثاره من المدائح النبوية وذكره لأمجاد المسلمين والقادة الأوائل وتغنيه بالديار المقدسة وتمجيده للخلافة الإسلامية وفتوحاتها ؛ إلا حنين خالص وشوق كبير وأنموذج للنزعة الدينية عنده ، ومن تلك الأعمال الشعرية التي نظمها شوقي الدالة على تعلقه بالدين الإسلامي النابعة من حنين صادق أرجوزة (دول العرب وعظماء الإسلام) التي لم يترك فيها شاردة وواردة من تاريخ الإسلام إلا وذكره فيها .

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص١٨٤.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص١٨٥.

#### المطلب الخامس: الحنين إلى المكان:

كثيراً ما يرتبط لفظ المكان بالوطن ؛ لكن هناك مناطق تترك في النفس شوقاً وحنيناً لها ، أماكن يزورها الشاعر في حله وترحاله ، ينجذب إليها وإلى سحرها تارة وإلى تاريخا العريق تارة أخرى ، فلقد كان شوقي كثير الترحال بين الشرق والغرب ، وبين ثنايا الشرق ولا سيما بلاد الشام، المشهورة بين الناس بجمالها الأخاذ وبأجوائها الساحرة ، فزار لبنان وسوريا وتمتع برحلات لم ينسها مطلقاً وأصبحت تأريخاً من ماضٍ جميل ، فكان لتلك الأمكنة حنين خاص عند شوقي أظهره ذلك الإبداع الشعري للأمير .

لقد حازت بلاد الشام على قلب أمير الشعراء ، فكانت زيارته كثيرة لتلك الأماكن ، وتنقل بين المناظر الخلابة بداخلها ، فأنشأ شعره الذي يمتلئ بأعذب التصاوير الفنية والدلالات والإيحاءات التي تعبر عما يكنه لبلاد الشام من حنين ، حيث يقول في حنينه المستمر لمدن لبنان وقراها : (الكامل )

لُبنانُ دارَتُ هُ وَفيهِ كِناسُهُ بَينَ القَنا الخَطَّارِ خُطَّ نَحَيتُ هُ السَلسسَيلُ مِن خُصرِ الخَمائِلِ قوتُ هُ السَلسسَيلُ مِن خُصرِ الخَمائِلِ قوتُ هُ إِن قُلتُ يَمثالُ الجَمالُ الجَمال

هذا غيض من فيض من أشعار شوقي في لبنان ، فلقد وصفه بأرق الأوصاف وأعذبها ، فهو مثال للجمال المادي الذي سحر الأمير وسلب تفكيره ، فأخذ يسترسل في أوصافه التي تنم عن الحب الكبير للبنان في قلب شوقي ، ويتغنى بألوان الجمال المختلفة التي حوتها البيئة اللبنانية حيث يقول : (الكامل)

لبنان يا ملك الجبال تحية عاليه تحملها إليك وصوفر من نازح الدار التقى بك داره خلص الأحبة والمآرب خلفه للواردين على رياضك أعين

رقت وأزلفها لك الإكبار ومناها لله الإكبار ومناها لله بالجنتين غيزاز سياح الأكارم للكريم ديار فياذا الأحباد فيك والأوطار مين فيضة أهدابهن نيضار

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص١٧٢ .

فلبنان ملك الجمال يستحق أجمل التحيات وأرقها ، فها هو الأمير يرسل بتلك الأشواق في قالب شعري يرسم من خلاله ذلك الحنين للبنان ، ففي قرى لبنان ومدنه كل ما يتمنى المرء من جماليات ، حتى أنَّ الإنسان العربي لا يشعر بالغربة في ذلك القطر العربي ، ففيه الأحبة والأكارم الذين يشعرون ضيفهم بأنه وسط أهله وعشريته .

لم يترك شوقي مكاناً في لبنان لافتاً للأنظار تاركاً بصماته في قلب كل من نظر إليه ، وتمتع بخيراته إلا كتب عن ذلك المكان ، حيث الطمأنينة والراحة النفسية التي تبعث في النفس أشواقاً حادة لتلك الأمكنة ، فبيروت هذه المدينة الساحرة التي تجبر كل من أتى إليها أن ينظم فيها درر الشعر ولآلئه ، فيصفها وصف المحب العاشق الذي فارق مهجة قلبه حيث يقول : (الكامل)

بَيرروتُ يا راحَ النزيلِ وَأُنسِهُ المُسرَةُ النزيلِ وَأُنسِهُ المُسرَةُ المُسرَّ لَفظٌ في المَدائِنِ كُلِّها نادَمتُ يَوماً في ظِلالِكِ فِتيَةً

يَمضي الزَمانُ عَلَيَّ لا أَسلوكِ وَوَجَدتُ لهُ لَفظًا وَمَعنَى فيكِ وَسَموا المَلائِكَ في جَللِ مُلوكِ (٢)

ذلك الوصف الذي أنشأه شوقي في مدينة بيروت بعد ضرب الأسطول الإيطالي لسواحل بيروت عام ١٩١٢م، يظهر مدى تعلق شوقي بهذه المدينة التي زاراها لأول مرة برفقة الأمير محمد علي عام ١٩١٠م، ففيها الحسن والجمال الذي لا ينسى من مخيلة شوقي، فهي حاضرة في فكره وقلبه وإحساسه. وعند الحديث عن لبنان وجماله لا يمكن أن ننسى رائعة من روائع شوقي في تغنيه بلبنان في قصيدته المشهورة والتي بعنوان ( زحلة ) هذه القرية الجملية حيث ذكر لبنان وسحره الخلاب وقرية زحلة بموقعها الساحر وإطلالتها التي تسلب الألباب حيث يتكلم في البداية عن لبنان، فيقول: ( الكامل )

لا أُمس مِن عُمرِ الزَمانِ وَلا غَدٌ للنَا أَمس مِن عُمرِ الزَمانِ وَلا غَدٌ للنانُ رَدَّت ي إلَيكَ مِن النوى جَمَعَت نزيلي ظَهرها مِن فُرقَةٍ

جُمِعَ الزَمانُ فَكانَ يَومَ رِضاكِ أقددارُ سَيرٍ لِلحَياةِ دَراكِ كُرةٌ وَراءَ صَوالِجِ الأَفداكِ

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٣١٧.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٤٧٠.

وَلَو أَنَّ بِالسَّوقُ المَزارُ وَجَدتني

بِنِ ثَ البِقِ اعِ وَأُمَّ بَردونِيَّه البِقِ عَلَّمُ بَردونِيَّه وَإِنَّم اللَّهِ مَنْ النَّع يم وَإِنَّم اللَّهِ النَّع يم وَإِنَّم اللَّهُ النَّع يم وَإِنَّم اللَّهُ النَّع يم وَإِنَّم اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ المَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَينُ لَهُ مَ لَوْ وَعَينُ لَكِ عَينُ لَهُ مَ لَوْ وَعَينُ لَكِ عَينُ لَهُ عَينُ لَهُ عَينُ لَهُ اللَّهُ الْمُلْعُلِمُ اللَّهُ الْمُعَلِّمُ اللَّهُ الْمُلْعُلِمُ اللَّهُ الْمُلِمُ اللَّهُ اللْمُلِلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْمُ اللَّهُ الْمُل

مُلقى الرحالِ عَلى تَراكِ الداكي طيب ي كَجِلَّ ق وَاسكُبي بَرداكِ طيب كُبي بَرداكِ أَلفَي تُ رداكِ أَلفَي تُ سُدَّةَ عَ دنِهِنَّ رُباكِ أَلفَي تُ سُدَّةً عَ دنِهِنَّ رُباكِ لَتَهَا لَ الفِردوسُ ثُم نَماكِ لَتَها لَّ الفِردوسُ ثُم نَماكِ لِلسَاكِ لِلسَالِ الْحَيالَ أَلْ الفِرينَ إلى أَلْدَ خياكِ (١) للناظرينَ إلى أَلْدَ خياكِ (١)

فالملاحظ من تلك الأبيات أنَّ حب شوقي وحنينه للبنان كالسيل الجارف لا يقف أمامه أحد ، فهذه الأبيات قيلت بعد كبر شوقي في السن وبدت عليه مظاهر الأسى والحسرة على أيام الشباب، حيث جاءت هذه القصيدة لترسم ملامح حنين ممزوج للشباب ولهذا المكان الساحر ، وهذا الخلط في الإحساس بالحنين لفترة الشباب – والتي تعتبر من أجمل فترات العمر – تارة ، وبالحنين لهذا المكان الساحر تارة أخرى ، فبدأ بحنين كبير للبنان ثم امتد حنينه وتشعب لإحدى المدن وهي زحلة والتي وصفها بأزهى الأوصاف وكأنها قطعة من جنة الفردوس ، تسلب أنظار من يزورها وتمتلك فؤاده ، ثم يكمل حبات الوصف وكأنه ينظم عقد جواهر في وصفها حيث يقول : (الكامل)

سَافَت بِظِلِّكِ وَإِنقَ ضَت بِدَراكِ لُبنانُ في الوَشي الكريمِ جَلكِ في العاجِ مِن أَيِّ الشِعابِ أَتاكِ صِنبَينَ وَالحَرَمونَ فَإِحتَ ضَناكِ سالَت حُلاهُ عَلى الثَرى وَحُلكِ كَالغيدِ مِن سِتٍ وَمِن شُباكِ أَنكَ رِبُ كُللَّ قَصيدَةٍ إِلَاكِ اللَّهُ صاغَك وَالزَمانُ رَواك(٢)

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤٦٧.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٤٦٨ .

لقد أبدع شوقي في وصف تلك القرية ، فأخذ يتغزل بها كأنه يتغني بمحبوبته الغالية على قلبه ، وما هذا الغزل العفيف إلا ترجمة لأحاسيسه المرهفة تجاه تلك القرية ، ولحنينه اللامتناهي لها ، حيث خصها بقصيدة في غاية الجمال ، هذا الجمال الذي يتناسب مع جمال القرية وروعتها وسحرها .

لقد أفرد شوقي شعراً خاصاً بلبنان وتغنى بهذا المكان غناء المحب العاشق ؛ لكن هناك مكان آخر من بلاد الشام خصه شوقي بالثناء والجمال ، فمدينة دمشق هذه المدينة التاريخية والتي تحمل بين جنباتها عبقاً من تاريخ الآباء والأجداد الذين رووا بدمائهم الطاهرة الأرض نشراً لدين الله ، فقد شملت دمشق ألوان الجمال : جمال الطبيعة ، وجمال التاريخ ، وجمال الحضارة ، وقد خص شوقي تلك المدينة بأشعار جميلة عبرت عن حنينه المتزايد لها كلما زادت فترة غيابه عنها ، حيث استغل كل مناسبة تخص دمشق ليعبر عما يجول بصدره من شوق وحنين لتلك المدينة ، حيث يقول في نكبة دمشق عام ١٩٢٦ م : (الوافر )

دَخَاتُ كِ وَالأَصِيلُ لَهُ اِنَتِلاقٌ وَتَحِتَ جِنانِ كِ الأَنهارُ تَجري وَتَحَولي فِتيَةٌ غُرِّ صِباحٌ وَحَولي فِتيَةٌ غُرِّ صِباحٌ عَلَى لَهَ واتِهِم شُعَراءُ لُسِنٌ عَلَى لَهَ واتِهِم شُعراءُ لُسِنٌ اللهِ طِئر راً اللهِ اللهِ طِئر راً صَبلاحُ الدينِ تاجُكَ لَم يُجَمَّل مَلكُ الدينِ تاجُكَ لَم يُجَمَّل وَكُلُّ حَضارَةٍ في الأَرضِ طالَت سَماؤُكِ مِن حُلى الماضى كِتابٌ سَماؤُكِ مِن حُلى الماضى كِتابٌ

وَوَجهُ كِ ضاحِكُ القَسماتِ طَلَقُ وَورقُ وَسَبقُ وَسَبقُ وَسَبقُ وَفَي أَعطافِهِم خُطَباءُ شُدقُ وَمُرضِعةُ الأَبُوعِةِ لا تُعَدقُ وَمُرضِعةُ الأَبُوعِةِ لا تُعَدقُ وَلَا العُلوقِ عِدقُ وَلَا العُلوقِ عِدقُ وَالرفُكِ وَقُ التاريخِ رِقُ (١) وَأَرضُكِ مِن حُلي التاريخِ رِقُ (١)

إنَّ ذكر الشاعر لأوصاف دمشق وتعداد ما بها من جماليات ومن تاريخ عريق لهو دليل لحب صادق يكنه شوقي لهذه المدينة ، فلم يقف شوقي مكتوف الأيدي لما حدث لها من مأساة ، بل سخر قلبه وقلمه ولسانه ليدافع عنها ، ويقدم كل أمر باستطاعته تقديمه ، فقد حوت من الجمال ألواناً ، وشيدت للعز أزماناً ، فهي مقر خلافة الإسلام لسنوات عديدة ، ومركز انطلاق

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤٤٦.

للفتوحات الإسلام ، ولعل أرق الأبيات ما يقوله شوقي في وصف دمشق عندما زارها وتمتع بجمال طبيعتها حتى قال: (بسيط)

آمنت باللّه واستثنيت جَنَّه أَهُ قَالَهُ وَاستَثنيت جَنَّا الْرِفْ قَ وَقَد هَبَّت خَمائِلُها جَرى وَصَفَق يَلقانا بِها بَسردى دَخَلتُه وَصَفَق يَلقانا بِها زُمُ سرُدة والشيها زُمُ سرُدة والمحور في دُمَّر أو حَول هامتِها وَرَبوة السوادِ في جِلبابِ راقِصة وَرَبوة السوادِ في جِلبابِ راقِصة والطّير تصدح مِن خَلفِ العُيونِ بِها والطّير تصدح مِن خَلفِ العُيونِ بِها

دِمَ شقُ روحٌ وَجَنّاتٌ وَرَيحانُ الأَرضُ دارٌ لَها الفَيحاءُ بُسستانُ الأَرضُ دارٌ لَها الفَيحاءُ بُسستانُ كَما تَلقاكَ دونَ الخُلدِ رَضوانُ وَالشّمسُ فَوقَ لُجَينِ الماءِ عقيانُ حورٌ كَواشِفُ عَن ساقٍ وَولدانُ الساقُ كاسِيةٌ وَالنّحرُ عُريانُ وَلِلغُيونِ كَما لِلطّيرِ أَلحانُ (۱) وَلِلغُيونِ كَما لِلطّيرِ أَلحانُ (۱)

يصف شوقي دمشق وكأنه يصف قطعة من الجنان ، وما هذا الوصف إلا حب صادق في قلب شوقي لدمشق ، فقد وصفها بأجمل أوصاف وأعذب تعابير وأرق كلمات ، وحق له ذلك فهي عنوان للجمال لما فيها من سحر الطبيعة ونقاء الجو وطبية أهل ، حيث تلك المدينة التي أرخت بفضائلها على جميع الأقطار الإسلامية ، فقد حضنت سنوات من الخلافة فوق ترابها ، وفي ذلك يقول شوقي : ( البسيط )

لَـولا دِمَـشقُ لَمـا كانَـت طُليطِلَـةٌ وَلا زَهَـت بِبَنـي العَبّـاسِ بَعـدانُ (٢)

فهذه الأوصاف تركت الحنين يسيطر على شوقي ، فكانت الذكرى تزيد من حنينه لها كلما عن له سماع ذكرها ، أو مناسبة تخصها ، ومما لا شك فيه أنَّ بلاد الشام كانت مكانتها عظيمة عند شوقي ، وهذا واضح من شعره الذي ذكرها في ديوانه مرات كثيرة .

أما بغداد فحصلت على مكانة عند شوقي ، حيث تغنى بها غناء المحب العاشق لهذه المدينة التي حازت حضارات عدة ، وحضنت أمجاد المسلمين في عصورهم الذهبية ، حيث التاريخ المجيد للأمة الإسلامية ، ومن الأبيات التي أنشأها شوقي متحدثاً فيها عن بغداد ، ومبيناً مكانتها ، ما ذكره في قصيدته ( نهج البردة ) حيث يقول : ( البسيط )

<sup>(</sup>۱) الشوقيات: ص۷۰۱.

<sup>(</sup>۲) السابق: ص۷۰۰.

دَع عَنكَ روما وَآثينا وَما حَوتا دارُ السشرائعِ روما كُلَّما ذُكِرت وَلا إحتوت في طِرازٍ مِن قَياصِرِها مَن السيرة وَلا إحتوب إذا سارت كتائبهُم

كُلُّ اليَواقيتِ في بَغدادَ وَالتُّومِ دارُ السَلَمِ لَها أَلقَت يَد السَلَمِ عَلَى رَسْدِ وَمَامُونٍ وَمُعتَصِمِ عَلَى رَسْدِ وَمَامُونٍ وَمُعتَصِمِ تَصَرَّفُوا بِحُدودِ الأَرضِ وَالسَّخَمِ (١)

إنَّ مدينة بغداد تميزت بصفات لم تتميز بها أي مدينة أخرى ، فقد كانت مركزاً للحضارة على مر العصور ، سواءً أكانت الإسلامية أم الآشورية أم البابلية ، تلك المكانة التي جعلت شوقي يتباهى بهذه المدينة لاسيما إبَّان الفترة الإسلامية ، حيث كانت منارة العلم الذي أسس لهذا التطور الرهيب في واقعنا المعاصر .

أما حنينه لبلاد الغرب ، ففرنسا حازت على نصيب الأسد ،حيت تاريخ شوقي في تلك البلاد أثناء فترات تعليمه ، فلقد زار عدداً من معالمها وحجزت في قلبه مكاناً لتلك الجماليات ، حيث يقول مخاطباً فرنسا : (الرمل)

يا فَرنسا لا عَدِمنا مِنَنا لَطَهُ بِيساريسَ وَلا لَطَهُ بِيساريسَ وَلا رَوَّعَت قَالِي خُطوبٌ رَوَّعَت أَنا لا أَدعو عَلى سينِ طَغي

لَـكِ عِنـدَ العِلـمِ وَالفَـنِّ جُـساما أَقِيَـت إِلّا نَعيمـاً وَسَـلاما سَامِرَ الأَحياءِ فيها وَالنياما إِنَّ لِلـسينِ وَإِن جارَ ذِمامـا(٢)

يعترف شوقي بعهود قطعها على نفسه تجاه معلم من معالم فرنسا (نهر السين) ، وحنين لتلك الأمكنة في فرنسا ، حيث الجمال الذي يسحر الألباب ، ومن ذلك الحنين لمدينة باريس ما كتبه شوقي في تذكره لأيام شبابه فيها ، فلقد كانت مصدراً للمرح والسرور ، ووحياً لربة الشعر عند شاعر يخطو نحو النجومية ، ومن ذلك قوله : (كامل)

يا مَكتَبِي قَبِلَ الشَبابِ وَمَلعَبِي وَمَراحَ لَذَاتي وَمَغداها عَلي وَمَغداها عَلي وَسَماءَ وَحي الشِعرِ مِن مُتَدفِّق

وَمَقيلُ أَيّامِ السَّبَابِ النوكِ أُفُقٍ كَجَنَّاتِ النَعيمِ ضَحوكِ سَلِسِ عَلى نَولِ السَماءِ مَحوكِ

<sup>(</sup>۱) الشوقيات: ص٦٣٨-٦٤١

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٥٦٠ .

لَمّا احتَمَلتُ لَـكَ الـصَنيعَةَ لَـم أَجِد إِن لَـم يَقوكِ بِكُـلٌ نَفس حُررَة

غَيرَ القَوافي ما بِهِ أُجزيكِ فَاللَهُ جَلَّ جَلالُهُ واقيكِ

فها هو يتحدث عن الأيام الجملية التي قضاها في باريس ، حيث ارتبطت تلك اللحظات الجميلة بهذا المكان ، فترك ذلك أثراً كبيراً في قلب الشاعر لتلك المدينة الساحرة ، مما دفع نفس شوقي إلى الحنين لذلك المكان ، فأخذ يعدد مسببات الحنين لباريس ، حيث أجمل فترات الشباب التي قضاها بين ربوعها ، وهي الملهم لأجمل الأشعار لما لطبيعتها من تأثير واضح على كل من شاهد معالمها ، فلا يملك شوقي إلا القوافي ليوافي هذه المدينة حقها ويرد بعض الجميل لها، ويبرد نار الحنين بداخله تجاه مدينة الأضواء .

عاش شوقي خمس سنوات في الأندلس ، ذلك المكان الذي يبعث في كل نفس أحاسيس لا توصف ، لما له من سحر يجذب القلوب والأبصار إليه ، فكيف بشاعر رقيق الإحساس مرهف الفؤاد ؟! يحن شوقي للأيام التي قضاها في الأندلس ، التي لم يتمتع بجمالها ؛ لأنه عانى من النفي ؛ لكنه يتذكر تلك الأيام التي تركت حنيناً في قلبه للأندلس وجمالها ، حيث يصف يوماً من تلك الأيام ، فيقول : (الوافر)

وي وم من صبا آذار حلو تصور من حلى النير وزوجها في النير وزوجها في النير وزوجها في النيراق صاحبه صحوا وزهوا تتاثر في البطاح حلى وأوفى وسألت شمسه في البحر تبرأ كان نيسيمه نفس العيذاري

فقدناه وما بلغ الشبابا وجمع من زخارفه إهابا وجمع من زخارفه إهابا ولد خصحاه حاشية وطابا على الآفاق فانتظم الهضابا على مثل الزمرد حين ذابا طعمن الشهد أو ذقن الحبابا(٢)

إنَّ إعجاب شوقي ببلاد الأندلس أثَّر على تعابيره ، فترك الأشعار ترسم ألوان الجمال الحسي لذلك المكان ، فهو نابع من شوق وعشق لبلاد الأندلس ، هذا المكان الذي يحمل تاريخاً مميزاً عند كل مسلم ناهيك عن جمال الأندلس وسحر طبيعتها ، وما هذا الوصف الدقيق الجميل لبلاد الأندلس إلا تعبير عن حنين كامن داخل قلب شوقي للأندلس .

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤٧٢.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص١١٠ .

#### المطلب السادس: الحنين إلى المحبوب:

يعتبر الحنين إلى المحبوب ترجمة للأحاسيس العاطفية تجاه الطرف الآخر ، وهذا أمر فطري في النفس ، وفيه يعبر الإنسان بما يشعر تجاه من يحب ، فالحنين إلى المحبوب هو : موقف شعوري صادق ، تغذيه التجربة بالألم ، وترفده برقة المشاعر ورهافتها ، فيفيض على لسان الشاعر قصائد ومقطوعات عذبة ، تتم عن شفافية الإحساس ، وزخم العواطف المتقدة في صدره ، ويقصد بالمحبوب هو الحبيبة أو المعشوقة التي تراءت في حنين الشاعر فأحس بفقدها ، وانعكست ذكرياته معها على أشعاره "(۱) .

يندرج غرض الحنين إلى المحبوب تحت غرض الغزل ، وشوقي طرق جميع أغراض الشعر العربي، ومنها الغزل حيث جاء غزله على نوعين: "أحدهما يبدأ به القصيدة على عادة القدماء، ويتخذه قنطرة للوصول إلى الغرض الأصلي منها ؛ كما كانوا يفعلون . والآخر لم يتخذه صلة ولا قنطرة ؛ وإنما قصد به الغزل نفسه ، وترجمة شعوره ووجدانه ، وتصوير ما يعتمل في نفسه من عواطف مشبوبة ، وأحاسيس متقدة "(٢) ، ولعل أصدق الغزل ما يقال في ذاته ، وليس وسيلة للدخول في موضوع ما ، أو جرياً على عادة الأوائل .

ظهر حنين شوقي إلى المحبوب بشكل واضح في أشعاره الغزلية ، فعبر عن هذا الحنين تعبيراً صادقاً ، وترجمه بلغة توحي بالتأثير الكبير للحب والعشق في قلبه ، حيث يقول في ترحيبه لمحن أحب : (المتقارب)

فَ دَنكَ الجَ وانِحُ مِ ن ن ازلِ بَ ذَلتَ لَ لهُ الجَف نَ دونَ الكَ رى وَقُل ثُ أَراكَ بِ رُغِمِ العَ ذول فَ وَيحَ المُتَ يَّمِ حَتّ ي الخَيالُ يَحِ نُ إلَيكَ ضُلوعٌ عَفَ ت

وَأَهِ للَّهِ بِطَيفِ كَ مِ نِ واصِ لِ وَمَ نِ بِ الكَرى لِلِ شَجِي الباذِلِ وَمَ ن بِ الكَرى لِلشَجِي الباذِلِ فَن العاذِلِ فَن العاذِلِ فَن العاذِلِ العادِل إذا زار لَ م يَخ لُ مِ ن حائِ لِ مِ مِ نَ البَين في جَسَدٍ ناحِ لِ مِ نَ البَين في جَسَدٍ ناحِ لِ

<sup>(</sup>١) الحنين في الشعر الزنكي والأيوبي: مي عمرو ، رسالة ماجستير ، جامعة الخليل ، ٢٠١١م ، ص٦٧.

<sup>(</sup>٢) المتتبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة : عباس حسن ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ط١، ١٩٥١م ، ص٥٠٠٠.

وَقَلَ بٌ جَوِ عِندَهَا خَافِقٌ وَقَلَ بُ جَوِ عِندَهَا خَافِقٌ وَمَا خَافِقٌ وَمَا عَبَاتُ العِمْ العَمْ العِمْ العَمْ العِمْ العَمْ العِمْ العَمْ العِمْ العَمْ العَمْ العَمْ العَمْ العِمْ العَمْ ا

تَعَلَّ قَ بِالسَّنَدِ المَائِلِ لِ لَعَلَّ فَ بِالسَّنَدِ المَائِلِ لِ لَا الْعَاتِ لِ (١) حَنْ يِنُ الْقَاتِ لِ اللَّاتِ لِ اللَّاتِ لِ اللَّاتِ لِ اللَّاتِ اللَّ

يصف شوقي في الأبيات السابقة شوقه وحنينه لمحبوبه ، حيث الفداء للمحبوب الذي حل نازلاً وواصلاً له ، فلقد ركب الصعب وتحمل المشقات في حبه وعشقه له ، فالحنين أهلك ضلوعه ، وأضعف جسده ، فهو لا يقوى على البعد ولا يحتمل الهجر ، فلا يملك شوقي إلا الإفصاح عما يجول في صدره من حنين إلى من أحب ، فالضلوع تحن لذلك المحبوب ، والقلب متعلق بها خافق كلما سمع سيرتها ، فالعشق ملأ كيانه وسيطر على وجدانه ، فيشبه تلاعب العشق بالعاشقين وسيطرته عليهم بحنين القتيل لقاتله ، وفي هذا دلالة لشدة حنينه وشوقه إلى محبوبه الذي حلّ بثنايا القلب .

ومن ذلك الحنين للمحبوب ما نظمه شوقي في العتاب ، فهو لا يطيق البعد عن محبوبه ، حتى عندما يقرر البعد يحاربه القلب ، ويهجره الرقاد ، وتظلم الدنيا أمام ناظريه ، فالمحبوب نزل سويداء القلب ، حيث يقول شوقي واصفاً حنينه : (الوافر)

أريد أن المُوكُم وَالقَل بُ يَابى وَقَابِي فَي هَـواكُم وَأَعَلَ حُمْ اللّهِ وَأَعَلَ حُمُ أَنَّ دَأَبَكُ حَمْ جَفَائِي وَأَعَلَ حُمُ أَنَّ دَأَبَكُ حَمْ جَفَائِي وَأَعَلَ حُمُ أَنَّ دَأَبَكُ حَمْ جَفَائِي وَوَلَّا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ عَمْ اللّهُ وَاللّهُ عَمْ وَقَابِي وَالْمَا وَالْمَا وَالْمُ وَالْمُ وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَالِي وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمِا وَالْمَا وَالْمَالْمِ وَالْمَا وَالْمَالْمِ وَالْمَا وَالْمَالِمِ وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَا وَالْمَالِمِ وَالْمَالِمِ وَالْمَالِمِ و

وَأَعتِ بُكُم وَمِ لَ السّنَفسِ عُتب ي وَيُصويني الظّالِمُ أَسى وَكَريا فَي صبو ناظِري وَالقَلبُ أَصبى وَأَجرزيكُم عَنِ التَعديبِ حُبّا فَما بالي جَعَلتُ الحُب دَأبا وَمِ لَ النّفسِ مِنهُ هَوىً وَعُتبى وَمِ لَ النّفسِ مِنه هَوىً وعُتبى عَتَبت كَ بِالهَوى وَكَفاكَ عَتبا إذا عُدً النفار عَلَيكَ وَالقَلبُ لَبّى فَعيني قَد دَعَ ت وَالقَلبُ لَبّي

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٥٣٧ .

لقد هام شوقي في محبوبه ، فرأى فيه كل الحسن ، فلا يستطيع هجره لأن الهجر معناه ضياع شوقي في بحور الحزن والأسى ورميه للمهالك والردى ، حيث القلب والعين والجسد متعلقان بهذا المحبوب الذي رسم للشاعر طريقاً محدداً لا يحيد عنه ، حتى عندما يريد ذلك المحبوب هجر الشاعر فلا يستطيع شوقي أن يبادله ذلك الفعل ؛ لأن الجمال والحسن ارتبط بالمحبوب فكلما رأى شوقي حسناً أو جمالاً يصيح قلبه هذا من ذلك الحبيب ، إنَّ شوقي لا يقدر إلا أن يعترف بسطوة هذا الحب عليه وشدة الحنين للمحبوب ، ومن ذلك قوله : (الوافر)

أَخَذتُ هَواكَ عَن عَيني وَقَابي فَعيني قَد دَعَت وَالقَلبُ لَبَى فَعيني قَد دَعَت وَالقَلبُ لَبَى وَأَنتَ مِن المَحاسِنِ في مِثالٍ فَديتُكَ قالَباً في مِثالٍ فَديتُكَ قالَباً في مِثالٍ فَي مِثالٍ فَديتُكَ قالَباً في مِثالٍ فَي مَثالٍ فَي مِثالٍ فَي مَثالٍ فَي مِثالٍ فَي مَثالٍ فَي مَثالًا فَي مُنْ فَي مَثالًا فَي مَا مُنْ فَاللّا فَي مَا مُنْ فَي مُنْ فَاللّا فَا

امتلاً قلب شوقي حنيناً إلى المحبوب ، وعبَّر عن هذا الحنين بتعابير بحسب الجو النفسي الذي عاشه ، فتارة يتحدث عن عدم تحمله للبعد عمن أحب ، وتارة يخاطب الحبيب بما يشعر نحوه من أحاسيس ملكت فؤاده ، وأحياناً يفند مزاعم العواذل الذين يرمون لقطع تلك العلاقة، وتارة يتحدث عن آثار العشق على حياته ، فالحنين إلى المحبوب تنقل بين أشعار عدة شكلت إطاراً واضحاً لحنين شوقي للمحبوب .

ومن حنينه حديثه مع المحبوب عن العواذل الذين يريدون التفرقة بينهما ، فيلجأ لاسم يحمل تراثاً عربياً أصيلاً يخاطب به محبوبه ، ويصف له مدى الحب الذي يكنه لها ، وأنه لا يلتفت لقول الوشاة حيث يقول : : ( الطويل )

لَقَد لامَني يا هِندُ في الحُبِّ لائِمٌ فَما هُوَ بِالواشي عَلى مَذهَبِ الهَوى وَصَفتُ لَـهُ مَن أَنتِ ثُمَّ جَرى لَنا

مُحِبِّ إِذَا عُدَّ الصِحابُ حَبيبُ وَلا هُوَ في شَرعِ الوِدادِ مُريبُ حَديثٌ يَهُمُّ العاشِقينَ عَجيبُ

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص١١٨.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص١١٨.

فالحنين دفع شوقي إلى رفض قول الواشي الذي يهدف إلى إبعاده عن محبوبته ، وأخذ يدافع عن علاقة الحب والعشق ؛ لأن تلك العلاقة قائمة على التسامح الذي يعطي للمحبين بريقاً خاصاً يؤثر بالإيجاب على تلك العلاقة ، ويخاطب شوقي محبوبه بعدم السماع لكلام العواذل، الذين يسعون بكل جهدهم للتفريق بينهما، وينقلون له المقالات الكاذبة التي تفت في عضد تلك العلاقة ، حيث يقول شوقي ( مجزوء الكامل )

وَسَمِعتَ مِنهُم فَوقَ جَهدِك ما كان أَكثرُها لِعَبدِك فَحَمَلتُ مِن وَجدي وَصَدِّك جَفنَيكَ لَكِن سَهمُ بُعدِك ن ال الع واذِلُ جَه دَهُم نَقَل وا إِلَي فَا اللهِ عَقَالَ قَ اللهِ قَالَ قَ اللهِ قَالَ قَ اللهُ قَ اللهُ اللهُ

فلقد كان شوقي متعلقاً بهذا المحبوب حتى عندما يغيب عنه لحظات تشتاق نفسه ويحن لطيف ذلك الحبيب ، وها هو يخاطب طيب الهوى حيث يقول : (الكامل) يا طيف من أهوى جعلت لك الفدى أكلاكما عن ناظري يغيب عندر الحبيب هو الرقيب عدمته قل لي بعيشك هل عليك رقيب (٣)

من أصعب اللحظات على المحب وأشدها حنيناً عندما يفصل الدهر بين محبوبين ، وقد يمتد ذلك الفراق لأوقات كثيرة مما يترك في القلوب لوعة وحنيناً ، والشعراء وحدهم هم الأقدر على التعبير بصدق العاطفة لمثل تلك المواقف ، فشوقي يعبر عن حالته هذه وقد أخذ منه الحنين كل مأخذ ورسم لوحة لذلك المحب شديد الوجد لحبيبه ، حيث المأساة التي تزيد ساعة بعد ساعة ، ويوماً بعد يوم ، وظواهر الكون ترخي بظلالها على هذه المعاناة ، حيث يصف ذلك الحنين فيقول : ( الطويل)

وَيُبِدِئُ بَتِّي في الْهَوى وَيُعيدُ

يَمُدُّ الدُجي في لَوعَتي وَيَزيدُ

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص١٤١.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٢٥٥.

<sup>(</sup>٣) السابق: ص١٥٠ .

إذا طال واستعصى فما هِي لَيلَة أرقِت وعادتني لِذكرى أجبتي أوقت وعادتني ليذكرى أجبتي ومَن يَحمِلِ الأشواق يَتعَب ويَختلِف لَقيت اللَّذي لَم يَلق قلبٌ مِن الهوى ولَم أخل مِن وجدٍ عَلَيكَ وَرِقَةٍ

وَلَكِن لَيالٍ ما لَهُنَّ عَديدُ شُجونٌ قِيامٌ بِالصَّلُوعِ قُعودُ عَلَيهِ قَديمٌ في الهَوى وَجَديدُ لَكَ اللَهُ يا قَلبي أَأَنتَ حَديدُ إذا حَلً غيدٌ أو تَرَحَّلَ غيدُ(١)

تزداد معاناة العشاق المفارقين لمحبيهم كلما جن الدجى ، فيزيد من لوعتهم ومعاناتهم ، ومنذ القدم اعتبر الليل عنواناً لسيطرة الهموم على الإنسان الحزين ، وهذا ما حدث مع شوقي ، فلقد تعددت الليالي الحزينة وتوالت عليه فلا عدد لها ، اتسمت تلك الليالي بتخييم ذكرى الأحبة على الشاعر ، فحركت الشجون واضطربت وأقيدت نيران الحب في الحشا ، وانفجر الحنين لهؤلاء الأحبة ، حتى وصل الأمر بشوقي أن يتعجب من قلبه الذي استطاع أن يتحمل كل هذه الآلام، فهو كالحديد ، فقلبه لاقى ألواناً من المآسي في رحلته في عالم العشق والهوى .

ومن آثار الحنين في شعر شوقي حديثه عن المحبوب ، وعدم تحمله للهجر والبعد ، فلا يستطيع أن يتحمل الحياة بدون محبوبه ، فيقر لها أنها وعده وميعاده في في هذه الدنيا ، فقد جمعهما القدر ليكونا ضمن خيمة العشق والهوى ، وعليها ألا تلتفت لقول الحساد حيث يقول : ( البسيط )

يا حلوة الوعد ما نساكِ مِيعادِي كيف انخدعتِ بِحُسادِي وَمَا نَقلُوا طَرفِي وطَرفك كَانَا فِي الهَوى سَبباً تَدَّكرِي هَلْ تلاقينا على ظماً وأنتِ في مجلس الريحان لاهية

عن الهوى أم كلام الشامِتِ العَادِي أنتِ التي خَلقتُ عَينَاكِ حسادي عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَكن طرفُك البَادِي وكيفَ بلَّ الصدى ذو الغلةِ الصادِي ما سرت من سامر إلا إلى نادِي

يتذكر شوقي تلك الأيام التي جمعته بالمحبوب ، وكيف كان لقاؤهما التي رسمت أطرافه تلك اللواحظ التي أشعلت نار الحب والعشق بينهما ، هذا الحب الذي جمع قلبين تعلقا وأصبحا قلباً

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٢٤٤.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٢٦٣.

واحداً جعل من الحساد يتهافتون للقطيعة بين المحبوبين ، ويعزو شوقي هذا التهافت لسحر عيون محبوبته ، التي جعلت نظرات الحسد تغزو هذه العلاقة ، فلقد جعل شوقي سبب هذه العلاقة تلك النظرات الساحرة بين العشاق والتي تجبر قلوب المحبين على ربط القلوب العاشقة ، حيث يصف ذلك في قصيدة أخرى ؛ فيقول : (الخفيف)

تَ كُ بَين ي وَبَينَها أَشياءُ فَكَ لِلمَّ فَمَوعِ دُ قَلِقًاءُ فَكَ لَامٌ فَمَوعِ دُ قَلِقًاءُ نَتَهادى مِنَ الهَ وى ما نَشاءُ نَتَهادى مِنَ الهَ وى ما نَشاءُ تَعِبَ ت في مِراسِ إِللَّه واءُ أَنْ تُمُ النّاسُ أَيُّها السَّعَراءُ(١)

إِن رَأَتَ عَ تَميلُ عَنَّ يَ كَأَن لَم نَظ صَرَةٌ فَابِتِ سَامَةٌ فَ سَلَامٌ يَط مَ كُنّا وَلا تَسلَل كَيف كُنّا وَكا تَسلَل كَيف كُنّا وَعَلَينا مِنَ العَف افِ رَقيب بُ جَاذَبَتني ثَوبي العصمِيَّ وقالَت

يغمر الشوق والحنين شوقي عندما يعود بذاكرته إلى أيامه الخوالي ، فصورة تلك الأيام لا تفارق خياله ، ولا يستطيع نسيانها ، فالمحبوبة قد ملكت قلب الشاعر وسيطرت على ماضيه وحاضره ومستقبله ، حيث يقول واصفاً حالته : (الطويل)

يُجاذِبُني في الغيدِ رَثَّ عِناني وَهَل الفَتى الغيدِ رَثَّ عِناني وَهَل الفَتى بِالمُستَحيلِ يَدانِ وَهَل الفَتَ إِلّا مِن دَمٍ وَحَنانِ وَلَمَ النّا أَنْ اللّهُ مِن دَمٍ وَحَنانِ وَلَا مَ تَدَكِر إلفاً فَلَستَ جَناني وَلَا مِن صِرفِ الهَوى بِدِنان (٢)

صَحاً القَلبُ إِلّا مِن خُمارِ أَماني حَنانَيكَ قَلبي هَل أُعيدُ لَكَ الصِبا تَحُننُ إلى مانِ وَطييب مِ تَحُن إلى ذاكَ الزَمانِ وَطييب مِ إِذا لَم تَصن عَهداً وَلَم تَرعَ ذِمَّةً أَتَذَكُرُ إِذ نُعطي الصَبابَةَ حَقَّها

ففي الأبيات السابقة يعلن شوقي فيها عن حنينه الشديد إلى المحبوب ، وجسد هذا الحنين في تمني الشاعر عودة ذاك الزمان الذي ارتبط بسطوة المحبوبة على قلب الشاعر ، فقلبه امتلأ حناناً لمن أحبهم وسكنوا حشاشة الفؤاد ، ثم يذكر أوصاف تلك الأيام التي ارتبطت بالعشق والهوى ، حيث يقول : (الطويل)

وَأَنتَ خَفوقٌ وَالحَبيبُ مُدانِ وَأَنتَ فُوادي عِندَ كُلِّ رِهانِ

وَأَنت خَفوقٌ وَالحَبيبُ مُباعِدٌ وَأَنت خَفوقٌ وَالحَبيبُ مُباعِدٌ وَأَيّامَ لا آلو رِهاناً مَع الهوى

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٥٥.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٧١٣ .

لَقَد كُنتُ أَشكو مِن خُفوقِكِ دائباً سَقاكَ التصابي بَعدَ ما عَلَّكَ الصِبا

فَولِّى فَيا لَهَ عَلى الخَفَقانِ فَيَا لَهُ فَي الخَفَقانِ فَكَيفَ تَرى الكَأْسَين تَختَلِفان (١)

ومن حنين شوقي إلى المحبوب عندما يذكر من أوصاف المحبوب الذي شكل له حياة كاملة امتلأت تلك الحياة حباً وعشقاً ، ومن تلك الأوصاف التي ذكرها شوقي في معرض حديثه عن العشق والحنين إلى المحبوب قوله: (الطويل)

إِذَا عَرَضَت لِلْمَرِءِ لَـم يَـدرِ ماهِيـا أَتَـى لَـكِ مَملـوءً مِـنَ الوَجـدِ وافِيـا وَلَفطُـكِ لا يَنفَـكُ لِلجُـرحِ آسِـيا كَخالِكِ بَـينَ السَيفِ وَالنار ثاويـا(٢)

عن المسلى والحين إلى المحبوب لوك . ( المعود من المحبوب لوك . ( المعود من المحبوب لوك . ( المعود من المحبوب لوك . ( المعود وَإِنَّ الْمَالُونُ المعالم المقالم المعالم المعالم

يصور شوقي الحالة التي سيطرت عليه بسبب الحنين الجارف للمحبوب ، وقد أغار الحنين على قلبه حتى أشفق شوقي على قلبه من آثار الشوق والحنين ، فيصف ذلك المشهد قائلاً : (الكامل )

مَن صَوْرَ السِحرَ المُبينَ عُيوناً نَظَرَت فَحُلتُ بِجانِبي فَاسِتَهدَفَت وَرَمَت بِسَهمِ جالَ فيه جَولَة وَرَمَت بِستَهمِ جالَ فيه جَولَة فَلَمَستُ صَدري موجِساً وَمُرَوَّعاً فَلَمَستُ صَدري موجِساً وَمُرَوَّعاً يا قَلبُ إِنَّ مِنَ البَواتِرِ أَعيُناً

وَأَحَلَّ هُ حَدَدُقاً وَجُفونا وَأَحَلَّ هُ حَدِدُا وَجُفونا كَبِدي وَكَانَ فُوادِيَ المَغبونا حَتَّى السَعْبونا حَتَّى السَعْقَرَّ فَرَنَّ فيه رَنينا وَلَمَ سَتُ جَنبي مُشفِقاً وَضَانينا سوداً وَإِنَّ مِنَ الجَادِي عينا (٣)

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٧١٤.

<sup>(</sup>۲) السابق : ص۷۷۳

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٦٩٤.



# الفصل الثالث الدراسة الفنية

## المبحث الأول: الأسلوب:

يعرف الأسلوب لغة : بأنه السَّطْر من النخيل ، وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ فهو أُسلوبٌ والأُسْلوبُ الطريق والوجهُ والمَذْهَبُ ويُجمَعُ أُسالِيبَ (١) .

أما اصطلاحاً فتعددت التعريفات بحسب نظرة من تحدث عن الأسلوب ، ولعل شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني يعطي تعريفاً مختصراً شمل فيه كل النواحي الخاصة بهذا المصطلح فيقول: "والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه "(١) ، أما ابن خلدون فيذكر كلاماً جميلاً في تعريفه لمدلول لفظة الأسلوب ، فيقول: "هو عبارة عن المنوال الذي تتسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه ، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ، ولا باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التراكيب، الذي هو وظيفة البلاغة والبيان؛ ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض. فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية؛ وإنما ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص. وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان؛ فيرصها فيه رصاً ، كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام " (٢).

فالأسلوب: "طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه "(<sup>3)</sup>.

<sup>(</sup>١) لسان العرب لابن منظور : مادة (سلب ) ١/ ٤٧٣.

<sup>(</sup>٢) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، قراءة و تعليق : محمود شاكر ، مكتبة مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢ م ، ص ٤٦٩-٤٦٩.

<sup>(</sup>۳) تاریخ ابن خلدون : ابن خلدون ، تحقیق خلیل شحادة ، دار الفکر ، بیروت – لبنان ، ط۲ ، ۱۹۸۸م، ام ۲۸۸ م، ۱/ص ۷۸۲ .

<sup>(</sup>٤) الأسلوب: أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٧٦م ، ص٤٤ .

ويذكر أحمد أمين " بأن الأسلوب ما هو إلا صفة من صفات الشخصية ، فهو عبارة عن اختيار الكلمات وانسجام العبارات وترتيب الجمل في قالب موسيقي خاص ، فكل ذلك خاص بالكاتب أو الشاعر ، فالأسلوب كل لا يتجزأ " (١) .

" فالأسلوب الأدبي ينحل إلى عناصر ثلاث: الأفكار والصور والعبارات، وكذلك يكون الاختيار الذي يتناول الأفكار والصور والعبارات عملاً أسلوبياً، هو طريقة الصياغة التي تتصرف في تلك العناصر بما تراه أليق بموضوع الكلام "(٢).

إنَّ الأسلوب هو المنهج الذي يسير عليه الشاعر أو الكاتب ، ويتكون ذلك المنهج من خلال طريقة الشاعر في كتابته للشعر ، بحيث يتسم بهذا المنهج ويعرف به ، وهذا ما يلامس عند قراءة شعر أحمد شوقي ، فإنك تحس بأسلوبه الخاص بين ثنايا العبارات والألفاظ والتراكيب والصور والفكرة التي يحملها .

لقد تجلت سمات أسلوب شوقي عند حدثيه عن غربته وحنينه ، فاتسمت تلك الأشعار بصدق العاطفة ، وقوة الألفاظ وجزالتها ، ودقة تصميم التراكيب المتناغمة والجو النفسي الذي يعيشه الشاعر ، فقد ركب شوقي السهل الممتنع لإيصال عواطفه وصبها في قالب شعر رائع وموسيقا موافقة لحديث الشاعر عن شعوره بالغربة وحنينه إلى الوطن وإلى الأهل والأصدقاء والذكريات الجميلة ، والأمكنة التي شكلت عنصراً للسعادة في حله وترحاله ، والحنين الديني والحنين إلى المحبوب .

جاءت ألفاظ الغربة والحنين عند شوقي لتسهم في إبراز أحاسيسه وتوضح ما يعانيه من ضغط نفسي هائل ، فشعر الغربة والحنين عبارة عن تفريغ انفعالي للمأساة التي يعيشها الشاعر، وذلك أثر على ألفاظ شوقي فجاءت واضحة جلية لتخدم الغرض التي جيئت من أجله ، وانقسمت ألفاظ الغربة والحنين عند شوقي لقسمين ، حيث استخدم ألفاظ الغربة مباشرة عند الحديث عن الغربة ، حيث يقول : ( الطويل )

أَبُثُ كَ وَجدي يا حَمامُ وَأُودِعُ وَأَدِعُ وَأَدِعُ وَأَدِعُ وَأَنْتَ مُعينُ الْعَاشِقِينَ عَلى الْهَوى وَأَنْتَ مُعينُ الْعَاشِقِينَ عَلى الْهَوى أَرِكَ يَمانِيّاً وَمِصرُ خَمياتَ ي

فَإِنَّكَ دونَ الطَيرِ لِلسِرِّ مَوضِعُ تَـئِنُ فَنُصعٰي أَو تَحِنُ فَنَسمَعُ كِلانا غَريبٌ نازِحُ الدارِ موجَعُ وَناءٍ عَلى قُربِ الديار مُروعُ(٣)

<sup>(</sup>١) ينظر : في النقد الأدبي ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط٤ ، ١٩٦٧م ، ١٣٠/١.

<sup>(</sup>٢) الأسلوب: أحمد الشايب ، ص٥٢ .

<sup>(</sup>٣) الشوقيات: ص٤١٣.

فلقد استخدم شوقى عدداً من الألفاظ الدالة على الغربة صراحة ، وظهر ذلك عندما خاطب الحمام ، حيث استخدم كلمة غريب ، والتغرب ، وكلاهما من مادة غرب .

ومن تلك الألفاظ ما صرح به في مطلع قصيدته والتي بعنوان ( أندلسية ) والتي بث فيها آهات غربته وشدة حنينه لمصر حيث يقول: (البسيط)

نَـشجى لواديـكَ أَم نَأســي لوادينــا قَصَّت جَناحَكَ جالَت في حَواشينا أخا الغَريب وَظلَّا غَيرَ نادينا سَهماً وَسُلَّ عَلَيكَ البَينُ سِكِّينا(١)

يا نائِحَ الطَلح أَشباهٌ عَوادينا ماذا تَقُصُ عَلَينا غَيرَ أَنَّ يَداً رَمِى بنا البَينُ أَيكاً غَيرَ سامِرنا كُـلٌّ رَمَتَـهُ النَّـوي ريـشَ الفِـراقُ لَنـا

قَـضاها فـي حِمـاكِ لِـيَ اِغْتِرابـا (٢)

ومن ألفاظ الغربة كذلك قوله: ( الوافر ) مُغَـــرِّبُ آدَمٍ مِــن دارِ عَــدنِ

حيث صرح بألفاظ الغربة ، مثل: (مُغَرِّبُ ، اغترابا ) وكان ذلك عند وداعه لبلاد الأندلس متجهاً لوطنه مصر.

ومن الألفاظ التي تحمل معاني الغربة والتشرد ما ذكره شوقي من معاناة عايشها في الأندلس ، تمثلت تلك المعاناة في منعه من التوجه لوطنه وشعوره بالنزوح القسري عن الوطن ، حيث استخدم كلمة نازح للدلالة على عظم المعاناة فيقول: ( البسيط ) آها لَنا نازحي أَيكٍ بِأَندَلُسِ وَإِن حَلَانا رَفِيقاً مِن رَوابينا

رَسِمٌ وَقَفنا عَلى رَسِمِ الوَفاءِ لَـهُ نَجِيشُ بِالدَمع وَالإِجلالِ يَثنينا (٣)

ومن تلك الألفاظ التي تحمل معنى الغربة ما ذكره في البيتين السابقين ( آها - نازحي -نجيش – الدمع ) فالكلمات السابقة تدل على الحزن الشديد لفراق الوطن والتغرب عنه .

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٦٨٠.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص١٠٥.

<sup>(</sup>٣) السابق: ص ٦٨١.

ومن الألفاظ الدالة على الغربة كلمات البعد والغياب وذلك قد جمع في قصيدة واحدة تحدث فيها شوقي عن غربته عن بلاد النيل وشوقه لشربة واحدة منه ، حيث يقول : (البسيط) يا ساكني مصرر إنّا لا نزالُ على عَهْدِ الوَفاءِ وإنْ غِبْنا مُقِيمِينَا هَلَا بَعَثْتُمْ لنا من ماءِ نَه رِكُمُ شيئاً نَبُلُ به أَحْشاءَ صادِينَا كلُ المَناهِل بَعدَ النّيل آسِنَة ما أَبْعَدَ النّيل إلاّ عَنْ أَمانينَا (۱)

إن الألفاظ الدالة على الغربة كثيرة في شعر شوقي ، وقد تعددت بحسب الموضوع المتحدث عنه في القصائد المختلفة التي نظمت لغرضها المحدد ، فاستخدامه لكلمة النفي جاء تعبيراً عن رفضه المطلق للغربة ، حيث يقول : ( الكامل )

لَولا عَوادي النَفي أو عَقَباتُ والنَفيُ حالٌ مِن عَذابِ جَهَ نَمِ (٢)

ومن تلك الألفاظ التي توحي بالحزن نتيجة آلام الغربة ، والتي تركت القلب يبكي ألماً وحزناً ما ذكره شوقي في قصيدة عبر فيها عن شعوره بالاغتراب حيث يقول: (الكامل)

قَلَ بُ يَ ذُوبُ وَمَ دَمَعٌ يَج رِي يَا لَي لُ هَلَ خَبَرٌ عَنِ الفَج رِ حالَ ت نُجومُ كَ دونَ مَطلَعِ هِ لا تَبتَغ ي حِ وَلاً وَلا يَ سري وَتَطاوَلَ ت جُنحاً فَخُيِّ لَ لي أَنَّ الصَباحَ رَهينَ لَهُ الحَ شرِ (٣)

فجاءت الألفاظ (يذوب، مدمع) لتوحي بمدى الحزن المسيطر على شوقي، وفي بعض القصائد جمعت ألفاظ الغربة ومدلولاتها لتزيد من وضوح مؤثرات الغربة عنده، ومن ذلك قوله: (الطويل)

ومُصنطربٍ لا يهدأ الأَيكُ تحتَهُ
برى البين ظُفريه وأذهب ريشه
يكاد يلين الجذع من زفراته
كلانا غريب في المضاجع ليله
أقول له والغُدر بيني وبينه

لَـهُ مثـلُ مـا بـي أنَّـةٌ وزفيـرُ وهـد جناحيـه فكيـف يطيـرُ وييـبس منها الفرع وهـو نـضيرُ طويـل وليـل العـالمين قـصيرُ ومـن مـدمعينا جـدول وغـديرُ (٤)

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٨٨٨ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٦٠٥.

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٥٧٥.

<sup>(</sup>٤) السابق: ص٣٢٧.

فلقد صرح بلفظ مباشر عن الغربة والاغتراب بلفظ (غريب) حيث وصف نفسه بالغريب ، وعدد من دلالات الغربة وآثارها بألفاظ عديدة ، مثل : (مضطرب ، أنَّة ، زفير ، البين ، الغدر ، مدمع ) .

أما ألفاظ الحنين المباشرة ومرادفاتها فلم نقل عن ألفاظ الغربة ، فكلاهما مكملان لبعضهما ، حيث جاءت ألفاظ الحنين متناثرة في القصائد التي عبر شوقي فيها عن حنينه ، ومثال ذلك قوله في شوقه لمن أحبهم : ( البسيط ) في شوقه لمن أحبهم : ( البسيط ) خين الحنينُ إِلَيكُم في خَواطِرِنا عَين الدَلالِ عَلَيكُم في أمانينا (١)

ففي البيت السابق ورد لفظ الحنين بصورة مباشرة ، معبرًا عن تلك العاطفة الجياشة في قلب الشاعر ، فالحنين للأهل والأحباب قد غاص في سويداء القلب ، وكلمة الحنين ساعدت في رسم المعنى الدقيق لما يريده الشاعر ، ومن الألفاظ المباشرة لغرض الحنين ما جاء في تغنيه بالمحبوب ، حيث يقول : (المتقارب)

يَحِنُ إِلَيكَ ضُلُوعٌ عَفَ ت مِنَ البَينِ في جَسَدٍ ناحِلِ وَقَالَ بُّ جَوْ عِندَها خَافِقٌ تَعَلَّصَ قَ بِالْسَنَدِ المائِلِ وَمِن عَبَثِ العِشقِ بِالعاشِقِين حَنينُ القَتيلِ إلى القاتِلِ(٢)

لقد جاءت كلمتان مباشرتان للفظ الحنين ومن نفس مادة (حنن) لتزيد من المعنى ، وتوضح الفكرة ، فجاءت لفظة (يحن) ولفظة (حنين) ، ومن الألفاظ غير المباشرة الواردة في الأبيات السابقة: (خافق ، العشق) حيث ساعدت في تقوية المعنى .

إنَّ الألفاظ الدالة على الحنين كثيرة في معجم شوقي ، فمنها اللفظ المباشر ، ومنها غير المباشر ، وتجد ذلك في معظم قصائده وقد جمعا سويةً ، ومثال ذلك قوله في حنينه إلى المحبوب : (الطويل)

حَنانَيكَ قَلبي هَل أُعيدُ لَكَ الصِبا وَهَل لِلْفَتى بِالمُستَحيلِ يَدانِ

182

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٦٨٢.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٥٣٧ .

تَحُنُ إلى ذاكَ الزَمانِ وَطيبِهِ إِذَا لَم تَصُن عَهداً وَلَم تَرعَ ذِمَّةً أَتَذَكُرُ إِذ نُعطى الصَبابَةَ حَقَّها

وَهَل أَنتَ إِلّا مِن دَمٍ وَحَنانِ وَلَم تَدّكِر إلفاً فَلَستَ جَناني وَنشربُ مِن صِرفِ الهَوى بِدِنانِ(۱)

فمن ألفاظ الحنين المباشرة الواردة في الأبيات السابقة كلمة (تحن) وكلمة (حنانيك) وكلمة (حنان) ، ومن الألفاظ غير المباشرة الدالة على الحنين كلمة (تَدَّكِر) و (الصَبابَة) .

فالأمثلة كثيرة على ألفاظ الحنين عند شوقي ، تعددت تلك الألفاظ عند حديثه عن الحنين إلى الوطن ، ومثال ذلك : ( البسيط )

فَرُحتُ أَشوقَ مُشتاقٍ لِأَوطانِ وَسَكبِيَ الدَمعَ مِن تَذكارِها قاني (٢) يا مَن هَجَرتُ إلى الأَوطانِ رُؤيَتَها أَتَدكُرينَ حَنيني في الزَمانِ لَها

حيث جاءت كلمة الحنين صريحة في البيت الثاني ، وجاءت بعض الكلمات تحمل معنى الحنين ، مثل : ( أشوق ، مشتاق ، أتذكرين ، تذكارها ) . ومن الألفاظ الواردة في حنين شوقي لأهله ما يذكره في حنينه لأمه حيث يقول : (البسيط)

خَيرَ الوَدائِعِ مِن خَيرِ المُؤَدِّينَا لَم يَأْتِهِ السَّسَوقُ إِلَّا مِن نَواحينا لَم نَدرِ أَيُّ هَوى الأُمَّينِ شَاجينا (٣)

فالكلمات (عزيز ، الشوق ، شجن ، هوى ، شاجينا ) دلت على حنينه لأمه ، وعبرت كذلك عن حنينه لوطنه مصر . ومن تلك الألفاظ الدالة على الحنين ما أنشده وهو على ظهر السفينة عندما رأى طفلة تشبه ابنته أمينة ، فقال : (رمل مجزوء)

وَهـو في خُلـوان زينَـه مِن خُلـوان زينَـه مِن خُلـوان زينَـه مِن خُلـوان زينَـه مُن فَينَـه مُن فَينَـ مُن فَينَـه مُن فَينَـ مُن فَينَانِـ مُن فَينَـ مُن فَينَانِـ مُن فَينَـ مُن فَينَـ مُن فَينَانِـ مُن فَينَانِـ مُن فَينَانِـ مُن فَينَـ مُن فَينَانِـ مُن فَينَانِكُوا مُن فَينَانِـ مُن فَينَانِـ مُن فَينَانِكُوا مُن مُنْ

أُنَّ تِ فَ عِي الْفُلِّ لِي بَهِاءٌ

(١) الشوقيات : ص٧١٣ .

(٢) السابق: ص٧٠٤.

(٣) السابق : ص ٦٨٣–٦٨٤ .

(٤) السابق : ص٦٦٥.

فقد استخدم لفظ الحنين صراحة في قوله (حنينه) ، ولفظ (الوجد) للدلالة على شدة شوقه لابنته أمينة.

أما الألفاظ الدالة على الحنين إلى الذكريات الماضية فقوله في حنين شوقي لأجمل لحظات العمر في مرحلة الشباب: (الطويل)

أقول لقابي والهوى يزحم الهوى إذا أنت لم تعط الشبيبة حقها وانك حيى ما خفقت مؤمل

حوالي الصبا والوجد بالوجد يلتقي ندمت على ما فات بعد التفرق وإن حياتي في حياتك فاخفق (١)

حيث جاءت كلمات تساعد في إظهار حنينه ، مثل : ( الوجد ، الهوى ، التفرق ) ، أما ألفاظه في حنينه إلى المحبوب فكثيرة ومثالها قوله : ( الطويل)

زيد ُ وَيُبدِئُ بَتّبي في الْهَوى وَيُعيد ُ وَلَكِن لَيالَةٌ وَلَكِن لَيالٍ ما لَهُن عَديد ُ لَيَالٍ ما لَهُن عَديد ُ شُرجونٌ قِيامٌ بِالصَّلُوعِ قُعود ُ عَلَيهِ قَديمٌ في الْهَوى وَجَديد ُ عَلَيهِ قَديمٌ في الْهَوى وَجَديد ُ عَلَيهِ قَالِب قَالِب قَالِب قَالَت حَديد ُ اللّه على اللّه على اللّه على اللّه على اللّه عَديد ُ اللّه عَديد أو تَرَدّ لَ غيد أو تَرَدّ لَ غيد دُ (۲) فيد أو تَرَدّ لَ غيد دُ (۲)

يمُدُ الدُجى في لَوعَتي وَيزيدُ المالَ وَاستَعصى فَما هِيَ لَيلَةً إِذَا طالَ وَاستَعصى فَما هِيَ لَيلَةً أَرِقِتُ وَعادَتني لِدِكرى أَحِبَّتي وَمَن يَحمِلِ الأَشواق يَتعَب وَيَختَلِف وَمَن يَحمِلِ الأَشواق يَتعَب وَيَختَلِف لَقيتَ الَّذي لَم يَلقَ قَلبٌ مِنَ الهَوى وَلَد عَليكَ وَرِقَة إِ

حيث جاءت ألفاظ عديدة أسهمت في رسم حدود ذلك الحنين ، فقد ورد كلمات أخذت على عاتقها إظهار الحنين ، منها: (لوعتي ، أرقت ، ذكرى ، شجون ، الأشواق ، الهوى ، وجد ) .

أسهمت ألفاظ الغربة والحنين السابقة في إبراز تلك العاطفة الإنسانية الجياشة ، فكانت ألفاظها المباشرة أو غير المباشرة وسيلة للتعبير عن صدق التجربة الشعورية عند شوقى .

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤٥٩.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٢٤٤.

#### التناص:

تعريفه لغة: " النَّصُّ رفْعُك الشيء نَصَّ الحديث يَنُصُه نصّاً رفَعَه وكل ما أُظْهِرَ فقد نُصَّ ، قال الأَزهري النصُّ أَصلُه منتهى الأَشياء ومَبْلغُ أَقْصاها ومنه قيل نصَصْتُ الرجلَ إِذا استقصيت مسأَلته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده "(١).

أما اصطلاحاً فهو عند (جوليا كرستيفا) أول من جاء بهذا المصطلح: "كل نص يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الاقتباسات ، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى "(٢) وترى كذلك أنَّ التناص " قانون جوهري: إذ هي نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص ، وفي الوقت نفسه هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصياً ويمكن التعبير عن ذلك بأنه ترابطات متناظرة ذات طابع خطابي "(٢)

"التناص من أبرز بنيات الشعر الحداثي ، ومن أدق خصائص بنيته التركيبية والدلالية ، حيث يمثل التناص استحضار نصوص غائبة سابقة في النص الحاضر لوظيفة معنوية أوفنية أو أسلوبية." (٤) ، وهناك من النقاد من حاول أن يوالف بين العديد من التعريفات لمصطلح التناص، لما صاحب هذا المصطلح تسميات عديدة بسبب أصله الغربي ، فالناقد محمد مفتاح يعرفه بأنه: "تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة " (٥) فالتناص عنده : "ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتلقين ، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي ، وسعة معرفته وقدرته على الترجيح " (٦) ، وما صرح به محمد مفتاح يصيب كبد الحقيقة ، فلا يمكن للناقد التعرف على النتاص داخل نص ما إلا إذا كانت ثقافته واسعة ، عند ذلك يستطيع معرفة التحولات داخل النص الأدبي .

<sup>(</sup>١) لسان العرب: ابن منظور ، مادة ( نصص ) ، ٩٧/٧ - ٩٨ .

<sup>(</sup>٢) الخطيئة والتكفير -من البنيوية إلى التشريحية - قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر: عبد الله الغذامي ، النادي الثقافي الأدبي - جدة ،١٩٨٥م ، ط١ ، ص١٣٠.

<sup>(</sup>٣) علم النص : جوليا كريستيفا ، تر/فريد الزاهي ، مراجعة / عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، المغرب، ط١ ، ١٩٩١م ، ص٧٩ .

<sup>(</sup>٤) النتاص في الشعر الفلسطيني المعاصر: حسن البنداري ، عبد الجليل صرصور ، عبلة ثابت ، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ، ٢٠٠٩ ، المجلد ١١ ، العدد ٢ ، ص ٢٤١ .

<sup>(</sup>٥) تحليل الخطاب الشعري: محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٣ ، ١٩٩٢م ، ص ١٢١ .

<sup>(</sup>٦) السابق ، ١٣١ .

فالتناص على اختلاف مسمياته سواء التداخل النصي أو التعالقية النصية أو النص الغائب هو وجود علاقة بين نصين أحدهما سابق والآخر لاحق ، وهذه العلاقة قد تكون على صعيد الشكل أو المضمون أو كليهما معاً ، متكئةً على نماذج متعددة نحو : الاقتباس أو التضمين أو الإيماء أو الإشارة (۱) . وذلك باعتماده على الجذور التاريخية للتناص في الأدب العربي . وهذا حاضر وبقوة عند شوقي ؛ لأنَّ شوقي من رواد مدرسة الإحياء والبعث التي استقت منهجها وأسلوبها من التراث العربي وأخذت تبث الحياة من جديد في الشعر العربي ، لذلك نجد شوقي سائرًا على النهج القديم مجددًا ما أمكن له ذلك .

أما أمثلة التناص عند شوقي في أشعار الغربة والحنين ، فجاءت واضحة منتشرة في أكثر من قصيدة ، وذلك يرجع لثقافته الواسعة واطلاعه على ثقافات عديدة ، ومن تلك الأمثلة المقسمة وفق أنواع التناص كالآتى :

## التناص الديني:

ويقصد به تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الكتب السماوية الأخرى مع النص الأصلي للقصيدة بحيث تتسجم هذه النصوص مع السياق الشعري ، وتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً أو كليهما معاً (٢). ويندرج تحت ذلك استخدام الألفاظ القرآنية وتوظيفها في نصوصه والأحاديث النبوية الشريفة ، ومثال ذلك قوله: (الكامل)

بِنِ تَ البِقِ اعِ وَأُمَّ بَرِدُونِيَّهِ اللَّهِ الْفَيِ تَ البِقِ اعِ وَأُمَّ بَرِدُونِيَّهِ اللَّهِ الْفَيِ تَ سُرِدُونِيَّهِ اللَّهِ الْفَيِ تَ سُرِدَةَ عَدِنِهِنَّ رُبِ الْكِ وَدِمَ شَقُ جَنِّاتُ النَّعِيمِ وَإِنَّمَ الرَّبِ الْفَيِ تَ سُرِدُوسُ ثُمَ الْفِي الْفِي رَدُوسُ ثُمَ الْمُ الْفِي رَدُوسُ ثُمَ الْفِي الْفِي رَدُوسُ ثُمَ الْفِي (\*)

قَ سَما لَو اِنتَمَ تِ الْجَدُولِ وَالرُبِ الْفِي الْفِي رَدُوسُ ثُمَ الْفِي (\*)

يتناص شوقي في هذه الأبيات مع قوله تعالى: " إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَنتِ
يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَنِهِمْ تَجْرِك مِن تَحْتِمُ ٱلْأَنْهَارُ فِي جَنَّتِ ٱلنَّعِيمِ " (أ) حيث استخدم تركيب
القرآن الكريم ( جنات النعيم ) في معرض حديثه عن جمال مدينة زحلة اللبنانية ، ولم يقف عند

<sup>(</sup>۱) ينظر : ظاهرة التناص في الشوقيات ، مهند عباس زكي ، رسالة ماجستير ، الجامعة العراقية – بغداد، ۲۰۱۱ ، ص ۱۱۷.

<sup>(</sup>٢) ينظر : النتاص : مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية ، د. أحمد الزعبي ، مكتبة الكتاني، الأردن ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص١١ . ظاهرة النتاص في الشوقيات : مهند عباس زكي، ص ٥٣ .

<sup>(</sup>٣) الشوقيات: ص٤٦٧.

<sup>(</sup>٤) سورة يونس : آية ٩ .

ذلك الحد بل وظف ألفاظ القرآن الكريم مثل: (عدن ، الفردوس) ، لقد استخدم شوقي ذلك التركيب في أبيات عديدة ، منها قوله في حنينه لباريس: (الطويل) وَمَـراحَ لَــذّاتي وَمَغـداها عَلــي أُفُــقٍ كَجَنّاتِ النَعـيمِ ضَـحوكِ وَسَـماءَ وَحـي الـشِعرِ مِـن مُتَـدَفِّقٍ سَـلِسٍ عَلـى نَـولِ الـسَماءِ مَحـوكِ (۱)

ومنها قوله في رثائه لأمه وهو في المنفى ، وحنينه لأمه حيث يقول : ( الطويل ) نَزَلِتُ رُبِى الدُنيا وَجَنَاتِ عَدنِها فَما وَجَدَت نَفسي لِأَنهارِها طَعما(٢)

وعند حديثه عن المنفى وبعده عن وطنه يستدعي شوقي قصة آدم (عليه الصلاة والسلام) عندما أخرج من جنة الخلد ، حيث يقول : (الوافر) مُغَــــرِّبُ آدَمٍ مِـــن دارِ عَــدنٍ قَـضاها فـي حِمـاكِ لِـيَ اِغتِرابـا (٣)

لقد ظهر النتاص الديني عند شوقي باستدعائه قصة آدم (عليه السلام) مع إبليس (لعنه الله) وذلك في قوله تعالى: " فَوَسَوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطِنُ قَالَ يَتَادَمُ هَلَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلخُلِّهِ وَمُلْكِ وَلَكُ في قوله تعالى: " فَوَسَوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطِنُ قَالَ يَتَادَمُ هَلَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلَّهِ وَمُلْكِ لَا يَبْلَىٰ فَ فَأَكَلَا مِنْهَا مَن وَرَقِ ٱلْجُنَّةِ وَعَصَىٰ لَا يَبْلَىٰ فَ فَأَكُلا مِنْهَا مَن وَرَقِ ٱلْجُنَّةِ وَعَصَىٰ عَادَمُ رَبَّهُ وَهَدَىٰ فَ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا لَّ بَعْضُكُمْ لِبَعْضِ عَدُونً فَأَ إِمَّا يَأْتِينَكُم مِّنِي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ فَا اللهُ الله

" وقد استخدم شوقي شخصية جبريل في إضفاء القدسية ؛ ففي قصيدته (أندلسية) التي نظمها في منفاه بأسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز ويصف كثيرًا من مشاهده ومعاهده ، يرسل تحية إلى مصر مع (جبريل) – عليه السلام – ليجعلها تحية مقدسة ، فيقول في أبيات منها: (البسيط)

يا ساري البَرق يَرمي عَن جَوانِحِنا بعد الهُدوء وَيَهمي عَن مَآقينا

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤٧٢.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٥٥٠.

<sup>(</sup>٣) السابق : ص١٠٥ .

<sup>(</sup>٤) سورة طه: آية ١٢٠–١٢٣.

نَجائبِ النُّورِ مَحْدُوًّا (بجبرينا) إنساً يَعِثنَ فَساداً أَو شَياطينا (١)

ب الله إن جُبتَ ظلماءَ العُباب على تَردُّ عَنكَ يَداهُ كُلَّ عادِيَةٍ

فالتحية ترسل مع البرق هي صورة بسيطة تقليدية شائعة في الشعر القديم ، ولكن الجديد فيها هو محاولة شوقي إسباغها السمو والتقديس فجعل البرق كما لو كان قافلة تمضي على إبل نجيبة كريمة ؛ ولكن هذه الإبل إنما هي من نور (نجائب النور) ومما زاد المعنى قدسية هو جعل جبريل – عليه السلام – هو الذي يحدو بهذه الإبل " (٢) .

ومن ذلك قوله: (البسيط) إذا خَفَ ضت جَناحَ الدذُلِّ أَسالَهُ

عِزَّ الشَّفاعَةِ لَم أُسأَل سِوى أُمَمِ (٣)

فقد وظف شوقي التعبير القرآني في قوله: (خَفَضتُ جَناحَ الذُلِّ) وذلك يتناص مع قوله تعالى: "وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمَهُ مَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا " (١٠)

# التناص الأدبى:

يعرف التناص الأدبي بأنَّه: "تداخل نصوص أدبيّة مختارة قديمة وحديثة ، شعراً ونثراً مع النَّصِّ الأصلي . بحيث تكون منسجمةً ومتسعةً ودالةً قدر الإمكان على الفكرةِ التي يقدمها أو يعلنها المؤلف أو الحالة التي يجسدها ويتحدث عنها " (°)

والتناص الأدبي عند شوقي متعدد المداخل ، ومن الأمثلة على التناص الأدبي في الحنين استقاؤه المعاني والألفاظ تارة ، والمعارضات تارة أخرى ، فالمعارضات الشعرية كانت سمة ظاهرة عند شوقي ، ومن أمثلتها في أشعار الغربة والحنين عنده معارضته للبحتري في سينيته التي يقول فيها : (الخفيف)

صُنتُ نَفْسى عَمّا يُدنِّسُ نَفْسى وَتَرَفَّعتُ عَن جَدا كُلِّ جِبس (١)

(١) الشوقيات: ص ٦٨١.

<sup>(</sup>٢) التناص : مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية ، د. أحمد الزعبي ، ص  $^{ \rm m }$ 

<sup>(</sup>٣) الشوقيات : ص٦١٣ .

<sup>(</sup>٤) سورة الإسراء: آية ٢٤.

<sup>(</sup>٥) ينظر : ظاهرة التتاص في الشوقيات ، مهند عباس زكي، ص ١١٢ .

" وهذه السينية التي يصف فيها إيوان كسرى، وهي التي أجمع الناس على استحسانها، والاعتراف بالفضل له فيها " <sup>(٢)</sup> ، وشوقى يعارض البحتري في سينيته في الأندلس ، يبث خلالها آهات الغربة ونيران الحنين إلى الوطن ، ومطلعها: (الخفيف) أذكرا لِي الصبا وأيّامَ أنسي (٣) 

أما التتاص الأدبي المتمثل في المعاني والألفاظ فمثاله قول شوقي في تعبيره عن الحزن وشعوره بالاغتراب ، فقد استدعى صورة الليل عن امرئ القيس ، حيث يقول شوقى باثاً حزنه : (الكامل)

قَا بُ يَ ذُوبُ وَمَ دَمَعٌ يَج رِي حالَ ت نُجومُ كَ دونَ مَطلَعِ بِ وَتَطَاوَلَ تَ جُنحاً فَخُيِّلَ لَ لَي أُرسَ يتَّها وَمَلَك تَ مَ ذَهَبَها ظُلُـــمُ تَجــــىءُ بهــا وَتُرجِعُهــا

يا لَيلُ هَل خَبَرٌ عَن الفَجر لا تَبتَغ ي حِولاً وَلا يَسري أنَّ الصنباحَ رَهينَةُ الحَشر بدُجُنَّةِ كَسَريرَةِ السَدَهرِ وَالمَوجُ مُنقَلِبٌ إلى البَحر (٤)

أما صورة الليل عند امرئ القيس فيمثلها قوله في معلقته الشهيرة: ( الطويل )

عَلَى بِأُنواع الهُمومِ لِيَبتَلَى وَلَيْلِ كَمَوج البَحر أَرخي سُدولَهُ فَقُلْتُ لَــهُ لَمّــا تَمَطّــى بِــصُلبِهِ وَأَرِدَفَ أَعجازاً وَناءَ بِكَلْكُ لِ أَلا أَيُّهِا اللَّيِلُ الطَّويِلُ أَلا إِنجَلَي بِ صببح وَما الإصباحُ منكَ بِأَمثَلِ بِكُلِّ مُغار الفَتلِ شُدَّت بِيَ ذَبُلِ (٥) فَيا لَـكَ مِـن لَيـلِ كَـأَنَّ نُجومَــهُ

<sup>(</sup>١) ديوان البحتري: تحقيق / حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف – القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦٤ م ، ١١٥٢/٢.

<sup>(</sup>٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق / د. عبد الله المحارب، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٤ م ، ٦٦٧/٣ .

<sup>(</sup>٣) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

<sup>(</sup>٤) السابق: ص٥٧٥.

<sup>(</sup>٥) ديوان امرئ القيس : تحقيق / عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة – بيروت ، ٢٠٠٤ ، ط٢ ، ص٤٨ – . ٤9

فلقد استوحي شوقي ذلك المعنى وصورة الليل الحزين من شعر امرئ القيس ، " فحافظ شوقي بتناصه مع نص امرئ القيس الشعري على البنية اللفظية وكذا المعنوية ، فلو عقدنا مقارنة لفظية بسيطة بين النصين لوجدنا ارتباطاً تناصياً كبيراً بينهما (قلبٌ يذوب ومدمع يجري – عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي) ، (ياليلُ – ألا أيها الليل) ، (هل خبرٌ عن الفجر – ألا انجلي بصببحٍ) ، (حالت نجومك – كأنَ نجومهُ) ، (لا تبتغي حولاً ولا يسري – بِكُلِّ مُغارِ الفَتلِ شُدَّت بِيَنبُلِ) ، (تطاولتُ جنحاً – تمطى بصلبهِ) ، (ظُلُم تجيء بها – فيالكَ من لَيْلٍ) ، (والموج منقلبٌ إلى البحر – كموج البحر) يمتص الشاعر تجربة امرئ القيس الشعرية في تصويره لليل المثقل بالأحزان والهموم فيعيد صياغة هيكليتها اللفظية ، وفي هذا ترابط بين النصين السابق واللاحق عن طريق اليات التعبير "(۱) .

# التناص التأريخي:

يعرف التناص التاريخي بأنه: "تداخل نصوص تاريخية مختارة قديمة أو حديثة مع النص الفني ، بحيث تكون منسجمة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها المؤلف أو الحالة التي يجسدها ويقدمها في عمله " (٢) فالشاعر يلجأ إلى التناص التأريخي ؛ ليوظف أحداثاً مهمة في قصيدته ، أو يستدعي شخصيات تاريخية من شأنها إثراء العمل الأدبي ، وتجسد ذلك عند شوقي في ذكره لأحداث تاريخية ، واستدعاء شخصيات ذات دلالة تساهم في رسم المعاني التي يريدها ، ومن أمثلة ذلك في شعر الغربة والحنين استدعاؤه لشخصية خالد بن الوليد ( رضي الله عنه ) في قوله : (البسيط)

اللّهُ أَكْبَرُ كَم في الفَتحِ مِن عَجَبٍ صُلْهُ عَرِبٍ مُظَفَّرَةٍ صُلْحٌ عَزيزٌ عَلى حَربٍ مُظَفَّرَةٍ يا حُسنَ أُمنيَّةٍ في السيفِ ما كَذَبت

يا خالِدَ التُركِ جَدِّد خالِدَ العَرَبِ فَالسَيفُ في غِمدِهِ وَالحَقُّ في النُصُبِ وَطيبَ أُمنِيَّةٍ في الرَأي لَم تَخِبِ (٣)

حيث جاء بشخصية خالد بن الوليد ( رضي الله عنه ) مثالاً للبطولة في التاريخ الإسلامي ، ورمزاً للحنكة العسكرية ، فالقصيدة تلك قيلت في إحدى المعارك للخلافة الإسلامية ، حيث تعتبر تلك القصيدة من القصائد الجميلة في الخلافة العثمانية .

<sup>(</sup>١) ينظر : ظاهرة التناص في الشوقيات ، مهند عباس زكي، ص ١٢٠ .

<sup>(</sup>٢) التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر: حسن البنداري وآخرون، المجلد ١١، العدد ٢، ص٢٥٩.

<sup>(</sup>٣) الشوقيات ص١٦٢.

ومن التناص التأريخي قصيدته في دمشق واستحضار حقبة تاريخية رائعة في التاريخ الإسلامي ، حيث العز والملك العظيم لبني الإسلام ، ومنها قوله في حكم بني أمية الذين فتحوا بلاد عظيمة إبان حكمهم: (البسيط)

بَنو أُمَيَّةَ لِلأَنباءِ مَا فَتَحوا وَلِلأَحاديثِ ما سادوا وَما دانوا وَاللَّحاديثِ ما سادوا وَما دانوا وا كانوا مُلوكاً سَريرُ الخَربِ ما كانوا (۱)

ومن هذا التناص التأريخي ما ساعده في بث حزنه على واقع الأمة الإسلامية ، والأهوال التي تتعرض لها من ظلم وقهر ، حيث يصف المسجد الأموي في دمشق ، ويستدعي شخصية تاريخية بارزة ولها أثر في بناء ذلك المسجد ، حيث يقول : (البسيط)

مَررتُ بِالمَسجِدِ المَدرونِ أَسأَلَهُ هَل في المُصلّى أَوِ المِدرابِ مَروانُ تَغَيَّرَ المَسجِدُ المَدرونُ وَإِخْتَلَفَت عَلَى المَنابِرِ أَدرارٌ وَعِبدانُ فَي المَنابِرِ أَدرارٌ وَعِبدانُ فَي مَنارَتِهِ فِي مَنارَتِهِ إِذَا تَعِالَى وَلا الآذانُ آذانُ (٢)

فجاء بشخصية مروان بن عبد الملك كوسيلة لرسم تلك الصورة الحزينة لتغير الأحوال من حال العزة والكرامة إلى حال القهر والظلم الواقع على أهل دمشق خاصة وعلى العالم الإسلامي عامة.

# الأساليب الإنشائية الطلبية:

كثيرة هي الأساليب الإنشائية الطلبية في شعر شوقي العام ؛ لكن شعر الغربة والحنين يقتصر على أساليب ساعدت الشاعر على توضيح الحالة النفسية التي يعانيها ، ويبث من خلالها مآسيه وآلامه وأحزانه ، ومن أكثر تلك الأساليب أسلوب النداء ، الأمر ، الاستفهام، التمنى .

## ١ – أسلوب النداع:

النداء لغة: "النِّداء والنُّداء الصوت مثل الدُّعاء والرُّغاء وقد ناداه ونادى به وناداه مُناداة ونداء أي صاح به وأَنْدى الرجلُ إذا حسُن صوته " (٣).

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٧٠٠ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٧٠١.

<sup>(&</sup>quot;) لسان العرب : ابن منظور ، مادة ( ندي ) ، (") .

وفي الاصطلاح: " هو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل أدعو" (١).

استخدم شوقي أسلوب النداء لمخاطبة الأهل والأحبة والوطن والمكان ، وجاء النداء ليعبر شوقي من خلاله عما يجول في صدره ، إما حنيناً للوطن وإما حنيناً للأهل والأصدقاء ، وإما حنيناً دينياً ، وإما حنيناً لمكان ما ، وإما حنيناً للمحبوب ، وإما تعبيراً عن شعوره بآلام الغربة فأخذ يخاطب الجمادات والطيور .

وأمثلة ذلك كثيرة في شعر الغربة والحنين عند شوقي منها قوله عند عودته إلى الوطن بعد النفي: ( الوافر ) وَيا وَطَنَى قَد لَقِيتُ بِكَ السَّبابا(٢)

ومن ندائه ما يبث حزنه من خلاله ، وذلك في قصيدته (أندلسية) التي يقول فيها: (البسيط) يبا نائِحَ الطَلحِ أَشباهٌ عَوادينا تائِحَ الطَلحِ أَشباهٌ عَوادينا تائِعَ الطَلحِ أَشباهٌ عَوادينا تائِعَ الطَلحِ أَشباهُ عَوادينا تائِعَ الطَلحِ أَشباهُ عَوادينا تائِعَ الطَلحِ أَشباهُ عَوادينا تائِعَ الطَلحِ أَشباهُ عَوادينا تائِعَ الله عَوادينا تائِعَ الطَلحِ أَسْتِ الله عَوادينا تائِعَ الله عَلَائِعَ الله عَوادينا تائِعَ الله عَلَائِعَ الله عَوادينا تائِعَ الله عَلَائِعَ الله عَلَائِعَ الله عَلَائِعَ الله عَلَائِعَ الله عَلَائِعَ الله عَلَائِعَ الله عَلَائِعُ اللهِ اللهُ عَلَائِعُ اللهُ عَلَائِعُ اللهِ عَلَائِعُ اللهُ عَلَائُعُ اللهُ عَلَائِعُ اللهُ عَلَائِعُ اللهُ عَلَائِعُ اللهُ عَلَائُعُ اللهُ عَلَائِعُ اللهُ عَلَائِعُ اللهُ عَلَائِعُ اللهُ عَلَائُعُ عَلَائُولُ اللهُ عَلَائُولُ اللهُ عَلَائُلُولُ اللهُ عَلَائُو

فلقد بدأ قصيدته بنداء التفجع والمأساة التي حلت به ، وهذا ما نلمسه في الامتداد الصوتي في حرف النداء الذي يلائم الحزن والألم الذي اعتصر قلبه ، فيوجه نداءه لمن يشاركه ذلك الفراق القاسي ، فكلاهما اشترك في مصيبة الفراق والبعد عن الوطن ، ومن ذلك الحنين مخاطبته البرق، فهو الذي ينقل له الأخبار عن وطنه يخفف عنه لوعة الفراق والحزن ، حيث يقول : ( البسيط )

يا ساريَ البَرقِ يَرمي عَن جَوانِحِنا بعد الهُدوءِ وَيَهمي عَن مَآقينا (٤)

ومن ذلك النداء ما يحمل الحنين لمصر وأهلها ونيلها ، فقد فاض الحنين به وجعله ينادي أهل مصر فيقول : ( البسيط )

<sup>(</sup>۱) علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ط۱ ، 110 علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ط۱ ،

<sup>(</sup>٢) الشوقيات : ص ١٠٥ .

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٦٨٠.

<sup>(</sup>٤) السابق: ص ٦٨١ .

تتعدد المعاني التي يخرج إليها النداء عن شوقي ، ولعل أثقلها عندما يخاطب الجمادات ، ومن ذلك قوله: (الخفيف)

يا اِبنَةَ اليمِّ ما أَبوكِ بَخيلٌ ما لَهُ مولَعاً بِمَنعِ وَحَبسِ (٢)

لقد جاء خطاب شوقي للسفينة كمحاولة منه لاستدرار عطفها ، فأبوها البحر معروف عنه الكرم مع كل الخلائق ؛ لكن معاملته مختلفة مع شوقي .

وجاء نداؤه متحسراً على انقضاء فترة الشباب وكان ذلك في قالب من حنين جارف لتلك الفترة ، متمنياً عودتها حيث يقول : (الطويل)

أَقُولُ لِأَيِّامِ الصِباكُلَّما نَات اللهِ السَّبابِ مُعيد وَكَيفَ نَات وَالأَمسُ آخرُ عَهدِها لَأَمسُ كَباقي الغابِراتِ عَهيدُ (٣)

أما في حنينه للمصطفى (صلى الله عليه وسلم) فجاء نداؤه معظماً للرسول الكريم، متمنياً شفاعته ومن ذلك قوله:

يا خَيرَ مَن جاءَ الوُجودَ تَحِيَّةً مِن مُرسَلينَ إِلى الهُدى بِكَ جاؤوا<sup>(٤)</sup> لي الهُدى بِكَ جاؤوا<sup>(٤)</sup> لي في مَديجِكَ يا رَسولُ عَرائِسٌ تُيمِّنَ فيكَ وَشَاقَهُنَّ جَلاءُ<sup>(٥)</sup>

وجاء النداء في حنينه للأحبة تأكيداً على عظم الحب والشوق والحنين في قلب شوقي لأحبته ، فيخاطبهم خطاباً امتلأ وجداً وحنيناً فيقول : (البسيط)

يا مَن نَعْارُ عَلَيهِم مِن ضَمائِرِنا وَمِن مَصونِ هَواهُم في تَناجينا (١)

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٦٨٨ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٣٨٤.

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٢٤٤-٢٤٥ .

<sup>(</sup>٤) السابق : ص٣٣ .

<sup>(</sup>٥) السابق : ص٣٨ .

<sup>(</sup>٦) السابق: ص ٦٨١.

<sup>120</sup> 

ومن خلال ما سبق تبين مدى توظيف شوقي لأسلوب النداء والذي ساعده في بث مشاعره المتمثلة بالحنين بأنواعه المذكورة سابقاً ، وتعبيره عن الغربة الداخلية أو الخارجية .

## ٢ - أسلوب الاستفهام:

يعرف الاستفهام لغة بأنه: "طلب الفهم والمعرفة، واسْتَفْهَمه سأَله أن يُفَهِّمَه وقد اسْتَفْهَمني الشيء فأَفْهَمْته وفَهَمْته تفهيماً " (١)

أما اصطلاحاً فهو: " وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة " (٢)

امتطى شوقي أسلوب الاستفهام باثاً من خلاله لواعجه بسبب الغربة واشتداد الحنين به ، فعبر من خلال الاستفهام عن إحساسه ، وأمثلة ذلك كثيرة في شعر الغربة والحنين ، ومن ذلك قوله في حنينه إلى مصر : (الخفيف)

وَسَلا مِصرَ هَل سَلا القَلبُ عَنها أُو أَسا جُرِدَ لهُ الزَمانَ المُؤَسِّي (٣)

فهنا يطلب شوقي من صاحبيه اللذين تخيلهما بأن يسألا مصر سؤالاً خرج عن معناه الأصلي وأفاد النفي ، هل نسي قلبه مصر وهل بمقدوره الصبر على البعد والغربة ، وهل يستطيع الزمان أن يعالج جراحه التي سببها الرئيس غربته عنها .

ومن تلك الأمثلة على أسلوب الاستفهام في شعر الغربة والحنين تعجبه من البحر الذي وقف حجر عثرة لشوقي مانعاً إياه من العودة إلى الوطن ، مستنكراً في نفس الصورة قسوة الاستعمار الذي يحرِّم الأوطان على أبنائها المخلصين ، وتباح للغرباء من كل جنس ؛ ليستمتعوا بخيراتها ، تماماً كما يباح الدوح والشجر لكل أنواع الطيور الغريبة ، ويحرم على بلابله التي تعيش فيه حيث يقول : (الخفيف)

يا ابنَـةَ الـيَمِّ مـا أَبـوكِ بَخيـلٌ مـا لَـهُ مولَعـاً بِمَنـعٍ وَحَـبسِ أَحـرامٌ عَلـــى بَلابلِــهِ الــدَو حُحَـلالٌ لِلطَيـرِ مِـن كُـلٌ جِـنسِ (٤)

جاء استخدام شوقي لأساليب الاستفهام ليعبر عن صدق حنينه ، وشدة شوقه لمن أحب ، وهروباً من شبح الغربة ، فكان يستخدم في البيت الواحد أكثر من أداة للاستفهام ، حيث يقول في

<sup>(</sup>١) ينظر لسان العرب: ابن منظور ، مادة ( فهم ) ، ٤٥٩/١٢ .

<sup>(</sup>٢) علم المعاني: عبد العزيز عتيق ، ص ٨٨.

<sup>(</sup>٣) الشوقيات : ص٣٨٤ .

<sup>(</sup>٤) السابق: ص٣٨٤.

قصيدة غزلية يبث من خلالها شوقه للمحبوب ، واشتياقه ، ويعبر عن لوعة الفراق والبعد : (البسيط)

يا حلوة الوعد ما نساك ميعادي كيف انخدعت بحسادي وما نقلوا طرفي وطرفك كانا في الهوى سبباً تذكري هل تلاقينا على ظمأ وأنت في مجلس الريحان لاهية

عن الهوى أم كلام الشامت العادي أنت التي خلقت عيناك حسادي عند اللقاء ولكن طرفك البادي وكيف بل الصدى ذو الغلة الصادي ما سرت من سامر إلا إلى نادي(١)

لقد استخدم الشاعر أداة الاستفهام (كيف) مرتين ، ووظف أداتيتن في بيت واحد من النص (كيف ، هل) ، حيث يتعجب شوقي من المحبوب سماعه قول الوشاة ، ثم يؤكد على قوة العلاقة بينهما . ومن استفهامه ما خرج للتمني ، حيث يتمنى رجوع زمن الشباب الذي أحس بحنين عظيم لتلك الليالي والأوقات ، حيث يقول : (الطويل)

أَقُولُ لِأَيّامِ الصِباكُلَّما نَات أَت أَما لَكَ يا عَهدَ الشَبابِ مُعيد وَكَيفَ نَات وَالأَمسُ آخرُ عَهدِها لَأَمسُ كَباقي الغابِراتِ عَهيدُ (٢)

وأمثلة الاستفهام كثيرة في شعر الحنين ، فقد لجأ شوقي إلى توظيفه بأكثر من صيغة ؛ للدلالة على اشتعال نار الشوق للمحبوب ، فيكرر الأداة في البيت مرتين ، وينوع في استخدام أدوات الاستفهام ، ومن ذلك قوله : (الطويل)

صَحا القَلبُ إِلّا مِن خُمارِ أَماني حَنانَيكَ قَلبي هَل أُعيدُ لَكَ الصِبا تَحُن أُ إِلَى مِن خُمانِ وَطييهِ تَحُن إلى ذاك الزَمانِ وَطييهِ إِذَا لَم تَصن عَهداً وَلَم تَرعَ ذِمَّةً أَتَدذَكُرُ إِذ نُعطى الصَبابَةَ حَقَّها

يُجاذِبُني في الغيدِ رَثَّ عِناني وَهَل الغيدِ رَثَّ عِناني وَهَل الفَتى بِالمُستَحيلِ يَدانِ وَهَل الفَتى بِالمُستَحيلِ يَدانِ وَهَل أَنت إلّا مِن دَمٍ وَحَنانِ وَلَا مَن دَمٍ وَحَنانِ وَلَا مَن تَدَّكِر إلْفاً فَلَستَ جَناني وَنَشْرَبُ مِن صِرفِ الهَوى بِدِنانِ (٣)

<sup>(</sup>١) الشوقيات ص٢٦٣.

<sup>(</sup>۲) السابق: ص۲٤٤-۲٤٥.

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٧١٣ .

فقد استخدم في الأبيات السابقة حرفي الاستفهام (هل ، الهمزة) حيث عبّر باستخدامهما عن إقراره بعظم الحنين الذي يكنه للمعشوق ، والمشاعر الملتهبة لوصلهم ولذكرياتهم الجميلة التي ارتبطت بأزهى أوقاته بفترة الشباب ، هذه الفترة التي يصفها في قصيدة أخرى متمنياً عودتها، وبتوظيفه لأسلوب الاستفهام استطاع أن يصف جمال تلك الفترة ، حيث يقول : (مجزوء الكامل)

زَمَ نُ ثَقَ ضَى لِلهَ وى وَلَنَ ا بِظِلِّ كَ هَ لَ يَعُ وَد وَهَ بِ الزَمِ انَ أَعادَهِ ا هَ لا ذَكَ رتَ زَمِ انَ كُنّا وَالزَمِ انْ كَمَ ا نُريدِ دُ(۱)

وظف شوقي أسلوب الاستفهام في كل بيت من الأبيات السابقة ، فكان البيت الأول والبيت الثاني تعبيراً عن أمانيه لعودة أيام الشبيبة، وكان استخدامه لحرف الاستفهام عينه (هل) دلالة على ربط تلك الأيام بالسعادة والنشوة النفسية ، ويوظف في البيت الثالث أسلوب الاستفهام ليخرج إلى معنى مغاير عن سابقيه ، فدل على التحضيض ففيه يحث السامع أن يذكر له ذلك الزمان الجميل ، فقد غلبه الحنين لتلك الأيام .

## ٣- أسلوب الأمر:

تعريفه لغة : " هو نقيض النَّهْي أَمَرَه به وأَمَرَهُ يَأْمُرُه أَمْراً وإماراً " (٢)

أما اصطلاحاً فهو "طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا " (٣) .

ويخرج الأمر عن معناه الحقيقي لأغراض عديدة ، منها: الدعاء ، الالتماس ، التمني ، التعجيز ، التهديد ، التخيير ، التقسيم ، والإهانة والتحقير ، التسوية ، ويخرج لمعانٍ أخر ذكرها ابن فارس في كتابه الصاحبي.

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٢٧٥ .

<sup>(</sup>۲) ينظر لسان العرب : ابن منظور ، مادة ( أمر ) ، 77/4 .

<sup>(</sup>٣) علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، ص ٨٨ ، ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٣م ، ٢١٣/١

لجأ شوقي لأسلوب الأمر ؛ ليتسنى له التعبير عما يعانيه من آلام الغربة ، ويجسد أشواقه وحنينه المتعدد بحسب الجو النفسي للقصيدة ، وأمثلة أسلوب الأمر كثيرة في شعره ؛ وذلك لما يتمتع به هذا الأسلوب من مرونة في وصف معاناة الشاعر والتعبير عما يحس به تجاه ذكرياته وأحبابه والأماكن المحببة إليه ، ومن تلك الأمثلة على هذا الأسلوب قوله في حنينه إلى مصر: (الخفيف)

أذكرا لِي الصبا وَأيّامَ أنسى إختِلافُ النّهار وَاللّيلِ يُنسبي صُوِّرت مِن تَصوَوُّراتٍ وَمَسِّ (١) وَصِفا لي مُلاوَةً مِن شَبابٍ

يطلب شوقي من صاحبيه المتخيلين أن يذكراه بأيام شبابه وصباه ، ويعيدا عليه صدى السعادة الغامرة التي شملته بأكنافها عندما كان يتنعم بوطنه مصر ، ويطلب منهما وصف فترة الشباب الجميلة التي ما زالت صورها وخيالاتها مائلة أمام ناظريه ، فشوقى في البيتين السابقين عمد إلى أسلوب الأمر التماساً لذاك الماضي الجميل وحنيناً لتلك الأيام ، حيث جاء الأمر بفعلين هما (اذكرا، صفا).

ومن أساليب الأمر الواردة في شعره المليء بالحنين إلى الوطن طلبه من فتية مصر أن يقدموا للوطن الغالى والنفيس، ويواجهوا المحتل وأتباعه، وأن يقفوا لمصر ذلك الموقف المحمود، حيث يقول: (الكامل)

وَاستَأْنِفُوا نَفَسَ الجهادِ مَديدا يا فِتيَةَ النيل السَعيد خُذوا المَدى وَقِفُوا بِمِصرَ المَوقِفَ المَحمودا(٢) وَتَنَكَّب وا العُدوانَ وَاجتَبِ وا الأَذى

فشوقى في هذه الأبيات يحث أبناء مصر للتضحية من أجله ، فخرج أسلوب الأمر للحث والنصح والإرشاد .

لقد حمل أسلوب الأمر جزءاً من حنين شوقى ، مما أسهم في إبراز العاطفة ، ومن ذلك التماسه من الصديقين المتخيلين بأن يبلغا مصر بأنها موجودة في القلب ، فشوقي يتمنى الرجوع لها في أقرب وقت ، حيث يقول : ( الخفيف ) أُو أُسا جُرِحَــهُ الزَمــانَ المُؤَسّــي(٣) وَسَـلا مصرَ هَـل سَـلا القَلَـبُ عَنهـا

(١) الشوقيات: ص٣٨٤.

(٢) السابق: ص ٢٢٨–٢٢٩.

(٣) السابق: ص٣٨٤.

ومن أمثلة أسلوب الأمر في حنينه إلى المحبوب طلبه منه الابتعاد عن الهجران ، فالشاعر لا يقوى على ذلك قائلاً: (الخفيف)

حمليني في الحب ما شئت إلا حادث الصد أو بلاء الفراق واسمحي بالعناق إن رضي الدّل لله العناق (١)

أما أسلوب الأمر الذي خرج إلى الدعاء فذلك موجود في شعر شوقي في شعوره بالاغتراب وضيق الحياة ، ومن ذلك قوله: (الرجز)

يا ربَّنا الخطبُ جليانُ فكن مُعيناً يا جليانُ وأعطِنا الخطبُ جليانُ عليا الخطب الميال المَميال يا خيرَ مَن يُولِي الجَميال وأعطِنا الصرر الجميال فما علياك مُستحيل (٢)

فيتوجه شوقي إلى الله داعياً متضرعاً من ضيق الحياة ، فلقد جاء أسلوب الأمر مساعداً لشوقي في تفريغ انفعالاته تجاه غربته ، وتسلية له في حنينه إلى الوطن وإلى الأحبة والذكريات الجميلة ، فكان يخرج عن معناه دائماً إلى الالتماس والتمني والحث والنصح والإرشاد والدعاء .

# ٤ - أسلوب التمنى:

تعريفه لغة: " التَّمَنِّي تَشَهِّي حُصُولِ الأَمر المَرْغوب فيه وحديثُ النَّفْس بما يكون وما لا يكون تعريفه لغة: " الشيء ومَنَّاه إياه وبه وهي المِنْيةُ يكون تقول تَمَنَّيْت الشيء ومَنَّاه إياه وبه وهي المِنْيةُ والمُنْيةُ والأُمْنِيَّةُ "(٣)

أما اصطلاحاً فهو "طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله: إما لكونه مستحيلا، والإنسان كثيرا ما يجب المستحيل ويطلبه، وإما لكونه ممكنا غير مطموع في نيله "(٤) .

جاء أسلوب الأمر في شعر شوقي الخاص بالغربة والحنين ليعبر بطريقة مباشرة عن أمانيه وتطلعاته وما يشتهي ، فكان استخدامه لهذا الأسلوب بمثابة التصريح المباشر لأشواقه وأحاسيسه

<sup>(</sup>١) الشوقيات ص٥٥٥.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٥٤٠.

<sup>(</sup>٣) ينظر لسان العرب: ابن منظور ، مادة ( مني ) ، ٢٩٤/١٥ .

<sup>(</sup>٤) علم المعاني: عبد العزيز عتيق ، ص ١١٢.

تجاه المواقف المختلفة التي مرت عليه في السراء والضراء ، ومن أمثلة ذلك في شعره حنينه للأيام الجميلة التي قضاها في الآستانة حيث يقول: ( الوافر )

أرى العَيشَ إفتراقًا وَإجتماعًا عَــسى الأَيّـامُ تَجمَعُنــي فَــإنّي كَما لِلناسِ تَنفَطِ رُ اِلتِياعا أَلا لَيت تَ البلادَ لَها قُلوبُ وَما فَعَلَ الْفُراقُ غَداةَ راعا(١) وَلَيتَ لَدى فُروق بَعضَ بَثَّى

حيث استخدم ألفاظ التمني والرجاء معاً ، وكرر حرف التمني (ليت) مرتين ، وذلك دلالة على شدة حنينه لتلك الأيام ولهذه المدينة الجميلة .

ومن أمثلة التمنى في شعوره بالاغتراب بعد موت والده قوله: ( الرمل ) لَيتَ شِعرِي هَل لَنا أَن نَلتَقي مَرَّةً أَم ذا اِفتِ راقُ المَلَ وَين (٢)

لقد عمد شوقي إلى التمني ليعبر عما آلت إليه أحوال المسلمين بعيد سقوط مدينة (أدرنة) (وهي مدينة استولى عليها البلغار عام ١٩١٢ م ثم أعيدت تحت الحكم التركي عام ١٩٢٣ م ) وفي ذلك يقول : ( الكامل )

يا أُخت أندأس عَلَيكِ سَلامُ نَــزَلَ الهِــلالُ عَــن الــسَماءِ فَلَيتَهــا جُرحان تَمضي الأُمَّتانِ عَلَيهِما بكُما أُصيبَ المُسلِمونَ وَفيكُما

هَ وَتِ الخِلافَ ةُ عَن كِ وَالإسلامُ طُويَت وَعَمَّ العِالَمينَ ظَلِامُ هـ ذا يَ سيلُ وَذاكَ لا يَلت امُ دُفِنَ اليَراعُ وَغُيِّبَ بَ الصَمَصامُ (٣)

ومثال التمني عنده في نكبة بيروت عندما ضربها الأسطول الإيطالي قوله في تلك المأساة: ( الكامل )

سَــبعونَ لَيثًا أُحرقـوا أَو أُغرقـوا يا لَيتَهُم قُتِل وا عَلى طَبَروكِ (٤)

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤٠٩.

<sup>(</sup>۲) السابق: ص۷۰۸.

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٩٩٥.

<sup>(</sup>٤) السابق: ص٤٦٩.

كان استخدام شوقي للأساليب الإنشائية الطلبية تعبيراً صادقاً لمشاعر الحزن الشديد نتيجة لمعاناته في الغربة وشعوره بالاغتراب ، وسهل ذلك له التعبير عن عواطفه الجياشة ونار الحنين الملتهبة بقلبه ، مما ساعد في إبراز تلك العواطف القوية .

## المبحث الثانى: الصورة الشعرية:

تناول النقاد العرب القدامي اللبنات الأساسية للصور الشعرية ، فتناولها الجاحظ على أنها التصوير وذلك في معرض حديثه عن قضية اللفظ والمعنى حيث يقول: " فإنما الشعر صناعة وضرّب من النَّسج وجنسٌ من التَّصوير "(۱) أما حازم القرطاجني فيتطرق لها من خلال المعاني فيقول: " إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان. فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم. فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ. فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ من لم يتهيأ له سمعها من المتلفظ بها صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيآت الألفاظ الدالة عليها " (۱).

أما في العصر الحديث فتعددت التعريفات للصورة مع دخول النظرة الغربية للأدب العربي ، فيرى إحسان عباس أنَّ : " الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم ، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر ، كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصور " (٦) ، فالصورة هي الأساس في العمل الأدبي ، فهي الشعور والفكر المنطوي بين ثنايا النص ، والسبب الرئيس لوجود تلك العواطف والفكر يرجع لوجود الصورة ، والصورة تعمل على دمج العناصر الجزئية والكلية ؛ لتنتج بناءً موحداً قد ملأ الفجوات وسدها داخل العمل الأدبي من خلال مخاطبة الحواس ، والتمرد على الدلالة الحرفية ، وتحرك الخيال في أرجاء النص الأدبي من خلال مخاطبة الحواس ، والتمرد على الدلالة الحرفية ، وتحرك الخيال في أرجاء النص الأدبي (٤).

ويمكن تعريف الصورة الشعرية بأنها " تشكيل لغوي، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها "(٥) وعرفت بأنها: " نسخة جمالية وابداعية تستحضر

<sup>(</sup>۱) الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل – بيروت، ۱۳۲/۳ ، ۱۹۹٦ .

<sup>(</sup>٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني ، ص١٨-١٩.

<sup>(</sup>٣) فن الشعر: إحسان عباس ، دار صادر - بيروت، دار الشروق - عمان، ط ١ ١٩٩٦ م ص١٩٣٠ .

<sup>(</sup>٤) بتصرف : الصورة والبناء الشعري : محمد حسن عبد الله دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨١ م ، ص٣٣-٣٨.

<sup>(</sup>٥) الصورة في الشعر العربي: على البطل ، دار الأندلس - بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ م ، ص٣٠٠.

الهيئة الحسية أو الذهنية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تنهض لها قدرة الشاعر ومقدار تجربته وفق تعادلية بين طرفين هما المجاز والواقع دون أن يستبد طرف بآخر " (١) .

فالملاحظ من تلك التعريفات أن الصورة الشعرية قائمة على مجموعة من العناصر ومرتكزة عليها وهي: الواقع والشعور والخيال (٢).

أما الصورة عند شوقي فيتحدث عنها شوقي ضيف قائلاً: " وهذه الخصلة الموسيقية في شعره تسندها عنده خصلة التصوير البارع؛ إذ كان يعرف كيف يفيد من كنوز التشبيهات والاستعارات القديمة، ولم يكن يكتفي بذلك؛ بل كان يضيف إلى هذا الاستغلال للقديم كثيرًا من الأخيلة الحالمة. ويتضح ذلك في جوانب كثيرة من شعره "(٦) ، فالصورة الشعرية عنده اتخذت أشكالاً سيتناولها الباحث وفق مدخلين رئيسين هما : الصورة البيانية والصورة الحسية .

### أولاً: الصورة البيانية:

هي " الشكل الذي يعبر به الشاعر عن تجربته ، مستخدماً طاقات اللغة ، ودلالتها البيانية التي تخاطب حس الإنسان ، وإحساسه ، ووجدانه ، وقلبه لنقل هذه التجربة في صورة موحية مؤثرة في النفوس ، ويكون ذلك بالمجاز ، والتشبيه ، والاستعارة، والكناية، والتعريض " (1) .

فالصورة البيانية تشمل التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية ، وشعر الغربة والحنين عند شوقى يزخر بتلك الأمثلة .

#### ١ – التشبيه :

هو " فن من فنون الكلام وعنصر من عناصر الأسلوب ، يرسم صورة للحس والشعور ، فينقل المعنى بصورة واضحة كأننا نراه بأبصارنا ، ونلمسه بأيدينا، والتشبيه من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم ، وهو بحر البلاغة وسرها " (٥)، فالتشبيه إذن : "بيان

<sup>(</sup>۱) الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية: عبدالإله الصائغ، الدار البيضاء-بيروت: المركز الثقافي العربي، ط۱، ۱۹۹۷م، ص۱۵۹۰.

<sup>(</sup>٢) تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة: فتيحة دخموش ، ص١٥٦ .

<sup>(</sup>٣) الأدب العربي المعاصر في مصر: شوقي ضيف، ص١١٥.

<sup>(</sup>٤) الصورة البيانية في كتاب روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي البروسوي: إلهام حرارة (رسالة ماجستير) الجامعة الإسلامية – غزة ، ٢٠١٣ م ، ص١٢ .

<sup>(</sup>٥) القرآن والصورة البيانية: د. عبدالقادر حسين ، عالم الكتب – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥ م ، ص٧ .

"بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرّب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه" (١).

ومن أمثلة التشبيه في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله: (الخفيف) نَف سي مِرجَ لِ وَقَابِ فِي شِرعِ وَأَرسي (۲)

ففي البيت السابق عمد شوقي إلى التشبيه البليغ في موضعين ( نفسي مرجل ) و ( قلبي شراع ) ، فقد شبه نفسه بالمرجل الذي يغلي ماداً السفينة بالطاقة البخارية ليساعدها على الإبحار تجاه مصر ، ومشبهاً قلبه بالشراع الذي تحركه الرياح ليساعد السفينة إلى الوصول لبلده مصر ، وذلك حتى لو تعطلت السفينة البخارية تستطيع السير بالشراع ، فاستعداد شوقي لمد السفينة بكل المقومات لكي توصله لمصر دليل على شدة شوقه وحنينه للوطن .

وفي موضع آخر يشبه مصر بالعين المتدفقة في جنان الرحمن تسقي أبناءها الماء السلسبيل حيث يقول: (البسيط)

لَكِنَّ مِصرَ وَإِن أَغضت عَلى مِقَةٍ عَدنٌ مِنَ الخُلدِ بِالكافورِ تَسقينا (٣)

فالذكريات الجميلة في مصر كالنهر الذي يمد الشاعر بأميال من الحنين والشوق للوطن ، ففي البيت السابق اشتركت مجموعة من التشبيهات رسمت المعنى الذي يريده شوقي من اشتياقه لمصر وحنينه اللامتناهي لها .

كانت المعاني والألفاظ عند شوقي مثل الألوان يمزج منها ما يريد وكيفما يشاء ، فالملاحظ أنه يستخدم التشبيه بمهارة عالية ، وذلك ليخدم هدفه في إيصال عواطفه للمتلقي ، فكان ينتقي ما يلائم المعنى المراد ، حيث يرسم وقت رجوعه من المنفى صورة اعتمدت أركانها على التشبيه : ( الوافر )

وَيا وَطَنِي لَقَيْتُ كَ بَعِدَ يَاسٍ كَأَنِّي قَد لَقيتُ بِكَ الشّبابا(٤)

<sup>(</sup>١) علم البيان : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص٦٢ .

<sup>(</sup>٢) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

<sup>(</sup>٣) السابق: ص ٦٨١ .

<sup>(</sup>٤) السابق: ص ١٠٥

فقد شبه رجوعه للوطن بعد طول غياب بعودة الشباب له من جديد ، وذلك من المستحيلات فالشباب لا يمكن أن يعود ؛ لكن شوقي عبر عن شدة حنينه للوطن ومدى اشتياقه له بأمر تعشقه النفس وتطرب لسماع ذكرياته .

ومن التشبيهات المستخدمة في وصف حالات الحزن المخيمة على الشاعر ما يذكره في تشبيه قلبه بالناقوس في الهيكل ليدلل على اضطرابه واشتياقه للزمن الجميل والإلف الصادق، حيث يقول في ذلك: (السريع)

وَالْقَابِ فَ وَامٌ عَلَى أَضِلُعي كَأَنَّهُ النَّاقُوسُ في الْهَيكَ لِ (١)

#### ٢ - الاستعارة:

وهي أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلّ الشواهد على أنه اختصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية (٢).

والاستعارة تعطي الكلام رونقاً خاصاً تتجذب إليه الأسماع والأذهان ، فكانت موجودة وبكثرة في شعر الغربة والحنين عند شوقي ، والواضح أنها خدمت شوقي في بث أحزانه ولوعات حنينه للوطن ، فجاءت مترامية الأطراف بين ثنايا تلك الأشعار ، وأمثلتها كثيرة تعددت بذكر أنواع الاستعارة ، ومن تلك الأمثلة ما يذكره شوقي في سينيته التي مُلِئت شوقاً وحنيناً إلى مصر حيث يقول : ( الخفيف )

وَصِفا لَي مُلاوَةً مِن شَبابٍ صُورَت مِن تَصوَّراتٍ وَمَسِّ عَصفَت كَالَصِبا اللَّعوبِ وَمَرَّت سِنَةً خُلُوةً وَلَذَّةُ خَلَسِ<sup>(٣)</sup>

لقد ورد عدد من الاستعارات في البيت الثاني وهي: (عصفت) فقد شبه فترة الشباب بالريح وهي صورة توحي بسرعة انقضائها وجاءت على سبيل الاستعارة المكنية ، أما الاستعارة المكنية الثانية فجاءت في (كَالصِبا اللَّعوبِ) فقد شبه الريح الرقيقة بفتاة ناعمة رشيقة فقد أتى بالمشبه وحذف المشبه به وأتى بصفة من صفاته وهي صورة جمالية سر جمالها التشخيص ، والملاحظ براعة الخيال المترابط والتركيبي ، فقد جاءت كلمة الصبا مشبه به في التشبيه الأول ،

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٥٣٢ .

<sup>(</sup>٢) أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق / عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص٣١ .

<sup>(</sup>٣) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

وجاءت مشبه في الاستعارة ، وهنا يظهر براعة الأمير في تطويع المفردات والمعاني كيفما يريد ، أما في الشطر الثاني فجاءت صورتان فنيتان على سبيل الاستعارة المكنية ، فقد شبه سنة النوم بالشيء الجميل كالفاكهة والشراب الحلو، وهي صورة جمالية سر جمالها التجسيم، وشبه اللذة بشيء ثمين يختلس وسر جمالها التجسيم أيضاً.

أما في حنينه للرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد جاءت مجموعة من التشبيهات على سبيل الاستعارة منها قوله: ( الكامل ) وَفَ مُ الزَمان تَبَسسم وَثَناء (١) وُلدَ الهُدي فَالكائِناتُ ضِياءُ

فقد شبه الزمان بإنسان مبتسم مادح للرسول ( صلى الله عليه وسلم ) لقدوم المصطفى ، فقد حذف المشبه بـه وأتـي بـصفة من صـفاته علـي سبيل الاستعارة المكنيـة وهـي صـورة جماليـة سر جمالها التشخيص.

ومن الاستعارات المتتالية في البيت الواحد قوله: ( البسيط )

بَعدَ الهُدوء ويَهمي عن مَآقينا يا ساريَ البَرق يَرمى عَن جَوانِحِنا لَمَّا تَرَقَ رَقَ في دَمع السَماءِ دَماً هاجَ البُكا فَخَضبنا الأَرضَ باكينا اللَّيالُ يَـشْهَدُ لَـم نَهْتِ كَ دَياجِيَـهُ عَلَى نِيام وَلَح نَهْتِف بسالينا(٢)

فقد شبه شوقي دموعه بالأمطار الغزيرة وذلك دلالة على الحزن الشديد المخيم عليه ، وجاء الاستعارة في البيت الثاني عندما شبه البكاء بإنسان يهيج ويغضب ، ويكمل شوقي تصويره البياني الرائع عندما يشبه دموعه بالخضاب ( اللون الأحمر ) دلالة منه على البكاء دماً من شدة شوقه لوطنه ومآسى الغربة التي نالت منه ، ثم يشبه الليل بإنسان يشهد وهي صورة جمالية سر جمالها التشخيص.

ومن أمثلة الاستعارة التصريحية في شعر الغربة والحنين عند شوقى ما يعدده في بيت واحد، حيث يقول: (الخفيف) حُ حَـ لالٌ لِلطَير مِـن كُـلٌ جِـنسِ(٣) أُحرِرامٌ عَلَى بَلابِلِهِ الصَّو

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٣٣.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص ٦٨١.

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٣٨٤ .

يصل شوقي في البيت السابق بالتصوير البياني إلى أعلى مراتبه عندما يجسد ثلاث استعارات تصريحية في بيت واحد ، ففي الأولى شبه أبناء مصر بالبلابل فحذف المشبه وصرح بالمشبه به ، وفي الثانية شبه الوطن مصر بالدوح ، وفي الثالثة شبه الأعداء المحتلين المعتدين بالطير وتلك الصورة توحي بالمرارة والحرقة للغريب المطرود عن وطنه والمستعمرون يتتعمون بذلك الوطن .

#### ٣- الكناية:

الكناية في اصطلاح أهل البلاغة: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى (١).

ومن أمثلة الكناية في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله: (البسيط) يا نائِحَ الطَلَحِ أَشَاءً عَوادينا في عَوادينا في بنا البَينُ أَيكاً غَيرَ سامِرِنا في الغريبِ وَظِلّاً غَيرَ نادينا (۲)

جاءت (نائح الطلح) كناية عن موصوف وهو الحمام (المعتمد بن عباد) وهو شاعر أندلسي، فقد أسند كلمة نائح إلى الطلح (الوادي) وسر جمال الكناية هو الإتيان بالمنعى مصحوباً بالدليل في إيجاز وتجسيم، وفي البيت الثاني وردت الكناية في (أخا الغريب) وجاءت كناية عن موصوف وهو الشاعر نفسه، فلم يصرح شوقي باسمه بل أسند لفظ (أخا) إلى (الغريب) ليدلل على آلام الغربة التي يقاسيها، فالشاعر هنا يشابه ما لاقه الشاعر المعتمد بن عباد من نفي عن واديه إشبيلية بما لاقاه شوقي من نفي عن واديه (نهر النيل).

ومن أمثلة الكناية كذلك قول شوقي: (الخفيف) يا بنَـة الـيمِّ ما أبـوكِ بَخيـلٌ ما لَـهُ مولَعاً بِمَنع وَحَـبسِ (٣)

حيث وردت الكناية في قوله (يا بنة اليم) وهي كناية عن موصوف والمقصود هنا السفينة، أما الكناية الثانية فجاءت في قوله (أبوك) كناية عن موصوف وهو البحر.

<sup>(</sup>١) علم البيان : عبد العزيز عتيق ، ص٢٠٣ .

<sup>(</sup>٢) الشوقيات: ص ٦٨٠.

<sup>(</sup>٣) السابق: ص ٢٠٣.

## ثانياً: الصورة الحسية:

وهي الصورة المرتبطة بإحدى حواس الإنسان ، وتأتي في السياق الشعري تاركة أثراً في المتلقي حاملة أحاسيس الشاعر بين ثناياها ، والصورة الحسية تعددت في شعر شوقي في غربته وحنينه ، ومنها :

## ١ – الصورة البصرية:

وهي تلك الصورة المتعلقة بالبصر ، وتدل عليها الألفاظ المرتبطة بالرؤية ، ومن أمثلتها في شعر الغرية والحنين في شعر شوقي قوله: (الوافر)

هَ دانا ضَ وءُ تَع رِكَ مِ ن تَ لاثٍ كَم ا تَه دي المُنَ وَرَةُ الرِكاب ا وَقَ د غَ شِي المَن ارُ البَح رَ ن وراً كَن ار الط ور جَلَّل تِ السِعابا(١)

فقد جمع شوقي ألفاظاً دالة على البصر وهي (ضوء ، المنورة ، المنار ، نور ، نار ) ، والملاحظ أن شوقي كثّف تلك الألفاظ لتسهم في رسم الصورة المرادة ، فقد أعطت القارئ مشهداً حياً كأنه يشاهد منظراً أمامه .

ويذكر شوقي صورة بصرية في حنينه للوطن ، وعدم تخليه عن أي شبر منه ، فيميل إلى رسم تلك الصورة في قوله : ( البسيط ) اللَيلُ يَسشهَدُ لَم نَهتِك دَياجِيَهُ عَلى نيامٍ وَلَم نَهتِك بِسالينا وَالمنَجمُ لَم يَرَنا إِلّا عَلى قَدَمٍ قِيامَ لَيلِ الهَوى لِلعَهدِ راعينا (٢)

حيث ذكر بعض الألفاظ التي تساعد في رسم صورته البصرية وهي : ( الليل ) ( النجم ) (يرنا) فالليل يوحي بالظلام ، والنجم يوحي بالنور ، و ( يرنا ) تدل على البصر .

ويصور شوقي غزو المشيب له بمشهد آخر يحمل دلالة شوقه وحنينه لأيام الشباب ، وخوفه من دنو الأجل ، راسماً بذلك حكمة تجري على مر الزمان ، حيث يقول : (المتقارب) سرى الشيبُ مُتَّئِدً داً في السروو السرى النارِ في الموضعِ المُعشِبِ حَريدة أَحساطَ بِخَديطِ الحَيا قَ تَعَجَّبُ ثُمَّ كَيفَ عَلَيهِم غَبيي

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص ١٠٦ .

<sup>(</sup>٢) السابق : ص ٦٨١ .

وَمَ ن تُظْهِ رِ النارُ في دارِهِ وفي زَرعِ به مِ نهُم يَرعَ بِ(١)

فيصور اشتعال الرأس بالشيب بسريان النار في الأرض المليئة بالأعشاب ، واندلاع حريق ذي لهيب قوي يهدد الحياة ، فاستخدام شوقي لألفاظ ترسم صورة بصرية ساعده في إيصال تلك الصورة للمتلقى .

ومن جمال صوره البصرية عندما يجسد بذكرياته الجميلة منظراً تعود عليه الشاعر حيث يقول: ( البسيط )

ذَكَرتُ مِصرَ وَمَن أَهُ وَى وَمَجلِسَنا عَلَى الجَزيرةِ بَينَ الجِسرِ وَالنَهَ رِ وَاليَومُ أَشيبُ وَالآفاقُ مُذَهَبَةٌ وَالشَمسُ مُصفَرَةٌ تَجري لِمُنحَدرِ (٢)

فقد صور الشمس في وقت الغروب وهي تميل إلى الصفرة معلنة بقضاء ذاك اليوم من حياة الشاعر سامحة لليل بالدخول بسلاسة إلى عالم الشاعر .

أما في شعوره بالغربة فيرسم شوقي صورة متألفة من مجموعة عناصر اعتمدت على البصر وعلى دلالة الحزن ، وفيها يقول : (الكامل) قلب يُسنوبُ وَمَسدمَعٌ يَجسري يا لَيلُ هَل خَبَرٌ عَنِ الفَجرِ حَالَ سَانُ عَلَى الْمَاسُ عَلَى الْمَاسُ عَلَى الْمَاسُ عَلَى الْمَاسُ عَلَى الْمَاسُ عَلَى الْمَاسُ عَلَى اللهَ عَنْ الفَجرِ عَالَ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الل

أنَّ الصَباحَ رَهِينَ لَهُ الْحَسْرِ (٣)

ففي الأبيات السابقة يشكو شوقي من ليله الطويل شديد الظلام والذي سمح للأحزان بغزو مخيلته وفكره ، فجاءت ألفاظه الدالة على البصر وهي : (ليل ، فجر ، نجوم ، الصباح ) مما ساعد ذلك شوقي في توصيل فكرته على خير وجه .

وَتَطاوَلَ ت جُندًا فَخُيِّلُ لَي

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص١٥٢.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٤٤٣.

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٥٧٥.

## ٢ – الصورة السمعية:

وهي الصورة التي تتألف من مجموعة الألفاظ الدالة على الصوت ، والمرتبطة بحاسة السمع عند الإنسان ، والتي تثير في نفس المتلقى إحساس الشاعر ورسم الصورة التي يريدها ، وقد تشترك تلك الصورة مع عدد من الحواس الأخرى.

ومن أمثلة الصورة السمعية في شعر الغربة والحنين عند شوقى قوله: ( الخفيف ) أُو أَسا جُرِحَاهُ الزَمانَ المُؤَسَّى وَسَلا مصر فَل سَلا القَلبُ عَنها كُلَّما مَرَّتِ اللَّهِالِي عَلَيهِ رَقَّ وَالعَهِدُ في اللَّهِ اللَّهِ الْهَ عُنَّا سَي أُوَّلَ اللَّيْلِ أَو عَوْت بَعد جَرس مُ ستَطارٌ إذا البَ واخِرُ رَنَّ ت كُلَّما ثُرِنَ شاعَهُنَّ بِنَقسِ(١) راهِبٌ في النشلوع لِلسَفنِ فطن

استخدم شوقى الصورة السمعية بأبعادها كافة ، موظفاً الصوت في كل بيت من الأبيات السابقة ليعطى تبياناً لما يجول في صدره من حنين إلى مصر ، ويبث آلام حزنه بسبب غربته ، حيث جاءت الألفاظ الدالة على الصوت: (سلا ، مستطار ، البواخر ، رنت ، عوت ، جرس ، ثرن ) ، فقد رسمت تلك الكلمات الصورة الحسية التي أرادها الشاعر عن طريق اعتماده على الصورة السمعية.

ومن الأمثلة كذلك على الصورة السمعية في شعر الغربة والحنين ما يذكره شوقي في سقوط الخلافة قائلاً: ( الكامل )

> عادت أغاني العرس رَجع نُواح كُفِّنتِ في لَيلِ الزَّفافِ بِثُوبِهِ شُـيِّعتِ مِـن هَلَـع بِعبَـرَةِ ضـاحِكٍ ضَ جَّت عَلَيكِ مَ آذِنٌ وَمَن ابرِّ

وَنُعيتِ بَينَ مَعالِمِ الأَفراحِ وَدُفِن تِ عِندَ تَ بَلُّج الإصباح في كُلِّ ناحِيةٍ وَسَكرَةٍ صاح وَبَكَ ت عَلَيكَ مَمالِكٌ وَنَواح (٢)

حيث استخدم شوقى الألفاظ الموحية بالحزن والغضب الشديد على ما آلت إليه أحوال المسلمين بعيد سقوط خيمة الخلافة ، فجاءت الألفاظ الموحية بالحزن عن طريق استخدام

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص ٢٠٣.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٢٠٢-٢٠٤.

الصوت الحزين والذي يترك في الأسماع أثراً حزيناً ، ومن تلك الألفاظ: (نواح ، نعيت ، شيعت، عبرة ، ضجت ، بكت ) .

وقد تأتي الصورة السمعية متكاملة مع صور بصرية أو شمية كما في قصيدته التي يبث فيها شوقه لمصر وحنينه لها ، وحزنه الشديد لفراقها ، وذلك في قوله : ( البسيط )

مِن بَرِّ مِصرَ وَرَيحانٍ يُغادينا وَبِاسمِهِ ذَهَبَت في الميمِّ تُلقينا لِحاضِرينَ وَأَكوبابٌ لِبادينا بعد الهُدوءِ وَيَهمي عَن مَآقينا هاجَ البُكا فَخَضَبنا الأَرضَ باكينا(۱) بِنّا فَلَم نَخلُ مِن رَوحٍ يُراوِحُنا كَأُمٌ موسى عَلى اِسمِ اللّهِ تَكفُلُنا وَمِصرُ كَالْكَرِمِ ذي الإحسانِ فاكِهَةٌ ومِصرُ كَالْكَرِمِ ذي الإحسانِ فاكِهَةٌ يا سارِيَ البَرقِ يَرمي عَن جَوانِحِنا لَمّا تَرَقرَقَ في دَمع السمَاءِ دَما أَ

والملاحظ في الأبيات السابقة اشتراك أكثر من صورة حسية في رسم المعنى الذي يريده الشاعر ، فمن الألفاظ الدالة على الصورة السمعية (هاج ، البكا ، باكينا ، ترقرق ، الهدوء) ومن الألفاظ الدالة على الصورة البصرية : (ساري البرق ، يهمي ، مآقينا ، دمع ، دم، فخضبنا ) ومن الألفاظ الدالة على الصورة الشمية : (روح ، ريحان ) فقد اشتركت تلك الصور في رسم الصورة الحسية المتمثلة في حنين الشاعر وشوقه لوطنه وآلام غربته في منفاه .

## ٣- الصورة الشمية:

وهي الصورة المرتبطة بحاسة الشم ، وألفاظها تأخذ المتلقي في الجو النفسي للشاعر ، فيعيش معه كأنه يشم تلك الروائح التي يشمها الشاعر .

ومن أمثلة ذلك في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله: ( الطويل ) أريـخ أريـجَ المِـسكِ فـي عَرَصـاتِها وَلا لَخمـا(٢)

فقد وظف شوقي ألفاظاً دلت على حاسة الشم ، مثل : (أريح ، أريج ، المسك ، أرح) فقد ساعد ذلك الكم من الألفاظ الكثيرة في بيت واحد على رسم الصورة الشمية ، وإيصال المعنى المراد من قبل الشاعر في صورة حسية تجذب القارئ وتجعله يعيش جو القصيدة .

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص ٦٨١ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٥٥٠ .

ومن الأمثلة كذلك على تلك الصورة قوله: (الطويل) وَضَاعَ أَريبٌ تَحَتَ كُلِّ حَصاةٍ (١) وَضَاعَ أَريبٌ تَحَتَ كُلِّ حَصاةٍ (١)

وجاء ذلك في مدحه للرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث وردت كلمة (أريج) والتي توحي بقوة الرائحة ، مما ساهم في إبراز فكرة الشاعر .

ومن ذلك أيضاً استعداده لجعل نفسه وقوداً للسفينة البخارية لتسير وترجعه إلى مصر، فساعدته الصورة الشمية في إيصال معناه حيث يقول: (الخفيف) نفسسي مِرجَـــلٌ وَقَابـــي شِــراعٌ بِهِما في الــدُموع سـيري وَأَرسـي (٢)

## ٤ - الصورة الذوقية:

وهي الصورة التي تعتمد على حاسة التذوق ، وألفاظها تدل على الطعام والشراب فترسم صورة مناسبة لما يريده الشاعر من معان .

ومن أمثلة ذلك قوله: (الطويل)

نَزَلتُ رُبى الدُنيا وَجَنّاتِ عَدنِها فَما وَجَدَت نَفسي الْأَنهارِها طَعما(٣)

فقد استخدم شوقي لفظ (طعماً) ليبين أنَّه لا يستسيغ وطناً غير وطنه ، ولا نهراً غير نهر النيل الذي ترعرع شوقي على ضفافه .

ومن الألفاظ الدالة على الصورة الذوقية قوله في اشتياقه لوطنه ، فالظمأ أخذ منه كل مأخذ، حيث وظف لفظتي ( السلسبيل ، ظمأ ) للدلالة على مدى حنينه لمصر ، فالسلسبيل مرتبط بالماء العذب الذي تطلبه كل الأنفس ، وذلك في قوله : ( الخفيف )

وَهَفَ ابِ الْفُؤَادِ فَ يَ سَلَ سَبِيلٍ ظَمَ أُ لِلسَوادِ مِ نَ عَينِ شَمسِ (٤)

لقد ساعدت الصورة الحسية بمكوناتها كافة في توضيح مراد شوقي ، وإبراز الفكرة التي سيطرت على شعره في غربته وحنينه ، فجاءت الصور تجسيداً لمعاني الغربة والحنين من خلال توظيفه الصور البصرية والسمعية والشمية والذوقية وصوراً أخرى ، حيث جعلت المتلقي يتفاعل مع القصائد ويعيش في ظلالها .

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص١٨٦.

<sup>(</sup>٢) السابق : ص ٢٠٣ .

<sup>(</sup>٣) السابق : ص٥٥٠ .

<sup>(</sup>٤) السابق: ص٣٨٤.

## المبحث الثالث: الموسيقا:

يتميز الشعر العربي بأنه شعر غنائي ، وذلك لأنه يعتمد على الموسيقا سواء أكانت خارجية أو داخلية ، فكان الشاعر القديم يغني الشعر غناءً ، فهم قد عرفوا الشعر بموسيقا خاصة تميزه عن غيره ، فالموسيقا " تزيد من انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها ، وتجعلنا نحس بمعانيها كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلاً عملياً واقعياً . هذا إلى أنها تهب الكلام مظهراً من مظاهر العظمة والجلال ، تجعله مصقولاً مهذباً تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه ، وكل هذا مما يثير فينا الرغبة في قراءته وإنشاده وترديد هذا الإنشاد مراراً وتكراراً " (۱) .

إنَّ الموسيقا تنقسم إلى قسمين: قسم يختص بالوزن والقافية ، والآخر " قسم داخلي يتأسس على قيم صوتية أرحب من الوزن والقافية ، تتآلف صوتياً داخل النسيج الشعري سواء أكان ذلك بتكرار الحروف أو الكلمات أو باستغلال إمكانات أخرى: كالتلوين الإيقاعي والبديع اللفظي والمعنوي وكل ما يوفر جرسا موسيقيا جميلا ويصنع النغمية للقصائد، وهذان القسمان يتداخلان ويتحدان معا في البناء الإيقاعي للشعر " (٢).

أما عند الحديث عن موسيقا شوقي فخير من تحدث عن ذلك شوقي ضيف قائلاً: "ولا أبالغ إذا قلت إنني لا أستمع إلى قصيدة طويلة لشوقي حتى إخال كأنني أستمع حقاً إلى سمفونية ، فموسيقاه تتضخم في أذني وأشعر كأنها تتضاعف ، وكأنَّ مَجاميع من مهرة العازفين يشتركون في إخراجها ، وفي إيقاع نغماتها ، ولا أرتاب في أنَّ ذلك يرجع إلى ضبطه البارع لآلات ألفاظه، وذبذبتها الصوتية ، وليست المسألة مسألة حذق أو مهارة فحسب ، بل هي أبعد من ذلك غوراً ، هي نبوغ وإلهام ، وإحساس عبقري بالبناء الصوتي للشعر ، وهذه الروعة في الموسيقا تقترن بحلاوة وعذوبة لا تعرف في عصرنا لغير شوقي ، وربما كانت آيته الكبرى في صناعته ، فأنت مهما اختلفت معه في تقدير شعره ، لا تسمعه حتى ترهف له أذنك ، وحتى تشعر كأنما يحدث مقوباً ، هي ثقوب الصوت الصافي الذي تهدر به المياه بين الصخور ، والصوت يعلو تارة فيشبه زئير البحار حين يهيج ، وينخفض تارة فيشبه قطرات الفضة التي تسقط من مجاديف الزوارق ،

ويصف موسيقاه في موضع آخر فيقول: "وربما كانت موسيقاه أروع خصاله الفنية، فلا تستمع إلى شيء من شعره حتى تعرفه، وإن لم يذكر لك اسمه ما دامت أذنك قد تعودت سماع شعره، وثبتت في نفسك نغماته التي تتوالى نغمة حلوة بجانب نغمة حلوة. ولا نغلو إذا قلنا: إن

<sup>(</sup>١) موسيقى الشعر: إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٢ م ، ص١٤٠.

<sup>(</sup>٢) تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة : فتيحة دخموش ، ص١٨٨٠ .

<sup>(</sup>٣) شوقى شاعر العصر الحديث: شوقى ضيف، ص٤٤ .

شعره يؤلف أروع ألحان عرفت في عصرنا الحديث؛ إذ نراه يعتصر من الألفاظ والأساليب خير ما فيها من ألحان، تسعفه في ذلك فطرة موسيقية رائعة، تقيس قياسًا دقيقًا ذبذبات الحروف والحركات وتآلف النغم في الألفاظ والكلمات" (١).

## المطلب الأول: الموسيقا الخارجية:

وهي التي تتمثل في الوزن والقافية وما يشكلانه من إيقاع خارجي عام للقصيدة ، وعند الحديث عن الموسيقا الخارجية فيجب تناول الوزن والقافية .

### ١ – الوزن:

أما الوزن فهو خاص بالبحور الشعرية متضمناً القافية وفي ذلك يقول ابن رشيق القيرواني:
" الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة "(٢). فالوزن هو أساس الشعر، فلا شعر بغير وزن، ومن مميزات الوزن أنك تحفظ أبياتاً من الشعر ولا يمكنك حفظ النثر إلا قليلاً، وذلك يرجع للموسيقا التي يكونها وزن البيت الشعري، وهذا ابن سنان الخفاجي يذكر المفاضلة بين النثر والشعر فيقول: " أما التفضيل بين النظم والنثر فالذي يصلح أن يقوله من يفضل النظم أن الوزن يحسن الشعر ويحصل للكلام به من الرونق ما لا يكون للكلام المنثور، ويحدث عليه من الطرب في إمكان التلحين والغناء به ما لا يكون للكلام المنثور ولهذه العلة ساغ حفظه أكثر من حفظ المنثور "(٣).

جاءت أوزان شوقي في شعر الغربة والحنين على أوزان الخليل ، فقد نظم شوقي في شعر الغربة والحنين على البحور الآتية: (الطويل ،البسيط ،الوافر ،الكامل ،الهزج ،الرجز ،الرمل ،السريع ،الخفيف ،المتدارك) حيث كان نظمه على تلك البحور بصورة متفاوتة ،ويمكن تبيان ذلك وفق جدول إحصائي يبين أوفر البحور حظاً في غرض الغربة والحنين عند شوقي ،وذلك وفق الجدول الآتي مع النسب المئوية على كل بحر:

<sup>(</sup>١) الأدب العربي المعاصر في مصر: شوقي ضيف ، ص١١٥ .

<sup>(</sup>٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل – بيروت ، ط٥ ، ١٩٨١م ، ١٣٤/١ .

<sup>(</sup>٣) سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٨٧ .

نسبته المئوية	عدد وروده	البحر
%٢٧.٢	۲۱	الكامل
%19.5	10	الطويل
%19.5	10	الوافر
%١٦.٨	١٣	البسيط
%٣.A	٣	الخفيف
%٣.A	٣	الرجز
%٣.A	٣	الرمل
%٢.0	۲	المتدارك
%1.٢	١	السريع
%1.7	١	الهزج

فالملاحظ من الجدول السابق أن بحر الكامل حظي باهتمام كبير من قبل شوقي في نظمه لغرض الغربة والحنين ، وهذا يتماشى مع منهج شوقي في التعامل مع البحور ، " فأول البحور التي نظم عليها شوقي أكثر شعره البحر الكامل وقد ورد عليه ما يقرب ثلث شعره ، فقد نظم عليه شوقي في كل الأغراض ، فبحر الكامل التام ثلاثون مقطعاً ، وهو أكبر بحور الشعر جلجلة وحركات وفيه لون خاص من الموسيقا يجعله إن أريد به الجد ، فخماً جليلاً ، مع عنصر ترنمي ظاهر ، ويجعله إن أريد به الغزل ، وما بمجراه من أبواب اللين والرقة حلواً مع صلصلة كصلصة الجرس .. وهو بحر كأنما خلق للتغني المحض سواء به جد أم هزل ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف والصور حتى لا يمكن فصله عنها بحال "(۱) .

ثم يأتي في المرتبة الثانية بحر الطويل وبحر الوافر وهذان البحران يتميزان باستخدامهما الأوفر حظاً عند الشعراء ، فبحر الطويل يتميز بطول تفعيلاته التي تسمح للشاعر من بث أحزانه في غربته واغترابه ، والتعبير بحرية مطلقة عن حنينه وقد جاء ثلث الشعر العربي عليه ، وبحر الوافر بتفعيلاته ساعدت شوقي في إظهار ما يعانيه من غربة وحنين ، ولعل إبراهيم أنيس ربط بين المعاني المرادة وكيفية نظمها على البحور المختلفة ، فيقول : " على أننا نستطيع ونحن

(۱) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، الكويت ، ١٩٨٩ م - ١٤٠٩ ه ، طواهر عروضية من الشوقيات ، محمد عبد المجيد الطويل ، مجلة كلية دار العلوم،

جامعة القاهرة، ۲۰۰۶ م ، ص۱۰۲–۱۰۶ .

177

مطمئنون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع صب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية " (۱) . وقد أشار حازم القرطاجني إلى ذلك في معرض حديثه عن المعاني المرتبطة بالأوزان والبحور الشعرية ، فيقول : " ولما كانت أغراض الشعر شتى وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير، وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس. فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصدا هزليا أو استخفافيا وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصد " (۲).

### ٢ - القافية :

القافية هى المقطع الصوتى الذى ينتهى به البيت الأول من القصيدة ، والذى سوف يتكرر فى نهاية كل بيت منها ، مادامت القصيدة فى هذا الطراز الملتزم بوحدة الوزن والقافية ، وهذا المقطع الصوتى قد حدده الأخفش بالكلمة الأخيرة من البيت، وحدده الخليل من آخر ساكن فى البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذى قبله (٣) .

ويعرفها إبراهيم أنيس فيقول: "ليست القافية إلا عدة أصوات تتكون في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن "(<sup>1)</sup>

وقد اختلف منذ القدم على تحديد القافية في البيت ، ولكن الأنسب أن يُأخذ بأصغر صورة للقافية والمتواترة في القصيدة كلها ، والركيزة الأساسية للقافية هي حرف الروي ، فالقصيدة تنسب إليه ، فيقال سينية ، لامية ، وهكذا .

<sup>(</sup>۱) موسيقي الشعر: إبراهيم أنيس ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

<sup>(</sup>٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني ، ص٢٦٦ .

<sup>(</sup>٣) محاضرات في العروض والقافية: د. علاء إسماعيل الحمزاوي ، دار التيسير للطباعة والنشر بالمنيا . ٢٠٠٢ ، ص١١٥ .

<sup>.</sup> (3) موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، ص (3)

أما القافية عند شوقي فقد تتوعت حروف الروي عنده ، وجاءت حروف الروي متمثلة في أربعة عشر حرفاً هي : ( الميم ، النون ، اللام ، الباء ، القاف ، الراء ، الدال ، التاء ، الحاء ، العين ، الكاف ، الهمزة ، الباء ، السين ) وجاء نسبة ورودها وفق الجدول الإحصائي الآتي والنسب المئوية لكل حرف :

نسبته المئوية	عدد وروده	حروف القوافي أو حروف الروي
%10.0	١٢	الميم
%١٢.٩٨	١.	النون
%١١.٦	٩	اللام
%9	٧	الباء
%9	٧	القاف
%٧.٧٩	٦	الراء
%٦.٤	0	الدال
%٥.١	٤	التاء
%٥.١	٤	الحاء
%٥.١	٤	العين
%٣.A	٣	الكاف
%٣.A	٣	الهمزة
%٢.0	۲	الياء
%1.۲٩	1	السين

إنَّ الملاحظ من الجدول السابق أن حرفي الميم والنون قد حازا على نسبة ( ٢٨% ) وهذه نسبة عالية إذا ما قورنت بالحروف الأخرى ، ومن المعلوم أنهما حرفان مخرجهما من الخيشوم وتصاحبهما غنة ويدلان على كثرة الآلام عند الشاعر ، ويرجع ذلك إلى آهات الغربة التي عايشها شوقي ، ولهفة الحنين المسيطرة عليه . فالناظر إلى ديوان الشوقيات يجد " أنَّ شوقي نظم قوافيه على جميع الحروف ما عدا ثمانية أحرف وهي (١) : الثاء ، الجيم ، الخاء ، الذال ، الصاد ، الطاء ، الظاء ، الغين . وهذه الحروف من الحروف النافرة والحوشية المهجورة التي قل أن نجد عليها شعراً " (١).

<sup>(</sup>١) نظم على حرف الزاي مقطوعة من ثلاثة أبيات ، أما حرف الشين فنظم عليه قصيدة واحدة فقط .

<sup>(</sup>٢) ينظر : ظواهر عروضية من الشوقيات ، محمد عبد المجيد الطويل ، ص١٠٨-١٠٩ .

أما في شعر الغربة والحنين فقد أضاف شوقي لتلك الأحرف ستة هي: الزاي ، والشين ، الهاء ، الألف ، الضاد ، الفاء .

والملاحظ من خلال دراسة القافية عند شوقي أنه عمد إلى اختيار القافية التي تتلاءم والجو النفسي الذي يعيشه ، فابتعد كل البعد عن القوافي التي تؤثر سلباً على موسيقا القصيدة وتنفر المتلقى منها .

## المطلب الثاني: الموسيقا الداخلية:

تتكون الموسيقا الداخلية بين ثنايا النص الشعري ، وتأتي من لغة الشاعر والعلاقة بين الكلمات من جهة والألفاظ من جهة أخرى ، ومهارة الشاعر تكمن في إضفائه موسيقا داخلية على شعره ، فالموسيقا الداخلية مرتبطة بأسلوب الشاعر ووفرة ألفاظه وقوتها والجو النفسي الذي يعيشه ، والمعاني التي يبثها داخل قصيدته ، حيث تتكون الموسيقا الداخلية من التصريع والطباق والمقابلة والتكرار والجناس .

أما شوقي فقد ملك مقاليد اللغة ومفاتيحها ، وأضفى على شعره لوناً خاصاً تميز عن غيره من شعراء عصره والأقدمين ، لما يحتويه من سلاسة في الألفاظ تجعل المتلقي يبحر في أشعاره ولا يملّها ، ومن أمثلة الموسيقا الداخلية في شعر الغربة والحنين عند أحمد شوقى ما يأتى:

# ١ – التصريع:

عرفه ابن رشيق القيرواني قائلاً: " هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه: تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته " (١) ، وقد اهتم شوقي بهذه الظاهرة في شعره ، وكانت أشد ظهوراً في القصائد المتكاملة التي نظمت في الغربة والحنين ، ومن أمثلة ذلك قوله في مطلع سينيته في بلاد الأندلس : ( الخفيف )

فقد جاءت كلمة (ينسي) في نهاية صدر البيت متناغمة مع كلمة (أنسي) في عجز البيت ، مما زاد من الموسيقا الداخلية للبيت ، وأعطى عاملاً مهماً لجذب انتباه المتلقي .

ومن ذلك قوله: (الكامل)

<sup>(</sup>١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني ، ١٧٣/١ .

<sup>(</sup>٢) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

شَـــيَّعْتُ أَحلامـــي بِقَلـــبِ بـــاكِ وَلَمَحتُ مِـن طُـرُقِ المِـلاحِ شِـباكي (۱) ويقول أيضاً: ( البسيط ) ويقول أيضاً: ( البسيط ) يـــا نــائِحَ الطَلـحِ أَشــباهٌ عَوادينــا نَــشجى لِواديــكَ أَم نَأســـى لِوادينــا(۱)

### ٢ - التكرار:

التكرار لغة: "كَرَّ عليه يَكُرُّ كرًّا وكُروراً وتَكْراراً عطف وكَرَّ عنه رجع وكَرِّ على العدوِّ يَكُرُ ورجل كَرَّار ومِكَرِّ وكذلك الفرس وكَرَّرَ الشيء أعاده مرة بعد أُخرى والكَرَّةُ المَرَّةُ والجمع الكَرَّات ويقال كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرْكَرْتُه إذا ردّدته عليه "(٣)

والمعنى الاصطلاحي لايختلف كثيراً عن المعنى اللغوي ، فالتكرار إعادة الشيء مرة تلو الأخرى ، وقد يكون في الحرف أو الكلمة او الجملة أو الصيغة .

ومن النقاد القدامى الذين تعرضوا للتكرار ابن سنان الخفاجي حيث يقول: "وما أعرف شيئاً يقدح في الفصاحة، ويغض من طلاوتها أظهر من التكرار لمن يؤثر تجنبه، وصيانة نسجه عنه. إذ كان لا يحتاج إلى كبير تأمل، لا دقيق نظر. وقلما يخلو واحد من الشعراء المجيدين أو الكتاب، من استعمال ألفاظ يديرها في شعره، حتى لا يخل في بعض قصائده بها. فريما كانت تلك الألفاظ مختارة، يسهل الأمر في إعادتها وتكريرها، إذا لم تقع إلا موقعها. وريما كانت على خلاف ذلك " (٤). فابن سنان يرى أن التكرار لا يوظفه إلا من كان ماهراً به ، ويجب ألا يطغى على المعنى العام فيفسد جمال النسيج الشعري .

ويرى إبراهيم أنيس أنَّ: "تكرار الحروف ليس بالقبيح إلا حين يبالغ فيه ، وحين يقع في مواضع من الكلمات يجعل النطق بها عسيراً . فالمهارة هنا تكون في حسن توزيع الحرف حين يتكرر كما يوزع الموسيقي الماهر النغمات في نوتته . وليس يتأتى هذا لكل شاعر كما لا يكون مع كل الحروف " (°).

ورد التكرار في شعر الغربة والحنين عند شوقي على عدة حالات ، فكان تكرار الحرف ، وتكرار الجملة ، وتكرار الصيغة .

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٤٦٦.

<sup>(</sup>۲) السابق: ص ۱۸۰.

<sup>.</sup> (7) لسان العرب : ابن منظور ، مادة ( کرر ) ، (7)

<sup>(</sup>٤) سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ ، ص ١٠٦ .

<sup>(</sup>٥) موسيقي الشعر: إبراهيم أنيس ، ص ٣٩ .

أما تكرار الحرف فكان مصاحباً لدلالة أرادها الشاعر ، ومن أمثلة ذلك قوله: (البسيط) يا نائِحَ الطلّحِ أَسْباهٌ عَوادينا في السّمِي لِواديكَ أَم نَأسى لِوادينا مَا اللّهِ عَوادينا عَيرَ أَنَّ يَداً قَصَّت جَناحَكَ جالَت في حَواشينا رَمَى بِنا البّينُ أَيكا عَيرَ سامِرِنا الغَريبِ وَظِلّاً عَيرَ نادينا كُلُّ رَمَتهُ النّوى ريشَ الفِراقُ لَنا سَهماً وَسُلَّ عَلَيكَ البّينُ سِكّينا إِذَا دَعا الشّوقُ لَم نَبرَح بِمُنصَدِعٍ مِن الجَنامَ عَلَي لا يُلتّينا المُصابينا (۱) فَإِن يَكُ الجِنسُ يا إِبنَ الطّلح قَرَقنا إِنَّ المَصابينا (۱) فَإِن يَكُ الجِنسُ يا إِبنَ الطّلح قَرَقنا إِنَّ المَصابينا (۱)

فالملاحظ في الأبيات السابقة تكرار الشاعر لحرف النون الذي تكرر ما يقارب ثلاثين مرة؛ ليعطي إيقاعاً موسيقياً مميزاً ، فحرف النون مخرجه من الخيشوم مما يعطي دلالة على الحزن الشديد الملقى على روح الشاعر وخياله ، وتكرر حرف الحاء كذلك سبع مرات ليدلل على مدى الحرقة والألم الذي يعانيه الشاعر .

ومن أمثلة تكرار الحرف قوله: (الخفيف) الخصيف الخصيف النهار والليالي يُناسسي وصيفا لسي مُالاوَةً مِن شَابابٍ عَصفَت كَالراب اللَّهوب وَمَارَت وَسَالا مِصرَ هَل سَالا القَلبُ عَنها

أَذكُ را لِ عَ الصِبا وَأَيّامَ أُنسي صُوراتٍ وَمَ سِ صُوراتٍ وَمَ سِ صَوراتٍ وَمَ سِ سِ نَةً خُل وَةً وَلَ ذَةُ خَل سِ أَو أَسانَ المُؤَسّي (٢)

لقد أكثر شوقي في الأبيات السابقة من تكرار حرف السين وساعده في ذلك وجود القافية ، مما أنتج موسيقا خاصة أثرت بالإيجاب على النص ، ومما زاد من الإيقاع للنص وجود عدد من الحروف المشتركة في صفة الصفير وهي : حرف السين تكرر تسع مرات ، وحرف الصاد تكرر سبع مرات ، والأصوات الصفيرية تتتج موسيقا حزينة تتلاءم والجو النفسي للشاعر .

<sup>(</sup>١) الشوقيات: ص٦٨٠.

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٣٨٤.

ففي الأبيات السابقة ترى انسياباً موسيقياً كما ينساب الجدول الهادئ ، فالموسيقا فيها خفيفة محبوبة لا تكاد تسمعها الآذان حتى تتلقفها القلوب ، والتي يعجب بها الخاصة والعامة ويطربون لها مثل ( قلس ) للمؤلف الموسيقي ( اشتراوس ) (١).

أما تكرار الكلمة فالأمثلة عليه كثيرة في شعر الغربة والحنين ، ومن ذلك قوله: (الوافر) فَــصَفحاً لِلزَمــانِ لِــصُبح يَــومٍ بِ أَضحى الزَمانُ إِلَى ثَاباً (٢)

فقد وظف الشاعر كلمة الزمان في موضعين ، وذلك ليؤكد على أنَّ الزمان ظلمه فترة من العمر عندما قضى خمس سنوات من عمره في المنفى ، وها هو اليوم يصفح عن الزمان بعدما سمح له بالعودة إلى وطنه .

ومن تكرار الكلمة ما يجمع بين كلمتين مكررتين في بيت واحد ومن ذلك قول الأمير: (الوافر)

أُحِبُّ كِي مِصرُ مِن أَعماق قَابِي وَحُبُّكِ في صَمِيمِ القَلْبِ نامي سَـــيَجِمَعُني بِـــكِ التــــاريخُ يَومــــاً إذا ظَهَرَ الكِرامُ عَلى اللِّهِامِ لأَجلِكِ رُحتُ بالدُنيا شَقِيّاً أَصُدُ الوَجِهِ وَالدَّنيا أَمامي

والملاحظ تكرار كلمة (قلب) مرتين في البيت الأول ، وتكرار كلمة (حبك ) وذلك على سبيل التوكيد على أن مصر حبها ساكن في القلب ، لا يمكن لأحد أن ينهي تلك العلاقة ، وذلك يؤكد على ارتباط الشاعر بوطنه وتعلقه به .

ومن ذلك قوله: (البسيط) إذا تَع الله وَلا الآذانُ آذانُ (٣) 

ورد عند شوقي التكرار المزدوج للكلمات في البيت الواحد ومثال ذلك قوله: ( الوافر ) وَقُلْتِ لَدى الطّبيعَةِ أَيْنَ مِصرُ (٤) حَنَنتِ إلى الطّبيعَةِ دونَ مِصر

حيث جاءت كلمة الطبيعة مكررة مرتين ، وكلمة مصر مكررة مرتين كذلك ، وكما ذكر آنفاً هو دليل على تعلق الشاعر بوطنه مصر.

<sup>(</sup>۱) بتصرف : موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص ٤٠ .

<sup>(</sup>٢) الشوقيات: ص ١٠٥-١٠٦ .

<sup>(</sup>٣) السابق: ص٧٠١.

<sup>(</sup>٤) السابق: ص ٣١٣ .

أما تكرار الجملة في البيت الواحد من النص قول شوقي في نشيده لمصر وإصراره على جعل مصر منارة عالمية لا تقبل الضيم والقهر: (المتدارك) سَـعياً أَبَـداً سَـعياً سَـعياً لَا لَأَثيـا لِأَثيـا لِأَثيـا وَلَنَجعَالُ مِـصرَ هِـيَ الـدُنيا (۱) وَلَنَجعَالُ مِـصرَ هِـيَ الـدُنيا (۱)

فقد كرر شوقي جملة ( وَلنَجعَل مِصرَ هِيَ الدُنيا ) مما أضاف موسيقا سلسة تقبلها النفس والأذن ، وجاء كذلك تكرار للكلمة (سعياً) في الشطر الأول من البيت الأول ثلاث مرات؛ للتأكيد على العزم والهمة العالية .

أما عن تكرار الصيغة وهو تكرار لأسلوب ما، مثل: استخدامه لأسلوب الشرط أكثر من مرة فنراه في قوله: ( الكامل )

وَمُقَدِراً لا يَصَدى وَفَعَلَد تَ مِا لا تَفَعَلُ الأَنْواءُ وَمُقَدَراً لا يَصستَهينُ بِعَفُ وِكَ الجُهَلاءُ وَمُقَدَراً لا يَصستَهينُ بِعَفُ وِكَ الجُهَلاءُ تَ أُمُّ أَو أَبٌ هَذَانِ فَي الدُنيا هُمَا الرُحَماءُ يَ غَصَبَةٌ فَي الدَنيا هُمَا الرُحَماءُ يَ غَصَبَةٌ في الدَقِ لا ضِعِنْ وَلا بَعْضاءُ مَرضاءُ مَرضاتِهِ وَرضى الكَثير تَحَلُّم وَرياءُ مَرضاتِهِ وَرضى الكَثير تَحَلُّم وَرياءُ رهِ فَرياءُ وَرضى الكَثير تَحَلُّم وَرياءُ يَعَلَي وَالقُلُوبِ بُكَاءُ (٢)

فَإِذَا سَخُوتَ بَلَغتَ بِالْجُودِ الْمَدى وَإِذَا عَفَ وَتَ بَلَغتَ بِالْجُودِ الْمَدى وَإِذَا عَفَ وَتَ فَق الْدِراَ وَمُقَدَّراً وَإِذَا رَجِم تَ فَأَن تَ أُمِّ أُو أَبٌ وَإِذَا رَجِم تَ فَأَن تَ أُمِّ أُو أَبٌ وَإِذَا غَضِبتَ فَإِنَّما هِي غَضبةً وَإِذَا خَضيتَ فَإِنَّما هِي مَرضاتِهِ وَإِذَا رَضيتَ فَذَاكَ في مَرضاتِهِ وَإِذَا رَضيتَ فَذَاكَ في مَرضاتِهِ وَإِذَا خَطَب تَ فَلِلْمَن الرِ هِ نَقَ قَلْمَن الْمَن الرِ هِ نَقَ قَلْمَن الرَّالِ هِ نَقَالَ مَنْ الْمَن الْمِنْ الْمَنْ الْمَالِيْ الْمَنْ الْمَنْ الْمَالُونُ الْمَنْ الْمَالُونُ الْمَالْمُنْ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمَنْ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمَالِيْ الْمَنْ الْمَالُونُ الْمِيْلُولُ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمِنْ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمَالُونُ الْمَالُولُ الْمَالُونُ الْمَالُولُ الْمَالُونُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمِنْ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُ الْمَالُولُ الْمَالْمُ الْمَالُولُ الْمَالِمُ الْمَالُولُ الْمَالْمُ الْمَالِمُ الْمَالِمُ لَالْمَالُولُ الْمَالِمِ الْمَالْمُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالِمُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمِلْمِ الْمَالْمُ الْمَالْمُ الْمَالْمُ الْمَالْمُ الْمَالُولُ الْمَالِمُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالْمُ الْمَالْمِ الْمَالُولُ الْمَالْمُ الْمَالْمُ الْمَالُولُ الْمُلْمِلُولُ ال

حيث كرر شوقي أسلوب الشرط ست مرات باستخدام الحرف (إذا) مما عمل على إنتاج موسيقا ظاهرة بغير تكلف ولا اصطناع ، وأفاد في توضيح الدلالة والتأكيد على صفات سيد الخلق محمد (صلى الله عليه وسلم).

ومثال آخر على تكرار الصيغة في قوله: (الطويل) صَحا القَلبُ إِلّا مِن خُمارِ أَماني يُجاذِبُني في الغيدِ رَثَّ عِناني حَنانَيكَ قَلبي هَل أُعيدُ لَكَ الصِبا وَهَل لِلفَتى بِالمُستَحيلِ يَدانِ

۱۷۳

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص ٦٨٧ .

<sup>(</sup>٢) السابق: ص٣٤.

حيث كرر الشاعر أسلوب الاستفهام باستخدامه للحرف (هل) ؛ ليدلل على شده حنينه من خلال موسيقا تطرب المتلقى وتجذبه للنص الشعري .

### ٣- الطباق:

يعرف الطباق عند أهل البديع بأنه: " الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر "(٢). فالطباق يولد جرساً موسيقياً خفياً من خلال وجود كلمتين متضادتين ، والتضاد الحاصل بين ذلك المعنيين يعمل على إبراز المعنى وتوضيحه وترسيخ الفكرة المرادة في النسيج الشعري ، فنجد ذلك عند كثير من الشعراء ؛ لأنه محسن بديعي يساهم في إيصال الفكر والمعاني للمتلقي بدون عناء .

لقد تكرر الطباق كثيراً عن شوقي في شعر الغربة والحنين مما أضفى على هذا الشعر سمة غالبة ، ولجوء شوقي لهذا النوع دليل على اضطراب الجو النفسي عنده ، فهو يريد أموراً غير الواقعة أمامه ، ومن تلك الأمثلة على الطباق قوله : ( الطويل )

أَرِقِتُ وَعَادَتني لِذِكرى أَحِبَّتِي وَمَن يَحمِلِ الأَشواق يَتعَب وَيَختَلِف وَمَن يَحمِلِ الأَشواق يَتعَب وَيَختَلِف لَقيتَ اللَّذي لَم يَلقَ قَلبٌ مِن الهوى وَلَد عَلَيكَ وَرقَّة

شُ جونٌ قِيامٌ بِالصَّلُوعِ قُعودُ عَلَيهِ قَعديمٌ في الهَوى وَجَديدُ عَلَيهِ قَديمٌ في الهَوى وَجَديدُ لَكَ اللَّهُ يا قَلبي أَأَنتَ حَديدُ إِذَا حَلَّ غيدٌ أَو تَرَحَّلَ غيدُ (٣)

والملفت للنظر في تلك الأبيات كثرة الكلمات المتطابقة ، حيث جاءت مجموعة كلمات مثل: ( قيام وقعود ) و ( قديم وجديد ) و ( حلَّ و ترحّل ) ، ومما زاد من الموسيقا في البيت الرابع وجود الجناس الناقص بين الكلمتين المتطابقتين ، والمتفحص في موسيقا الأبيات السابقة يجد مدى قوتها النابعة من وفرة الطباق فيها .

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص٧١٣ .

<sup>(</sup>٢) علم البديع : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ص ٧٧.

<sup>(</sup>٣) الشوقيات: ص٢٤٤.

ومن الأمثلة على الطباق قوله: ( البسيط ) فَإِن يَكُ الجِنسُ يا إِبنَ الطَّحِ فَرَّقْنا إِنَّ المَصابِينا (١)

حيث جاء كلمة ( فرقنا ) وكلمة ( يجمعن ) متطابقتين ، مما يزيد من إبراز الفكرة وتوضيح المعنى الذي يريد الشاعر ناهيك عن الجرس الموسيقي الذي أحدثه التضاد .

ومن التضاد ما يتفق مع الجناس فيزيد في المعنى والإيقاع الموسيقي ، ومن ذلك قوله : ( المتقارب )

وَغِالَ الحَداثَةَ شَرِخُ السَّبَا بِ وَلَو شِيَتِ المُردُ في السُّيَّبِ<sup>(۲)</sup> فقد جاء الطباق بين كلمتى ( الشباب ) و ( الشيب ) .

## ٤ - المقابلة:

يعرفها ابن رشيق القيرواني حيث يقول: "هي ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه. وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة "(٣) ويعطي عبد العزيز عتيق تعريفاً لها فيقول: "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب " (٤).

ومن أمثلة المقابلة في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله: (الخفيف) أحسرامٌ عَلَى بَلابِلِهِ السَدو خَصَلالٌ الِطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ (٥)

لقد جاءت المقابلة هنا لفظية ومعنوية ، فشوقي يتوجع من منعه دخول وطنه ، بينما المستعمر يتلذذ بخيرات الوطن ، فجاء التضاد بين كلمة (حرام وحلال) ومن حيث الدلالة بين كلمة (بلابله) والمقصود بها أبناء مصر ، وكلمة (الطير) والمقصود بها المحتل والأجانب الذين استباحوا مصر وكل خيراتها وطردوا أبناءها .

ويقول أيضاً: (الخفيف) وَطَنِي لَو شُخِلتُ بِالخُلدِ عَنهُ نازَعَتني إلَيهِ في الخُلدِ نَفسي (١)

<sup>(</sup>١) الشوقيات : ص ٦٨٠ .

<sup>(</sup>۲) السابق: ص۱۵۲.

<sup>(</sup>٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني ، ١٥/٢ .

<sup>(</sup>٤) علم البديع: عبد العزيز عتيق ، ص ٨٦.

<sup>(</sup>٥) الشوقيات: ص٣٨٤.

والمقابلة هنا بين (شغلت عنه) و (نازعتني إليه) فالمقابلة تعطي جرساً موسيقياً تتلذذ النفس عند سماعه، ويشدها للتفاعل مع جو النص.

### ٥ – الجناس:

تعريفه اصطلاحاً: " هو تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى ، ويسمى التجانس والتجنيس " (٢)

والجناس أداة موسيقية تبعث في النفس تعلقاً بالنص الشعري لما يتركه من أثر واضح في المتلقي ، فقد استخدم شوقي الجناس بجميع أشكاله مما أضفى على شعره بريقاً من نوع خاص وموسيقا ظاهرة جلية سلسة ، ومن أمثلة الجناس في شعره قوله : (الخفيف) وسَلا مِصرَ هَل سَلا القَلبُ عَنها أو أسا جُرحَه الزَمان المُؤسّى (٣)

فقد ورد الجناس التام بين كلمتي (سلا) والتي بمعنى (اسألا) ، وكلمة (سلا) والتي بمعنى (نسي وصبر) ، فالملاحظ مدى قوة الموسيقا التي أحدثها هذا الجناس .

وقوله أيضاً: (الخفيف)

فالملاحظ في البيت السابق عدد من النواحي التي أخرجت البيت في أجمل حلة ، فقوة الإيقاع نابعة من الجناس الناقص بين كلمتي (سيري) و (أرسي) وكذلك اتحاد الجناس مع الطباق بين الكلمتين ، ويبرز في البيت السابق مظهر موسيقي رائع وذلك في حسن التقسيم في الشطر الأول من البيت ، حيث وردت جملتان تامتان تتكون كل واحدة منهما من مبتدأ وخبر ، في قوله : (نفسي مِرجَلٌ وَقَلبي شِراعٌ) مما زاد من جمال البيت ورونقه .

## ٦ - التقسيم:

التقسيم فن من فنون البديع المعنوي، وهو في اللغة مصدر قسمت الشيء إذا جزّأته أما في الاصطلاح فاختلفت فيه العبارات، والكل راجع إلى مقصود واحد (١).

<sup>(</sup>۱) السابق: ص۲۸٤ .

<sup>(</sup>٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب ، 717/7 .

<sup>(</sup>٣) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

<sup>(</sup>٤) السابق: ص ٣٨٤.

ويرى عبد العزيز عتيق أن التقسيم يرد على ثلاثة أقسام (7):

أ- استيفاء جميع أقسام المعنى، وقد ينقسم المعنى إلى اثنين لا ثالث لهما، أو إلى ثلاثة لا رابع لها، أو إلى أربعة لا خامس لها، وهكذا .

ب- يتمثل في ذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل حالة ما يلائمها ويليق بها.

ج- يتمثل في التقطيع، ويقصد به تقطيع ألفاظ البيت الواحد من الشعر إلى أقسام تمثل تفعيلاته العروضية، أو إلى مقاطع متساوية في الوزن. ويسمى التقسيم حينئذ (التقسيم بالتقطيع).

أما التقسيم في شعر الغربة والحنين عند شوقي فيظهر في بعض القصائد ، ومن أمثلة ذلك قوله : ( الطويل )

إِذَا جَنَّنَ اللَيلُ اِهْتَ زَرْتُ إِلَيكُما فَجَنَحا إِلَى سُعدى وَجَنَحا إِلَى سَلمى وَحَنَّ تَ اللَيلُ السُلمى (٣) وَحَنَّ تَ نَواقيسٌ وَرَنَّ تَ مَاذِنٌ وَرَقَّ تَ وُجُوهُ الأَرض تَستَقبلُ السُلمى (٣)

فقد جاء حسن التقسيم في الشطر الثاني من البيت الأول ، وفي صدر البيت الثاني في قوله ( وَحَنَّت نَواقيسٌ وَرَنَّت مَآذِنٌ ) .

وكذلك جاء في قوله: (الخفيف)

نَف سي مِرجَ لُ وَقَابِ ي شِراعٌ بِهِما في الدُموع سيري وَأُرسي (٤)

فحسن التقسيم ورد في الشطر الأول من البيت ، فقد جعل جملتين منفصلتين مكونتين من مبتدأ وخبر ، وفق تقطيع موسيقي خاص .

<sup>(</sup>١) علم البديع: عبد العزيز عنيق ، ص ١٣٤.

<sup>(</sup>٢) علم البديع: عبد العزيز عتيق ، ص ١٣٧-١٤٠.

<sup>(</sup>٣) الشوقيات : ص٥٥٠ .

<sup>(</sup>٤) السابق : ص ٣٨٤ .

## الخاتمة

من خلال الغوص في شعر الغربة والحنين عند شوقي والتعرف إلى أسبابه ونتائجه ، ودراسة فنية لخصائص هذا الغرض ، فقد توصلت الدراسة إلى أهم النتائج حيث جاءت على النحو الآتى :

- ١- إنَّ النفي الذي تعرض إليه شوقي جعله يعيش حياة الغربة بكل ما تحتويها من آلام وحرقة ، وذلك أثَّر على شعره ، فأنتج شعراً مختلفاً عن سابقه ، ممتلئاً بالعواطف الجياشة التي تبعث في النفس الحنين الصادق إلى الوطن ، فكانت تلك الفترة مرحلة تحول في حياة شوقي .
- ٧- ارتبط حنين شوقي بمسببات الغربة نفسها ، فالغربة عن الوطن جلبت الحنين إلى الوطن وإلى الأهل والأصدقاء ، والشعور بالاغتراب النفسي أنتج حنيناً إلى الذكريات الجميلة وفترة الشباب ، أما واقع الأمة الإسلامية والعربية فأخذه لحنين ديني لأيام النبي (صلى الله عليه وسلم) فكانت المدائح النبوية والشوق لعصر الفتوحات الإسلامية ، ومن ذلك أيضاً حنينه للمحبوب .
- ٣- اتسمت قصائد شوقي في غربته بالحنين الجارف إلى الوطن ، حيث عرفت تلك القصائد
   بالأندلسيات ، وتميزت بقوة معانيها وصدق عاطفتها ، وإن جاز وصفها فإنها من أجمل
   قصائد شوقى على الإطلاق .
- ٤- اختص أسلوب شوقي في غرض الغربة والحنين بالقوة ، حيث كانت الألفاظ المباشرة للغربة والحنين ظاهرة جلية ، ومما زاد من وضوحها كثرة الألفاظ الموحية بالغربة والحنين .
- ٥- تتوعت الأساليب الإنشائية الطلبية عند شوقي من (نداء ، وأمر ، واستفهام ، وتمنٍ )
   وذلك بسبب حنينه الشديد ورفضه الغربة والاغتراب .
- ٦- جاءت الصورة الشعرية قوية في شعر الغربة والحنين ، فالصورة البيانية شملت النواحي
   البلاغية وقوة التشبيه مع الدلالة القطعية على شدة حنين شوقى .
- ٧- رسم شوقي صوراً حسية لمعاناته في الغربة ، حيث أسهمت في توضيح عواطفه الجياشة الكامنة في صدره ، مما أوحى للمتلقي بما يشعر الشاعر من حنين صادق نابع من عواطف صادقة .
- ٨- من الظواهر الأسلوبية الظاهرة في شعر الغربة والحنين التناص ، وذلك بتأثره بالدين والأدب العربي والتاريخ الإسلامي ، مما كشف عن الثقافة الواسعة التي يتمتع بها شوقي والتي أسهمت في إبراز أحاسيسه ومشاعره .

- 9- اعتمد شوقي في غرض الغربة والحنين على مجموعة من الأبحر الشعرية ، وكان أوفرها حظاً بحر الكامل فالطويل والوافر ثم البسيط ، وإن دل ذلك فيدل على استخدامه للبحور التي تتسع لبث الشكوى من خلالها إما لطول تفعيلاتها أو لسرعة إيقاعها .
- ١- عمد إلى اختيار القافية التي تتلاءم والجو النفسي الذي يعيشه ، وابتعد كل البعد عن القوافي التي تؤثر سلباً على موسيقا القصيدة وتنفر المتلقي منها ، حيث حاز حرفا الميم والنون على الكم الأكبر ، وذلك تعليله أن كلا الحرفين يشتركان في خروجهما من الخيشوم والذي يحمل دلالة الحزن والأسى ، وهذا يتلاءم مع الجو النفسي الذي عاشه الشاعر .
- 11- ورد التكرار بصورة كبيرة ، سواء بكثرة الحروف التي تحمل دلالة الحزن والحرقة ، أو بالكلمة ، أو بالجملة ، أو بالصيغة ، وذلك مساعدة للغرض الذي من أجله نظمت القصائد المتنوعة .
- 11- تعددت المحسنات البديعية في هذا الغرض مما زاد من الإيقاع الموسيقي المنسجم وبنية النص .

# فهرس الآيات

الصفحة	الآية	رقم الآية	السورة
١٣٨	إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَنِهِمْ تَبُّمِ بِإِيمَنِهِمْ تَجْرِك مِن تَحْتِمُ ٱلْأَنْهَارُ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ	٩	يونس
1 : .	وَٱخۡفِضَ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِ ٱرْحَمَّهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا	7 £	الإسراء
٩ ٤	ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا	٤٦	الكهف
77	وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكُوةً ۗ وَكَانَ تَقِيًّا	١٣	مريم
1 4 9	فَوسُوسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطِنُ قَالَ يَثَادَمُ هَلَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَخَرَةِ ٱلْخُلُّدِ وَمُلْكِ لَا يَبْلَىٰ ﴿ فَأَكُلَا مِنْهَا فَبَدَتْ هَٰكُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقًا تَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن فَبَدَتْ هَٰكُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقًا تَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُ وَفَعَوىٰ ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا رَبُّهُ وَهَدَىٰ ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا مَبْهُ وَهَدَىٰ ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمَيعًا لَا بَعْضُ عَدُونُ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِي حَمُيعًا لَيْعَضٍ عَدُونُ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِي هَدًىٰ فَكَ يَضِلُ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿ قَالَ اللَّهُ فَا يَضِلُ وَلَا يَضِلُ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿ اللَّهُ مَا يَضِلُ وَلَا يَضِلُ وَلَا يَشْقَىٰ اللَّهُ اللَّهُ مَا يَأْتِيَنَّكُم مَّنِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمَا يَضِلُ وَلَا يَشْقَىٰ اللَّهُ الْمَالُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمَالِمُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْفِقُولُ الْمَالُولُ اللَّهُ الْمَالِمُ اللَّهُ الْمُؤْفِقُ الْمُ الْمُؤْفِقُولُ الْمُؤْفِقُولُ الْمَالِمُ اللَّهُ الْمَالِمُ الْمَالِمُ الْمُؤْفِقُ الْمُؤْفِقُ الْمَالِمُ الْمُؤْفِقُ الْمُؤْفِقُ الْمُؤْفِقُ الْمَالِمُ الْمَالِمُ الْمُؤْفِقُ الْمُؤْفِقُ الْمُلُولُ الْمُؤْفِقُ الْمُؤْفِقُولُ الْمُؤْفِقُ الْمَالِمُ الْمُؤْفِقُ اللَّهُ الْمُؤْفِقُ اللَّالِمُوفُ الْمُؤُلِقُ الْمُؤْفُولُ الْمُؤْفِقُ الْمُؤْفِقُ الْمُؤْفِقُ الْمُؤْفِل	178-17.	طه
١٠٨	وَمَآ أَرْسَلْنَكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَلَمِينَ	117	الأنبياء
**	﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَبِعُهُمُ ٱلْغَاوُرِنَ ﴿ قَالَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ يَفْعَلُونَ ﴾	<b>۲۲</b> ٦- <b>۲</b> ۲٤	الشعراء



#### المصادر والمراجع

- \* القرآن الكريم .
- ١. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين : محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي،
   مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ه، ١٩٩٤م .
- ٢. أحمد شوقي حياته وشعره: كمال أبو مصلح ، المكتبة الحديثة ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- ٣. أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ: فوزي العطوي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ م .
- ٤. الأدب العربي المعاصر في مصر: شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة عشرة .
- أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق / عبد الحميد هنداوي ،
   دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م .
- آ. إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية: سعاد عبد الوهاب عبد الكريم، مطابع الجيزة،
   القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- ٧. الأسلوب: أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٧٦ م.
- ٨. أسواق الذهب : أحمد شوقى بن على بن أحمد شوقى ، مطبعة الهلال ، مصر ١٩٣٢ .
- 9. الأعلام: خير الدين بن محمود بن فارس الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.
- ١٠. أمالي الزجاجي : لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي ، تحقيق / عبدالسلام هارون ،
   دار الجيل بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧ م .
- 11. أمير الشعراء أحمد شوقي: محمد الطاهر الزنكلوني ، مجلة الأزهر القاهرة ، الجزء العاشر ، يوليو ١٩٨٦ م .
- ١٢. البديع في شعر شوقي : منير سلطان ، المعارف ، الإسكندرية ، الطبعة الثانية ،
   ١٩٩٢ م .
  - ١٣. تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ج١.
- ۱۱. تاریخ ابن خلدون: ابن خلدون ، تحقیق خلیل شحادة ، دار الفکر ، بیروت لبنان ، الطبعة الثانیة ، ۱۹۸۸م.

- ١٥. تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة: فتيحة دخموش ( رسالة ماجستير ) جامعة منتوري .
- 17. تحليل الخطاب الشعري: محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢م.
- ۱۷. التناص : مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية ، د. أحمد الزعبي ، مكتبة الكتاني، الأردن، الطبعة الأولى ، ۱۹۹۳م .
- 11. التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر: حسن البنداري ، عبد الجليل صرصور ، عبلة ثابت ، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ، ٢٠٠٩ ، المجلد ١١ ، العدد ٢ .
- 19. جمهرة أشعر العرب: لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق / علي محمد الباجي ، نهضة مصر القاهرة ١٩٨١ م .
- · ٢٠. الحماسة الشجرية : ابن الشجري ، تحقيق / عبد المعين الملوحي و أسماء الحمصي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٠م .
- ٢١. الحنين إلى الأوطان: لأبي عثمان الجاحظ، دار الرائد العربي بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
- ٢٢. الحنين في الشّعر الزّنكي والأيوبي: مي إبراهيم عمرو ، رسالة ماجستير من جامعة الخليل ٢٠١١م .
- ٢٣. الحنين والغربة في الشعر العربي: د. يحيى الجبوري ، دار مجدلاوي ، عمان ،
   الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م .
- ۲٤. الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ،
   دار الجيل بيروت، ١٩٩٦ .
- ۲۰. الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية : عبدالإله الصائغ ، الدار البيضاء -بيروت :المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ، ۱۹۹۷ م .
- 77. الخطيئة والتكفير -من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر: عبد الله الغذامي ، النادي الثقافي الأدبي جدة ،١٩٨٥م ، ط١ .
- ۲۷. دراسات في النقد الأدبي: د. حماد أبو شاويش ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين،
   ۹۹۹م

- ۲۸. دراسة عن شوقي : شفيق جبري ، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع ، الطبعة الأولى ۱۹۹۷م .
- 79. دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، قراءة و تعليق : محمود شاكر ، مكتبة مطبعة المدنى ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢ م.
- ٠٣٠. ديوان ابن خفاجة الأندلسي: تحقيق / عبد الله سنده ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦ م .
- ٣١. ديوان أبي سلمى عبد الكريم الكرمي: دار العودة بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨ م ، ص ١٧٣ .
- ٣٢. ديوان أبي فراس الحمداني: تحقيق / خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٤ م ، ص ٢٥٢ .
- ٣٣. ديوان أحمد شوقي ( الشوقيات ) : تدقيق محمد فوزي حمزة ، الطبعة الثانية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ٢٠١٢ م .
- ٣٤. ديوان البحتري: تحقيق / حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٤ م .
- ٣٥. ديوان المتلمس الضبعي : تحقيق حسن الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ،
   القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ م .
- ٣٦. ديوان النابغة الذبياني: ت/ عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية بيروت ،
   الطبعة الثالثة ، ١٩٩٦ م .
- ٣٧. ديوان امرِئ القيس: تحقيق / عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٤م.
  - . ٨٨. ديوان جرير : جرير بن عطية العامري ، دار بيروت للطباعة بيروت ، ١٩٨٦ م .
- ٣٩. ديوان حافظ إبراهيم: ضبطه وشرحه ، احمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الابياري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧ م .
- ٠٤٠ ديوان طرفة بن العبد : تحقيق / مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٢م.
- 13. ديوان مالك بن الريب: تحقيق / د. نوري حمودي القيسي ، مجلة معهد المخطوطات العربية" مج ١٥، ج١ .
- 27. ديوان محمود سامي البارودي : تحقيق / علي الجارم ومحمد شفيق معروف ، دار العودة بيروت ، ١٩٩٨ م .

- ٤٣. ذكرى الشاعرين (شاعر النيل وأمير الشعراء): أحمد عبيد ، المكتبة العربية ، دمشق، الطبعة الأولى .
- 23. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي: تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ه/ ٢٠٠٠م.
- 20. سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م .
- 23. شرح اللزوميات : لأبي العلاء المعري ، تحقيق / زينب القوصي وفاء الأعصر سيدة حامد منير المدنى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ م ، ج٣ .
- ٤٧. شرح ديوان أبي تمام: الخطيب التبريزي ، تحقيق / راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٩٤ ، ج١ ، ص٢٩٠ .
- 24. شرح ديوان عنترة بن شداد : الخطيب التبريزي ، تحقيق : مجيد طراد ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م .
- 93. شعر شوقي الغنائي والمسرحي: طه وادي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٥ م .
- ٠٥. شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السابعة .
- ١٥. الشوقيات المجهولة: محمد صبري ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ج١ ،
   ١٩٧٩م .
- ٥٢. الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩ م .
- ٥٣. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت .
- ٥٤. الصورة البيانية في كتاب روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقى البروسوي:
   إلهام حرارة ( رسالة ماجستير ) الجامعة الإسلامية غزة ، ٢٠١٣ م .
- ٥٥. الصورة في الشعر العربي : على البطل ، دار الأندلس بيروت ، الطبعة الثانية ،
   ١٩٨١ م .
  - ٥٦. الصورة والبناء الشعري: محمد حسن عبد الله دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨١ م .

- ٥٧. ظاهرة التناقص في الشوقيات ، مهند عباس زكي ، رسالة ماجستير ، الجامعة العراقية بغداد، ٢٠١١ م .
- ٥٨. ظواهر عروضية من الشوقيات ، محمد عبد المجيد الطويل ، مجلة كلية دار العلوم ،
   جامعة القاهرة، ٢٠٠٤ م .
- ٥٩. عشرون من شعراء المنافي والسجون: أحمد سويلم، دار الطلائع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- ٦٠. علم البديع: عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت
   لبنان .
- 71. علم المعاني: عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩ م.
- 77. علم النص: جوليا كريستيفا ، تر/ فريد الزاهي ، مراجعة / عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، المغرب، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م .
- 77. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١م .
- ٦٤. الغربة والحنين في الشعر الأندلسي: فاطمة صحصح ، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣.
- ٦٥. الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة : د. أمين العمصي ، جامعة قاريونس بنغازي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م .
- 77. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق/ يوسف النبهاني ، دار الفكر بيروت / لبنان ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م .
- 77. فن الشعر: إحسان عباس ، دار صادر بيروت، دار الشروق عمان، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .
- ٦٨. في النقد الأدبي ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الرابعة، ١٩٦٧م .
- 79. القرآن والصورة البيانية : د. عبدالقادر حسين ، عالم الكتب بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م .
- ٧٠. اللزوميات : لأبي العلاء المعري ، تحقيق / أمين عبد العزيز الخانجي ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ج٢ .

- ٧١. لسان العرب لابن منظور: دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى .
- ٧٢. المتنبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة: عباس حسن ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٥١م .
- ٧٣. المجال النفس اجتماعي العربي: د. عباس مكي ، معهد الإنماء العربي بيروت، ١٩٩١م .
- ٧٤. محاضرات في العروض والقافية: د. علاء إسماعيل الحمزاوي ، دار التيسير للطباعة والنشر بالمنيا ٢٠٠٢م.
- ٧٥. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : عبد الله الطيب ، الكويت، الطبعة الثالثة ،
   ١٩٨٩ م ١٤٠٩ ه .
- ٧٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ٩٨٣.
  - ٧٧. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المكتبة الإسلامية ، استانبول .
- ٧٨. مقدمة القصيدة عند شعراء مدرسة الإحياء والبعث : عبد العزيز الثبيتي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القري المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٠م .
- ٧٩. المكان في الشعر الأندلسي : محمد الطربولي ، دار الرضوان ، عمان ، الطبعة الأولى .
- ٨٠. من أعلام الفكر والأدب في التراث العربي : محمد جواد النوري ، مطبعة الشرق العربية ، القدس شعفاط .
- ٨١. منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني ، تحقيق / محمد الحبيب بن الخوجة،
   دار المغرب الإسلامي بيروت ، ط ٣، ١٩٨٦ م.
- ٨٢. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق /
   د. عبد الله المحارب، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م .
- ۸۳. موسیقی الشعر: إبراهیم أنیس ، مكتبة الأنجلو المصریة القاهرة ، الطبعة الثانیة ،
   ۱۹۵۲ م.
- ٨٤. نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، تحقيق / د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية بيروت .

# فهرس المتويات

المفجة	الموضوع
<b>-</b>	——————————————————————————————————————

<u></u>	الإهـــداء
€	شکر وتقدیر
٠	ملخص البحث
١	المقدمسةا
ν	
١.	ثانياً : حياته التعليمية :
١٣	ثالثاً : حياته السياسية :
۲۱	رابعاً : مكانته الأدبية :
Y o	خامساً: شوقي في ميزان النقد:
Y7	سادساً : وفاته :
۲۹	الغربة في شعر أحمد شوقي
Y9	المبحث الأول : الغربة لغة واصطلاحاً :
<b>*</b> 1	المبحث الثاني : بواعث الغربة :
٣٧	
٣٩	العامل الاجتماعي:
٤٠	العامل النفسي :
٤٣	
<b>££</b>	المبحث الثالث : أنواع الغربة :
٤٤	الغربة الداخلية: ( الاغتراب ):

	الغربه الحارجيه :
٦٤	الحنين في شعر أحمد شوقي
۲۰	المبحث الأول: الحنين لغة واصطلاحاً:
٦٥	أولاً: الحنين لغة:
٦٦	ثانياً : الحنين اصطلاحاً :
٧١	المبحث الثاني : الحنين في شعر أحمد شوقي :
V1	المطلب الأول : الحنين إلى الوطن :
۸۹	المطلب الثاني: الحنين إلى الأهل والأصدقاء:
99	المطلب الثالث: الحنين إلى الذكريات الماضية:
1.7	المطلب الرابع: الحنين الديني:
110	المطلب الخامس: الحنين إلى المكان:
177	المطلب السادس: الحنين إلى المحبوب:
۱۳۰	الدراسة الفنية
18.	المبحث الأول: الأسلوب:
147	التناص :
155	الأساليب الإنشائية الطلبية :
108	المبحث الثاني : الصورة الشعرية :
105	أولاً : الصورة البيانية :
105	١ – التشبيه :
۲۰۱	٢ – الاستعارة :
101	٣- الكناية :
109	ثانياً : الصورة الحسية :
109	١ – الصورة البصرية :
171	٢ – الصورة السمعية :
177	٣- الصورة الشمية :
17"	٤ – الصورة الذوقية :
176	المبحث الثالث : الموسيقا :
170	المطلب الأول : الموسيقا الخارجية :
170	١ – الوزن :

177	٢ – القافية :
179	المطلب الثاني : الموسيقا الداخلية :
179	١ – التصريع :
١٧٠	٢ – التكرار :
175	٣- الطباق :
140	٤ – المقابلة :
177	٥ – الجناس :
177	٦- التقسيم :
١٧٨	الخاتمة
١٨٠	فهرس الآياتفهرس الآيات
1	المصادر والمراجع
١٨٨	فهرس المتميات